المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٨٢) المجلد (٦٤) العام [٦٨] رجب وشعبان ١٤٢٣ هـ ـ أكتوبر ونوفمبر ٢٠٠٢ م

لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان

محاولات قتل الموت في بنية الفكر العربي

طه حسين ليس مغروراً كالعقاد

الشتاء النووي .. كارثة محتملة

ممـا قـل

وفاء الأصدقاء !! ..

يقول الشاعر العربي القديم:

واخوان تخذتهمو دروعاً
فكانوها ولكن للاعادى
وقـالوا قـد صـفت منا قلوب
لقـد صـدقـوا ولكن عن ودادى
وقـالوا قـد سـعينا كل سـعى
لقـد صـدقـوا ولكن في فسـادي

تلك شكوى الأجيـال الصـارخـة من الصداقـات الواهيـة الكاذبة.. واصدقاء هذا الزمان هم كاصدقاء كل زمان: يكثرون عند النعمـة والاقبـال ويقلون عند المحنة والإدبار، وتلك طبيـعـة النفوس، مالها من محيص على ان من صداقات هذا الزمن لونا جديداً يتميز عن كل لون سبقه بالظاهرة التى انطبع عليها قالبه وهذا النوع من الصـداقـات يتمـثل في «المادية المكشـوفـة» فـهـذه الظاهـرة وان كانت موجودة فيمـا مـضي من اجيال الا انها قد تضخمت الآن تضخما هائلا جعلها «فصيلة» حديثة مستقلة تقريباً عن زميلاتها السالفة.

ومن امثلة هذه «الصداقة» العجيبة المظهر والمخبر انه اذا كان لزيد لديك مصلحة ما فانه ليقسر نفسه راضياً مطمئنا هادئا على مـوالاتك ويلازمك مـلازمة الظل لا يريم عنك ولا يتـحـول فاذا قـضى وطره وانجز مصلحته فسرعان ما يقلب لك ظهر المجن وسرعان مـا يحـقـرك ويزدريك ولا يكتـفـى بذلك بل يعـمل لاحـبـاط مساعيك وانت الذى قد جهدت في انجاح مساعيه بدل أن يشكرك ويفديك.

«عبدالقدوس الأنصاري»
جمادى الآخرة ١٣٦٥ هـ
١٩٤٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهل

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

غلاف العدد



المركز الرئيسي

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥
رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل
فاكس ٦٤٢٨٨٥٢ تليفون: ٦٤٢٧٨٣١
٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧
الرياض ص.ب ٢٩٠ تليفون: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم
مصر ١٥٠ قرشاً - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس
عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس
موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

صاحب المجلة
رئيس التحرير

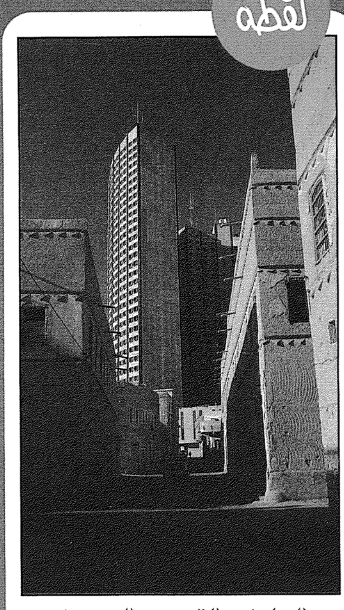
نبيه بن عبدالقدوس
الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د / عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري



الرياض - القديم والحديث

تصوير / حامد شلبى

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

الاشتراكات

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
قيمة الاشتراك السنوي
للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة
تليفون : ٦٣٩٦٠٦٠ - فاكس : ٦٣٩٤٠٩٥

رجب الخير ..

كلما أطل هذا الشهر الكريم المبارك ببهيّ طلعته أشرقت قلوب المسلمين بشراً، وعلاها البهاء والصفاء..

ذلك ، لأنه في هذا الشهر الكريم المبارك كانت بشرى (الاسراء والمعراج) لرسولنا الكريم عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وازكى التسليم.. تكريماً وتسرية..

{سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا}.

وكلما قرأ المسلم تلك الذكرى المباركه، أفاد فيها جديداً،

وأولها: هذا الرباط الوثيق بين الحرمين الشريفين (المكي - والقدسي).

وثانيها: هذا الرباط الوثيق بين رسل الله اجمعين، وبين دعوتهم التى ارسلوا بها لتوحيد الله سبحانه وتعالى، وتحقيق العبادة له وحده في كل اشكالها.

وصلاة خاتم رسل الله أجمعين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إماماً بجميع رسل الله السابقين - عليهم صلوات الله وسلامه - تقف دليلا:

أولا: على وحدة الغاية.

ثانيا: على ان سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو الرسول الخاتم، وان رسالته هي الخاتمة.

ثالثا: على اتباع كل الرسل له ..

رابعا: وجوب ايمان المسلمين بكل رسل الله، بدون تفريق بينهم.

ثم يأتي (المعراج) الى السماوات العلا، حيث رأى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ما رأى من ايات ربه الكبرى..

وهذا المعراج يفيد منه المسلم ضرورة نقاء نفسه وطهارة روحه ليعرج بروحه وقلبه الى ربه في كل لحظة من لحظات حياته..

المحـــرر

فهرس العدد ٥٨٢ - المجلد: ٦٤ - العام: ٦٨

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الاهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة

غلاف السائح

غلاف هن

فقرات مستلة ..

٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٢٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها. الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤



مخطوط لمحة بصر على البلاد المقدسة

للعلامة القاضي

محمد بن عبد السلام السائح الرباطي الأندلسي

١٩٠١ - ١٩٤٨م - مضمونه وقيمته

المضمون:

يبدأ الكتاب بمقدمة مركزة حول ازدهار الفكر المغربي، والاتصال التاريخي الوثيق الذي كان يربطه ببلاد الحجاز إذ كان المغرب يرسل وفوده الى تلك الديار المقدسة تحمل رسالته، مبيناً الظروف والأحداث التى أخذت تفصل العالم الإسلامي بعضه عن بعض، واستئناف المغرب الجديد نشاطه، وإعادته الاتصال، وتقوية الروابط مع إخوانه وعلى رأسه ملكه الهمام، وعاهله المفكر العظيم جلالة المغفور له باذن الله تعالى محمد بن يوسف الذي عرف بثاقب فكره أن مصلحة بلاده في إعلان الاتصال بإخوانه العرب في هذا الوقت الذي يعز فيه النصير. وأدرك أن الديانة الإسلامية وحدها هي التي يمكنها أن تُعرف الأمم بصدق القول، ووفاء الوعد، وأنها إن فُهمَت تعاليمها الصحيحة يمكن أن تنشل الروح الأوروبي من حمأة المادة المسيطرة عليه، وأن تطهر تلك الروح تطهيراً كاملا.

ثم يردف أن العاهل الهمام - عليه رحمة الله - عرف كل هذا فأراد أن يواصل الأمم الإسلامية لتتقوى، ويشتد أزرها، وتزهو بأنصارها، فبعث بمناسبة حلول موسم الحج الى المؤتمر الإسلامي العظيم وفداً عالماً موثوقاً به، وزوده بنصائحه الغالية، وثقته الكبرى، فعرّف بالمغرب والمغاربة، وعرّف جلالة الملك عبد العزيز آل سعود - عليه رحمة الله - بالجانب المهم في السيادة المغربية. واستطاع بلباقة كبرى أن يبرهن على ما عرف به المغاربة من دماثة الأخلاق، وكرم النفس، وبذل المعروف، ونشر المآثر الطيبة، والذكر الجميل.

واستقبل أعضاء الوفد فأخبرهم بالمهمة ورئاسة المؤلف عليهم، والإشراف على باقي الحجاج لما علم فيه

بقلم : د. محمد قرقزان - خبير في الايسيسكو - المغرب

من الصدق والأمانة، وسلّم له هدايا الحرمين، ومن ضمنها سفر أنيق من كتاب (المواهب الفتحية) للفخر السلطان سيدي محمد بن عبد الله - قام جنابه بطبعه بمطبعته الأنيقة - باسم خزانة الملك عبد العزيز آل سعود، ومجموعة خطبه لتوزيع ذلك بالحرمين الشريفين، والراية المغربية، وصورة له ترفع في محل نزول البعثة رمزاً لانحياشها إليه، ورسالة لتبليغها الى ملك الحجاز.

ثم يصف الانطلاقة بالقطار (يوم الأربعاء ١٩٤٧/١٠/١٦) من الرباط نحو فاس في مظاهر احتفالية رائعة، فوجدة، فالجزائر.

ومنها امتُطيَتْ الباخرة (أنوس ده) وعلى متنها خمس مئة وألف حاج من المغرب والجزائر والسودان وبقية أقطار افريقية، فيصفها لنا وكيف حوّلها هذا العالم العظيم الى جامعة عائمة تمخُر عُبَابَ اليَمِّ، ورتب المحاضرات والدروس العلمية فيها من علماء أجلاء كالمختار السوسي والمختار السّنشيسي وبعض علماء شَنْقيط والحجُوجي، ومشاركته ببعض المحاضرات في الحديث الشريف وانضمام العلماء التونسيين للهيئة التدريسية.

ودعا الحجاج المغاربة للاكتتاب في صدقة توزع بالحرمين الشريفين، فجمعوا ثمانية وستين ألف ريال تم توزيعها هناك.

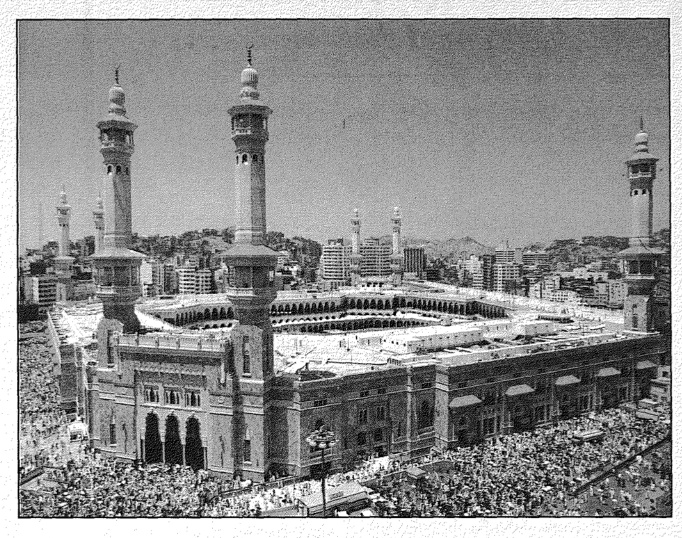
وأقلت من بنزرت بعض الحجاج التونسيين، واحتفى باي تونس بهم فعمل حفلة رائقة على شرف الحجاج المغاربة، وتحفل لهم، وأظهر اعتناء تاماً، وزار (المؤلف) ثلاثة من علماء الزيتونة الفضلاء محمد الشاذلي النيفر وأحمد بن ميلاد ومحمود بن الطاهر، ورد لهم الزيارة، وأدرك أن القوم هناك يتتبعون الحركة الحضارية في المغرب، وأنهم يستمدون مسيرة الحياة العلمية منه.

ثم أثنى على دماثة أخلاقهم، ودقة ملاحظتهم، وسلامة أذواقهم في التفكير المنطقي. وممن ذكر من الحجاج الأفارقة الأمير عاقبو من كينا الإفرنسية والسيد كان من دوكا من السنغال.

وطلب من المسؤولين بالباخرة إعلامهم بمسامتة الباخرة رابغ ميقات أهل المغرب للإحرام، وتمديد أيام المقام بالمدينة المنورة بانتظار الباخرة للحجاج زيادة على المدة المقررة لها ثلاثة أيام.

وفي بور سعيد عند مدخل قناة السويس صعد لتحيتهم بعض الطلبة المغاربة القاطنين بمصر للدراسة منهم السيد ابن المليح أمين رابطة الدفاع عن مراكش، وذكر يدهم البيضاء في القضية المغربية، وعملهم على إنارة الأفكار حولها، والاستعانة في ذلك بالجامعة العربية.

وأحرم الحجاج لدى مسامتة رابغ، وبرزت كوكبة العلماء للناس، ليسألوهم عن مناسكهم، وأهَلَّ الناسُ، وعجت الباخرة وارتجت بأصوات التلبية فيا له من مشهد عظيم تضطرب القلوب من خشيته الى أن أرست في مرفأ جدة الذي كان آنذاك كثير الصخور الناتئة والتعاريج، لا يكاد يعبره من النوتية إلا العارف الخريتُ، إذ قضت الزوارق مدة غير قليلة في عبوره، واستقبلهم ثمة السيد محمد زيدان كاتب إدارة الحج (يوم الاثنين ١٩٤٧/١٠/٢٨). ولاحظ كثرة بيع التبغ في كل محطة، وقدوم عبد الله أبار نائب المطوف الحريري، فاقتضى من كل حاج خمساً وثلاثين ليرة مصرية وتسعة وخمسين قرشاً رسوم الحكومة، وافق



ذلك معرفتهم إعلان الحكومة السعودية، أن فاتح شهر ذي الحجة كان يوم الجمعة حسبما ثبت ذلك عندهم، وأن الوقوف بعرفة سيكون يوم السبت والعيد يوم الأحد.

ومما استغربوه أن العيد في المغرب يكون يوم الثلاثاء، وعليه فإن الهلال سبق في الحجاز بيومين.

ثم حلوا بمكة المكرمة التى اكتظت شوارعها بالأبعرة، وألقوا عصا التسيار، وسألهم المطوف بم أهلّوا، فأخبروه، أنهم أهلّوا بالعمرة فأدخلهم المسجد الحرام من باب السلام، فدعوا الله أمام البيت الحرام، وطافوا وقبّلُوا الحجر الأسود، وصلوا بمقام ابراهيم، وسعوا ثم تحللوا من العمرة.

ودعاهم يوم الأربعاء سادس ذي الحجة الملك عبد العزيز آل سعود الى قصره قرب المحصَّب، ولدى مثولهم ألفوا حوله حاشيته متقلدي السيوف، تلمع من أعينهم الشهامة والعزة العربية، فاستقبلهم وهش وبش فأجلس المؤلف عن يمينه، فأبلغه سلام أخيه جلالة الملك محمد الخامس، وقدم له الرسالة التى أورد نصها في هذا الكتاب، وارتجل خطاباً بين يديه بيّن فيه متانة الروابط بين البلدين الشقيقين التى يستحيل انفصامها، وأنه فخور بكونه مبعوثاً من لدى ملكه الهمام، المصلح الكبير، ناشر ألوية العلم، سيدي محمد بن مولانا يوسف العلوي أعلى الله علاه، ذلك الإمام الذي وقف نفسه على خدمة بلاده، وكان لها ابناً باراً مخلصاً،

كما كان ملكاً محبوباً من شعبه الوفي بل ومن لدن الأمم العربية جميعاً، وأوضح أن عهد المولى سليمان من أعظم السنين مظهراً لتلك الصلات حيث اندفع صدى عقيدتكم الإصلاحية الى المغرب فقام للدعوة إليه بنشراته، وعلى أعواد المنابر. (حيث استلفت نظره ذكر الحركة السلفية، وأخذ يلقي بعض كلمات في مدحها).

وكان قد اقترح على المختار السوسي تدبيج قصيدة في مدح جنابه استأذن ساعتها جلالة الملك بإلقائها، فأنشدها بين يديه. وكان لها وقع حسن.

وتم في الغد حفل غسل الكعبة المشرفة، إذ قام جلالة الملك عبد العزيز بنفسه بغسلها، ودعاهم في الليل الى العشاء مع عدد وافر من وجوه الحجاج ألقى فيها شاعر الملك احمد بن ابراهيم الغزاوي قصيدة مدح فيها جلالة الملك وأشاد بمآثره فيما يرجع الى بث الأمن واستئصال جرثومة أهل الفساد.

ثم أحرموا بالحج من غد اليوم الثامن من مكة، وخرجوا الى منى وعرفات فاستقبلهم المطوف وقد ضرب لهم قبة هائلة ترفرف عليها الرايات المغربية فرأوا مشهداً عظيماً ذكرهم بالموقف، تسقط أقلام الواصفين حسرى من هيبته وجلاله.

ولما غربت الشمس حاولوا الدفع الى المزدلفة، وصلّوا المغرب والعشاء جمعاً وقصراً، ثم نزلوا، فالتقطوا الجمار، وامتطوا السيارة الى منى، وبادروا رمي جمرة العقبة، ودفعوا هدي التمتع لمن يقوم على ذبحه، ودخلوا بعدها مكة المكرمة طائفين طواف الإفاضة ساعين بين الصفا والمروة، وتحللوا، ولبسوا جديد الثياب، فحصلوا بفضل الله الخير الكثير ثم خرجوا مساء الى منى لقضاء أيام التشريق ورمي الجمار.

وهنؤوا جلالة الملك بالعيد ثمة بقصره بمنى في قبة خضراء في غاية الأناقة، وألقى بالمناسبة شيخ الأزهر الشيخ مصطفى عبد الرازق رحمه الله خطاباً بنغمته الحلوة افتتحه بالتكبير، (مع ايراد نصه) أتبعه الشاعر الغزاوي بقصيدة طنانة في تهنئة الملك، ثم تبع ذلك حفلة استعراض الجيوش تحت إشراف نجله الأمير منصور خلال صدح الموسيقى، ومرور الدبابات على النظام الأوروبي الحديث. ورموا الجمار بعد الزوال الذي أعلن بضربة مدفع، راجعين أدراجهم الى مكة المكرمة ومن الطريف سقوط حقيبة نقود المؤلف، لكنه عثر عليها، وردت له بمركز الأمن بمكة المكرمة كاملة لم ينقص منها شيء.

ويثني على مآثر جلالة الملك عبد العزيز ومزاياه لما شوهد في أيامه من الأمن فيلهج عليه بالثناء والإعجاب كل صادر ووارد، ويعترف له به الصديق والشانيء.

على أن رشدي ملحس مدير الشعبة السياسية ذكر له أن الأمن بالبادية أكثر انتشاراً من الحواضر بفضل إقامة الحدود الشرعية، وهيبة السلطان والدين.

ويستجيز بعض العلماء الذين يستجيزونه هم بدورهم أيضاً، ويدون أسعار صرف العملات، وارتفاع أسعار المواد الغذائية.

ثم يقوم بوداع صاحب الجلالة، وأم القرى - حرسها الله - وجدة، إذ يذكر ما أصابها من مطر غزير سقطت منه بعض الدور، وألفى طرقها مغمورة بالمياه، والرجال يكنسونه بالمكانس الى جهة البحر حيث إنه ليس بالمدينة قنوات لصرف المياه، (وشتان بين اليوم والبارحة)، ودخلوا طيبة الطيبة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - يوم الاثنين الثاني عشر من الشهر المبارك.

ولاحت لهم المنائر، والقبة الخضراء، وتحتها يثوي سيد الوجود {صلى الله عليه وسلم}، وكادت قلوبهم تطير من الشوق، فأجهشوا بالبكاء. ووجدوا في

استقبالهم المزوّر المفضال أحمد حوالة والحاج أحمد بن بوعزي البيضاوي الذي هيأ لهم النزول بداره الفيحاء، فحطوا رحالهم، وتوجهوا تواً للسلام على النبي {صلى الله عليه وسلم} في ساعة رآها أسعد أيام حياته، ودخل المسجد النبوي، ورأى ما به من الجمال والجلال وكاد قلبه يطير.

وأنجز تفريق الصلات المولوية، وتوزيع صدقة المغاربة، وسعد بزيارة البقيع، ثم انكفؤوا أدراجهم عائدين الى جدة، فدخلوا الباخرة التى كانت في انتظارهم في (يوم الثلاثاء ٢٣ من ذي الحجة الموافق لـ ١٩٤٧/١١/٩) ولما انتهوا الى شاطىء جبل الطور أرست هناك، فتم عرض الحجاج على طبيب مصري فتبين أن الحج نظيف من الأمراض ذلك العام، ثم عبروا القناة، واستقبلوا من طرف المصريين بابتهاج لم ينسوه لهم مع هدير المدافع المطلقة، مرفوقين ببعض المطربين يتبعونهم في زورق خاص تنبث منه أناشيد بألحان شجية، وجميع من بالقناة يهتفون بالسلام الى أن فارقوا المرسى المذكور.

ومـا إن حلّوا بمرسى بنزرت ودّعوا إخوانهم حجاج تونس الخضراء، ووافق وصولهم ميناء الجزائر عند زوال (يوم الاربعاء ١٩٤٧/١١/٢٧) ونزولهم على أرضها حيث تطرق سمعه أخبار الوطن، ونبأ وفاة صديقه النقيب المؤرخ الكبير مولاي عبد الرحمن بن زيدان، وساعة ذاك استقبلهم وزير فرنسا المفوض السيد قدور بن غبريط. بفندق (وزيس) قرب المرسى وكرمهم بمأدبة فخمة، ثم دعاهم والى الجزائر لشرب الشاي في قصره.

وامتطوا القطار عابرين مدن بَلْعَبَّاس، فتلمسان، فوُجْدَة، ففاس، فمكناس، انتهاء الى الرباط مستقبلين خلالها بكل مظاهر الحفاوة والتكريم.

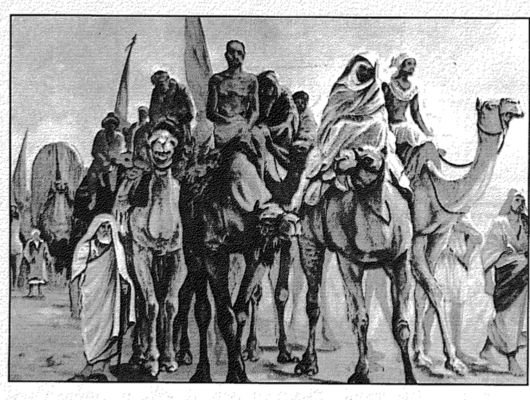
وصادفت أوبتهم يوم السبت متم نوفمبر وكانت مدة الغيبة كلها ستة وأربعين يوماً. فنشروا الرايات المغربية عالية، وأبرزوها من منافذ القطار، وكان في استقبالهم عدد من موظفي الهيئة المخزنية السامين، وكاتب القصر الخاص، وأخبرهم قائد المشور بأنهم سيحظون باستقبال الجناب العالي على الساعة العاشرة، وأدخلوا للسلام عليه وقدمت له رسالة جلالة الملك عبد العزيز مع بعض الهدايا التي بعثت معهم شكراً على الصلات التى أرسلت، وحدَّثه عن رحلته واستقبالاته، وعناية الملك عبد العزيز بالوفد وتقديمه في الاستقبال على غيره، وأعلمه بتفاني التونسيين في محبته واتجاههم في حياتهم العلمية الى المغرب، وطيب أحدوثته، وجميل ذكره، ودعائهم له بالمشاهد العظام، والبيت الحرام والمقام.

قيمة الرحلة وأهميتها:

تنبثق أهمية هذه الرحلة، بتبيان حيّ لجميع ما شاهده المؤلف في مدة معينة - كالنظام العسكري المتقدم الذي يبرزه عرض الجيش أيام الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - وعنايته به الى أن أصبح على النسق الأوربي الحديث منذ تلك المرحلة المبكرة، المشاة، والدبابات والموسيقى، وإشارة الملك الى الصحافة لتكتب عنه.

وفيها صدى للدعوة لقضية فلسطين بثها الخطباء خلال الاحتفال وبعد عملية غسل الكعبة المشرفة.

وتعكس الرحلة الوضعية الممتازة للحالة التى كانت وما تزال عليها الجزيرة العربية إذ تنعم في أمان، وأمانة وارفة في ظل الشريعة الإسلامية الكاملة، يلهج بها كل من كتبت له زيارة تلك الربوع، وتعطي النموذج المتقدم في ذلك، ثمرة من ثمرات الإسلام، ونعمة لا يعرف قيمتها الآن إلا من شقي في ظل حضارة الغرب، وغرق في حمأة علمانيتها ومخدراتها، وتخبط



في تعاسة خمورها وإباحيتها وأمراضها، وعانى من الضياع والاستلاب الروحي الذي يعيشه الإنسان فيها يومياً.

وما يتمتع به الإنسان في موئل العروبة والإسلام من توازن وكمال واستقرار نفسي. مما يجعل ذلك - وفي كل حال - من مآثر الملك المؤسس العظيم الملك عبد العزيز ما يثير الإعجاب والثناء، ويوفر لضيوف الرحمن جواً روحانياً مثالياً، ويضرب المثل الأعلى على الرقي والسمو الأخلاقي بل أعلى درجات الحضارة التى تفتقدها إلا في منبع الإسلام.

وهو وإن كان وضع هذه المذكرة على جهة الاختصار، فإنه يرسم لك لوحة صادقة عن كل مكان جاز فيه، ورآه، ويزودك بانطباع دقيق مصور لكل حالة من حالاته النفسية في كل ناحية مرّ فيها، وكأني به قد اعتنى بتدوين هذه المعلومات القيمة في مذكرة خاصة به لا تضيع.

ولو أن سائلا قال: لم لم يكن ينقل لنا وصفاً لجميع الأماكن المقدسة، ولم يعرج مثله كمثل الرحالة السابقين عليه حين دونوا رحلاتهم على جميع المآثر التاريخية كغاري ثور وحراء، وأحصوا بدراً وقباء وسائر المشاهد التاريخية الأخرى، ويعطي مقاييس مدققة للبُنَى والخطط التى رآها، ويتوسع في وصفها، وبيان هيئاتها؟ فإننا نجيب على ذلك بأن سببين منعاه مما سئل عنه، أولهما: مرضه في أواخر أيامه، إذ كان يقعده في الفراش كما عبر لنا صراحة حين كان في المدينة المنورة - على ساكنها افضل الصلاة وازكى التسليم - وثانيهما: كونه مسؤولا مترئساً على وفد رسمي سلطاني يتقيد بخطة رسمت له مسبقاً لا يريم عنها.

ويضاف الى أهمية هذه المذكرات تلك الصورة النادرة التى حفظها لنا من ذلك الماضي القريب والتى لا وجود لها الآن، فيصور لنا ميناء جدة المملوء بالصخور، وشوارعها الغارقة بمياه الأمطار، بلا مصارف وشوارع مكة المكرمة التى تعج بالجمال، أقول: ماذا عساه يفعل اليوم لو بعث ورأى هذه النهضة الشاملة، وهذا التقدم الهائل الذي قلب الدنيا رأساً على عقب فغير وجه الأرض، وأحال هذه المدن في تلك الصحراء الى جنان الله تعالى في أرضه لا تختلف في تنظيمها وتصميمها وأناقتها وجمالها، وسخاء المسؤولين بالإنفاق عن أي مدن في قلب الدول

المتقدمة. فشتان بين اليوم والبارحة[*] وسبحان مغير الأحوال؟؟.

وهو إلى ذلك حريص على تحري الدقة والإخلاص في إقامة الشعائر من مثل محاولته أن يتعرف على مسامتة السفينة ميناء رابغ لبدء عملية الإحرام.

فإذا نحن صرنا الى الخطب التى تتضمنها هذه المذكرة لرأينا أنفسنا سواء أمام الرسالة الملكية البليغة، أم الخطبة التى ارتجلها المؤلف، أم أمام خطبة شيخ الأزهر، أم قصيدة المختار السوسي، لأدركنا، أننا أمام نصوص فنية مثلي عالية: أو نماذج قمة في البلاغة والتعبير، والسمو في الأداء، والتأثر بآيات الذكر الحكيم، وحرص على تبليغ المهمة السياسية الصادقة التى انتدبوا من أجلها، وتعبر في الوقت نفسه عن أمتن العلاقات الأبدية التى تربط بين مسؤولي هذه الأصقاع وشعوبهم منذ نداء سيدنا ابراهيم - صلوات الله على محمد وعليه - الى تاريخه، غيرة علماء كبار، وساسة تاريخيين على التآخي وصلة الرحم، وربط العلاقات، ونشر المعرفة الحقة، والوفاء بالتقاليد الملكية التى سار عليها أسلافهم العظام، وتعظيم شعائر الله سبحانه وتعالى والتمسح بأركان البيت العظيم والأماكن المباركة والقيام بحق الله سبحانه وأداء الفريضة.

فلله هذه الهمم الصادقة المخلصة الحريصة على سنن الأجداد العظماء خير خلف لخير سلف.

وإني لراج أن تسنح الفرصة في يوم من الأيام بتحليل دقيق لهذه الخطب الهامة التى ينبغي أن تأخذ موقعها من الدرس والتاريخ والعلم.

على أننا نلمح لديه كذلك الملاحظة الواعية لما رآه أو تُحُدِّث به أمامه، فلما ذكر أمامه شيخ الأزهر الشيخ مصطفى عبد الرازق - رحمه الله - أن الأزهر أقدم جامعة إسلامية تلقى ذلك بروح نقدية، وعلق عليه في هامش مؤلفه بأن القرويين أقدم منه، وهذا شيء صحيح يحمد للعالم المغربي.

وإنه إذ يأتي بمعلومات غزيرة ومفيدة حول جميع الآراء التى يزجيها في مذكراته عن هذه الرحلة نراه يحيل على مجموعة طيبة من المراجع التى يعتمدها لمن أراد التوثيق والاستزادة والتوسع، أو على كتب ألفها هو (ص ١٤٠، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥).

ولنستمع إليه في هذا السبق العلمي التاريخي إذ يقول: «ولما استقر بنا المقام بهذه الباخرة العظيمة، ورأينا كثرة الحجاج الذين على ظهرها، واحتياجهم الى من يلقنهم مناسك الحج، ويقيم لهم أمر دينهم جمعت من كان هناك من العلماء، وأشرت عليهم بإلقاء دروس في المناسك، ورتبت لهم أوقاتها حتى يمكن العامة أن يستفيدوا من الجميع، فاستحسنوا ذلك، وقام العلامة المفضال المختار السوسي من أعضاء الوفد بدروس علمية في المناسك بموضع من ظهر الباخرة هيؤوه ليكون مسجداً للحجاج، وجدّ في ذلك، واجتهد بالتدريس أولا، ونصب نفسه لسؤال الحجاج عن مناسكهم، وما يعرض لهم من النوازل، وقام كذلك العلامة سيدي المختار السنشيسي رئيس المجلس العلمي المكناسي بدروس كذلك مهمة على ناحية من ظهر الباخرة. كما قام بعض علماء شنقيط بدروس هنالك أيضاً، وأما العلامة سيدي محمد الحجوجي أحد علماء القرويين فارتأى أن يكون إلقاؤه باللهجة الدارجة للإمعان في تفهيم العامة، وعرض عليّ فكرته فوافقته على ذلك، وقام بدروس على ذلك المنوال، كما اقترحت عليه أن يقوم بالتوقيت زيادة على الإمامة تجافياً عن اضطراب الناس واختلافهم في المواقيت ولا سيما في الفجر..» ويقول (ص ١٣٦) «ثم إن السادة التونسيين اقترحوا عليّ إلقاء درس حديثي. ولما رأيت من نفسي بعض الخفة قمت بعقد مجلس إملاء في الحديث حضره من بالباخرة من العلماء والفضلاء. وبعد تمام

المجلس استجازني من حضر من جامعة الزيتونة، فأجزتهم شفاهياً، وواعدتهم ببعث الإجازة كتابة إليهم. وشارك العلماء التونسيون أيضاً في الحركة العلمية، فقاموا بدروس في المناسك بالليل على ظهر الباخرة، فاستحالت بذلك الى جامعة علمية دينية تمخر عباب البحر، فحيثما يممت ألفيت أمامك العلم والعلماء، وأهل الخير والفضلاء الى دروس منظمة، وأوقات للصلاة محكمة، واستغراق في العبادات والأذكار آناء الليل وأطراف النهار».

وبتأملنا لهذا النص الخطير المفيد بانشاء أول جامعة عائمه لأول مرة في التاريخ (نوفمبر ١٩٤٧) على يد هذا العالم العظيم، تُلقى فيها دروس مجانية لوجه الله، نظرية، وتطبيقاتها العملية تكون في المشاعر المقدسة، على يد مشايخ مبرزين في مختلف العلوم ولوجه الله لا ينبغي أن نجوز عليه هكذا عرضاً دون أن نسجل سبقا تاريخياً هاما لأرقى الدول من قبل عالمنا العظيم الرائد محمد السائح في هذه الفكرة التى رأيناها تلد في أمريكا بعد هذا المؤلف بحوالي عشرين سنة، نعم نجدها بمفهومها الغربي المعاصر الآن، قد ظهرت في الستينيات وبشكلها الحديث إذ أن بعض الجامعات الناشئة تتوفر على برامج فيها دراسات منظمة تبعاً لتخصصات الطلاب، فالمفروض فيها وطبقاً لبرامجها أن كل طالب يقضي عدداً من ساعات التحصيل في القسم، وقد يتجمع الطلبة من عدة جامعات: (جامعات واشنطن: Washington University) مثلا، أو بيتس بورغ: Pittsburgh University) وغيرها في الولايات المتحدة الأمريكية) لإعداد دراسات نظرية وتطبيقية في مواضيع معينة كل طالب حسب اختصاصه: (تاريخ، وجغرافية، وآثار، وعلوم البحار، وتضاريس .. الخ) وتهدف أيضاً الاطلاع على ثقافات الدول الأخرى وما لديها من معدات متقدمة، فتنظم هذه الجامعات دورتين في السنة، إحداهما في الربيع والأخرى في الخريف، وتمول الجامعة في معظم الأحيان شطراً من تكاليف السفر حين تحتاج الى خبرة في موضوع ما، وقد يكون من بين الطلاب، الأذكياء والموهوبون، ويمكن أن يتحمل الطلاب الباقي من التكاليف.

فإذا بدأت الدورة الدراسية تمخر الباخرة من الولايات المتحدة فتجوب البحار حول العالم مدة ثلاثة أشهر مارة بعدد من الدول في مختلف القارات لتعود أخيراً الى منطلقها. وهكذا يقضي الطلاب أول أربعة أيام في البحر، وهم يستمعون الى دروس نظرية، فإذا رست السفينة في مرفأ من المرافىء في إحدى الدول يقوم الطلاب بزيارة معالم تلك الدولة أو المكان المعين كل حسب اختصاصه عن كثب فيما يتعلق بالجانب التطبيقي (زيارة المناطق الأثرية لمن درسوا تاريخ دولة معينة)، ويجمعون المعلومات، فإذا أنهى الطالب بحثه عن البلد فيقدمه للأستاذ المشرف الذي يقوم بتصحيحه، ثم يناقش البحث في القسم، ويحصل الطالب بعد ثلاثة أشهر على شهادة ونقط في مواضيع معينة تحسب له في الامتحان النهائي من السنة.

فانظر يا أخي إلى استشراف هذا العالم المغربي العظيم الذي سبق عصره بعشرين سنة وتحدث عن هذه الأفكار المعاصرة الآن، وطبقها عملياً، مع فروق جوهرية هامة في الوسائل والأهداف وشتان ما بين الأعمال الخالصة لوجه الله والأعمال التى يرتجى من وراء تحقيقها أهداف مادية دنيوية بحتة.

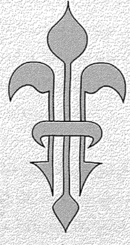
---

[*] زود المؤلف كتابه بخرائط توضيحية هامة لا بأس بها. ومما يذكر أنه كان عدد حجيج هذا العام (١٤١٥هـ) مليونين وخمسة وأربعين ألفاً بينما ذكر أن عدد الحجاج كان قبل أربعين سنة - وهو قريب من عصر المؤلف - ثلاثين ألف حاج.



القصص النبوي

قصة نوح (عليه السلام)



(الحلقة الخامسة)

ذرية نوح :

يرى كثير من العلماء وأصحاب السير والمؤرخون أن نوحا - عليه السلام - أبو البشر الثاني، حيث أغرق الله الكافرين، ونجى الله نوحا ومن آمن معه وهم قليل، وبعد هبوطهم لم تكن لهم ذرية **{ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون * ونجيناه وأهله من الكرب العظيم * وجعلنا ذريته هم الباقين * وتركنا عليه في الآخرين * سلام على نوح في العالمين * إنا كذلك نجزى المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين * ثم أغرقنا الآخرين}**[١].

وفي القصص النبوي عن سمرة بن جندب عن النبي {صلى الله عليه وسلم} في قوله: (وجعلنا ذريته هم الباقين) قال: (سام وحام ويافث).

ونقل الطبري[٢]: إنما الذين كانوا معه في الفلك، قوم كانوا آمنوا به واتبعوه، غير أنهم بادوا وهلكوا، فلم يبق لهم عقب، وإنما الذين هم اليوم في الدنيا من بنى آدم، ولد نوح وذريته، دون سائر ولد آدم، كما قال - عز وجل - **{وجعلنا ذريته هم الباقين}**.

وفي القصص النبوي عن سمرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم) والثلاثة أولاد نوح لصلبه، وفي رواية لابن عساكر عن أبى هريرة: (سام أبو العرب وفارس والروم وأهل مصر والشام، ويافث أبو الخزرج ويأجوج ومأجوج، وأما حام فأبو هذه الجلدة السوداء).



بقلم : أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة

- مصـــر -

وأكثر الأقوال أن هؤلاء الثلاثة ولدوا قبل الطوفان، وأنهم ركبوا ومعهم زوجاتهم السفينة مع نوح، وأما أخوهم الرابع (يام) ويسمى (كنعان) كان كافرا عمل عملا غير صالح، وخالف أباه فكان مع المغرقين.

وقيل إن ساما ولد لنوح قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة، وقال بعض أهل التوراة: لم يكن التناسل، ولا ولد لنوح ولد إلا بعد الطوفان وبعد خروج نوح من الفلك[٣].

والرأى الأول وهو الشائع عند الأكثر مثل ابن سعد الذى يقول[٤]: (ثم مكث بعد السفينة «بعد صنعها» ثلاثمائة وخمسين سنة، فولد نوح سام، وفي ولده بياض وأدمة، وحام وفي ولده سواد وبياض قليل، ويافث، وفيهم الشقرة والحمرة، وكنعان: وهو الذى غرق، والعرب تسميه يام، وذلك قول العرب: إنما هام عمنا يام؛ فأم هؤلاء واحدة). وهذا القول ينسبه الطبري لابن عباس.

ونقل ابن عساكر[٥] عن أبي هريرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (ولد نوح ثلاثة سام، وحام، ويافث، فولد سام العرب وفارس والروم، والخير فيهم، وولد يافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة، ولا خير فيهم، وولد حام بربر والقبط والسودان). وعن ابن عباس عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (بعث الله نوحا لأربعين سنة، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، يدعوهم، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا).

وينسب ابن سعد الى ابن عباس قوله: وتزوج نوح امرأة من بنى قابيل، فولدت له غلاما فسماه يوناطن، فولد بمدينة بالمشرق يقال لها معلنور شمسا، فلما ضاقت بهم سوق الثمانين تحولوا الى بابل فبنوها وهي بين الفرات والصّراة وكانت اثنى عشر فرسخا في اثنى عشر فرسخا، وكان بابها موضع دوران اليوم فوق جسر الكوفة يسرة إذا عبرت، فكثروا بها حتى بلغوا مائة ألف، وهم على الإسلام.

ويقول ابن كثير[٦] عن زوج نوح أم أولاده : ماتت قبل الطوفان، وقيل إنها غرقت مع من غرق، وكانت ممن سبق عليه القول لكفرها. وعند أهل الكتاب: أنها كانت في السفينة، فيحتمل أنها كفرت بعد ذلك، أو أنها أنظرت ليوم القيامة، والظاهر الأول لقوله: **{لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا}**.

وقيل[٧] إن أول من آمن بنوح امرأة من قومه يقال لها (عمرة) فتزوجها فأولدها ساما، وحاما، ويافث، وثلاث بنات. ثم آمنت به امرأة أخرى من قومه يقال لها: (والعة) فتزوجها فأولدها كنعان، ثم نافقت وعادت الى دينها.

وواضح مما سبق أن الذرية التى عمرت الأرض بعد الطوفان كلها من نوح - عليه السلام -

وفي القرآن نداء من الله للناس بذرية من حملنا مع نوح، كما ناداهم ببني آدم. قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: **{ذرية من حملنا مع نوح}** تقديره ياذرية من حملنا مع نوح. وقال في تفسير قوله تعالى: **{بسلام منا وبركات}** اهبط مباركا سالما، وعلى أمم ممن سيولد بعد، أى أولادك، فإن الله لم يجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلا ولا عقبا سوى نوح - عليه السلام - وقد سبق مثل هذا القول.

وعن هشام بن محمد بن السائب[٨] عن أبيه عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: أوحى الله الى موسى: إنك يا موسى وقومك وأهل الجزيرة، وأهل العال من ولد سام بن نوح.

قال ابن عباس: والعرب والفرس والنبط والهند والسند والبند ولد سام بن نوح.

ويقال:[٩] إن سام بن نوح ولد خمسة أولاد: أرفخشذ، وهو أبو العرب، ولاوذ، وهو أبو العمالقة، وأشور، وهو أبو النسناس، وعيلم، وهو أبو العادية الأولى، وإرم، وهو أبو عاد وثمود، ورزق غيرهم ممن لم يُعقب.

وأما يافث بن نوح، فإنه صار الى المشرق، فولد له هناك خمسة أولاد: جومر، وتيرس، وأشار، سفويل، ومياشخ، فمن جومر: جميع الصقالبة والروم وأجناسهم، ومن تيرس جميع الترك والخزر وأجناسهم، ومن مياشح: جميع أصناف العجم، ومن أشار: يأجوج ومأجوج، ومن سفويل: جميع الأرض وقد سبق ذكر أولاد حام عند الكلام على دعوة أبيه عليه.

تفرق الذرية وتعدد اللغات:

تتابعت الأجيال من أبناء نوح - عليه السلام - وعمروا مشارق الأرض ومغاربها، فمن ذرية سام بن نوح: أرفخشد وياسور وإرم ولوذ، ومن ذريتهم الهند والسند والبند، وجرهم وقحطان والنبط وأهل الجزيرة والعال، وعمليق أبو العمالقة، ويقال إن عمليق أول من تكلم بالعربية، حين ظعنوا من بابل، وكان يقال لهم ولجرهم العرب العاربة، ومنهم عاد وثمود وجديس.

ومن ذرية يافث الروم بنو النطى بن يونان. ومن ذرية حام نمروذ بن كوش بن كنعان[١٠] (فكل هؤلاء كانوا على الإسلام، وهم ببابل حتى ملكهم نمروذ بن كوش بن كنعان ابن حام بن نوح، فدعاهم الى عبادة الأوثان ففعلوا، فأمسوا وكلامهم السريانية، ثم أصبحوا بلبل الله ألسنتهم، فجعل بعضهم لا يعرف كلام بعض، فصار لبنى سام ثمانية عشر لسانا، ولبنى حام ثمانية عشر لسانا، ولبنى يافث ستة وثلاثون لسانا. ففهَّم الله العربية عادا وعبيل وجديس وعمليق وطسم وأميم، وبنى يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح).

ولا يعنى ذلك أن اللغة العربية لم تكن معروفة قبل نوح عليه السلام - فقد سبق أن ذكرنا في قصة آدم - عليه السلام - (واختلف العلماء في تعليم آدم، هل كان باللسان السُّريانى أو باللسان العربى أو بغيرهما.

قال القرطبي: روى عن كعب الأحبار: إن أول من وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها، بالألسنة كلها، آدم - عليه السلام - وقاله غير كعب.



فان قيل: قد روى عن كعب الأحبار - من وجه حسن - قال: أول من تكلم بالعربية جبريل - عليه السلام - وهو الذى ألقاها على لسان نوح - عليه السلام - وألقاها نوح على لسان ابنه سام، ورواه ثور بن زيد عن خالد بن معدان عن كعب[١١].

وذكر ابن كثير في قصصه[١٢]: أن نوحا - عليه السلام - حين هبط الى أسفل الجودى وابتنى قرية سماها ثمانين، فأصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة، إحداها العربية، وكان بعضهم لا يفقه كلام بعض، فكان نوح - عليه السلام - يعبر عنهم، وقال ابن عباس كان من الثمانين جرهم عربى اللسان[١٣].

وقال صاحب فيض القدير[١٤] في شرح الحديث الصحيح المروى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} : (أحبوا العرب لثلاث. لأنى عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي) وقد كان سيدنا آدم - عليه السلام - لا يتكلم فيها - أى الجنة - إلا به، فلما أهبط الى الأرض تكلم بغيره) وقال المناوى ستة من الأنبياء عرب: نوح وهود واسماعيل وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام وعلى ذلك فإن اللسان العربى سابق على خلق آدم - عليه الصلاة والسلام - حيث كان يتكلم به جبريل - عليه السلام - وهو لغة الجنة في بدء خلقها، ولغة الداخلين فيها لما روي عن أنس بن مالك قال: قال رسول {صلى الله عليه وسلم}: (يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم، ستين ذراعا بذراع الملك، على حُسْن يوسف، وعلى ميلاد عيسى، ثلاث وثلاثون سنة، وعلى لسان محمد {صلى الله عليه وسلم} جرد مرد مكحلون).

وعلى قدر اختلاف ذرية نوح - عليه السلام - في اللغات، يأتى اختلاف بنى آدم في ألوانهم وخلقتهم - بصرف النظر عما تقدم من دعوة نوح على ابنه حام - التى ترجع طينة آدم - عليه السلام - لحديث أبى موسى قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأبيض، والأحمر، والأسود، وبين ذلك، والخبيث والطيب، والسهل والحزن، وبين ذلك)[١٥]. وروى ابن عساكر عن أبى هريرة عن النبى {صلى الله عليه وسلم} (ولد نوح ثلاثة سام وحام ويافث، فولد سام العرب وفارس والروم، والخير فيهم، وولد يافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة، ولا خير فيهم، وولد حام بربر والقبط والسودان)[١٦].

صفات نوح - عليه السلام -:

نوح - عليه السلام - هو أبو البشر الثاني، لما تقدم من أن جميع البشر بعد الطوفان من ذريته، وهو فى مقدمة أولى العزم من الرسل؛ لشدة إيذاء قومه، وصبره عليهم قرونا كثيرة، ولذا أمر الله نبيه محمدا {صلى الله عليه وسلم} بأن يتأسى به وببقية أولى العزم وهم في أشهر الأقوال: نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام - قالت عائشة - رضى الله عنها: ظل رسول الله {صلى

الله عليه وسلم} صائما ثم طواه، ثم ظل صائما ثم طواه، ثم ظل صائما، ثم قال: (يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله - تعالى - لم يرض من أولى العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها، والصبر على محبوبها، ثم لم يرض منى إلا أن يكلفنى ما كلفهم فقال: {فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل} وإنى والله لأصبرن كما صبروا جهدى ولا قوة إلا بالله).

وتميز نوح - عليه السلام - بخصال كثيرة[١٧] فتسميته بنوح لكثرة نوحه على نفسه، وكان أول نبي من أنبياء الشريعة، وأول داع الى الله - تعالى - وأول نذير عن الشرك، وأول من عذبته أمته لردهم دعوته، وكان - عليه السلام - أطول الأنبياء عمرا، وقيل له أكبر الأنبياء، وشيخ المرسلين، وجعل الله معجزته في نفسه، لأنه عاش ألف سنة، ولم ينقص له سن، ولم تنقص له قوة، ولم يبالغ أحد من المرسلين في الدعوة مثل ما بالغ، وكان يدعو قومه ليلا ونهارا، وإعلانا وإسرارا، ولم يلق نبي من الضرب والشتم والأذى والجفاء ما لقي، فلذلك قال الله تعالى:[١٨] **{وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين}**.

وجعل بعد المصطفى {صلى الله عليه وسلم} في الميثاق والوحي، قال تعالى:[١٩] **{وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح}**. وقال تعالى:[٢٠] **{إنا أوحينا إليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده}**. وأعطاه الفلك وعلمه صنعته، وحفظه بما فيه، وأجراه فوق الماء، وسماه عبدا شكورا، وأكرمه بالسلامة والبركة.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى:[٢١] **{إنه كان عبداً شكوراً}**، ورد في الحديث وفي الأثر عن السلف أن نوحا - عليه السلام - كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله، فلهذا سمى عبدا شكورا، قال الطبراني: حدثنى على بن عبد العزيز، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان عن أبى حصين، عن عبد الله بن سنان، عن سعد بن مسعود الثقفي قال: إنما سمى نوح عبدا شكورا، لأنه كان إذا أكل أو شرب حمد الله.

وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها»، وكان نوح كثير الصوم. قال ابن كثير[٢٢]: وقال ابن ماجه (باب صيام نوح - عليه السلام -) حدثنا سهل بن أبى سهل، حدثنا سعيد بن أبى مريم، عن ابن لهيعة، عن جعفر بن ربيعة، عن أبى فراس، أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: «صام نوح الدهر إلا يوم عيد الفطر، ويوم عيد الأضحى).

وروى الطبراني مثل ذلك عن عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: (صام نوح الدهر إلا يوم الفطر والأضحى، وصام داود نصف الدهر، وصام ابراهيم ثلاثة أيام من كل شهر، صام الدهر وأفطر الدهر).

وذكرنا أن نوحا - عليه السلام - طاف بالسفينة حول الحرم، وكذلك روى عن ابن عباس[٢٣] قال: حج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلما أتى وادى عسفان قال: (يا أبا بكر أى واد هذا؟) قال:



هذا وادي عسفان. قال: (لقد مر بهذا نوح وهود وابراهيم على بكران[٢٤] لهم حمر خطمهم الليف، أزرهم العباء، وأرديتهم النمار، يحجون البيت العتيق).

وصية نوح ـ عليه السلام ـ:

يروى لنا القصص النبوى وصية نوح ـ عليه السلام ـ لولده أو لولديه، كما جاء في مسند الإمام أحمد[٢٥] عن عبد الله بن عمرو قال: (كنا عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فجاء رجل من أهل البادية، عليه جبة سيحان مزرورة بالديباج، فقال: ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس، قال: يريد أن يضع كل فارس ابن فارس، ويرفع كل راع ابن راع، قال: فأخذ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمجامع جبته قال: ألا أرى عليك لباس من لا يعقل، ثم قال: إن نبى الله نوحا {صلى الله عليه وسلم} لما حضرته الوفاة قال لابنه: إنى قاص عليك الوصية، آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، آمرك بلا إله إلا الله ، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق الخلق وأنهاك عن الشرك والكبر. قال قلت أو قيل: يارسول الله هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر؟ قال أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان؟ قال: لا. قال: هو أن يكون لأحدنا حلة يلبسها؟ قال: لا قال: الكبر هو أن يكون لأحدنا دابة يركبها؟ قال: لا، قال: أفهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال: لا، قيل: يارسول الله فما الكبر؟ قال: سفه الحق، وغمط الناس) قال ابن كثير وهذا إسناد صحيح.

وفي رواية أخرى في المسند[٢٦] عن عبد الله بن عمرو قال: (أتى النبي {صلى الله عليه وسلم} أعرابي عليه جبة من طيالسة مكفوفة بديباج، أو مزرورة بديباج، فقال: إن صاحبكم هذا يريد أن يرفع كل راع ابن راع، ويضع كل فارس ابن فارس، فقام النبي {صلى الله عليه وسلم} مغضبا فأخذ بمجامع جبته فاجتذبه وقال: لا أرى عليك ثياب من لا يعقل، ثم رجع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فجلس فقال: إن نوحا ـ عليه السلام ـ لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال: إنى قاص عليكما الوصية، آمركما باثنتين، وأنهاكما عن اثنتين، أنهاكما عن الشرك والكبر، وآمركما بلا إله إلا الله، فإن السموات والأرض وما فيهما لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح، ولو أن السموات والأرض كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليهما لفصمتهما أو لقصمتهما، وآمركما بسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء).

وفاة نوح ـ عليه السلام ـ:

سبق الحديث عن مدة دعوة نوح ـ عليه السلام ـ في قومه، وعرضنا كثيرا من الأقوال في مدة نوح ـ عليه السلام ـ في قومه، ومن ذلك ما نقله الشوكاني[٢٧] مما أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم

وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه عن عائشة قالت: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] (كان نوح مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم، حتى كان آخر زمانه غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب، ثم قطعها ثم جعل يعملها سفينة، ويمرون عليه فيسألونه، فيقول: أعملها سفينة، فيسخرون منه ويقولون: يعمل سفينة في البر، وكيف تجرى؟ قال: سوف تعلمون، فلما فرغ منها وفار التنور وكثر الماء في السكك خشيت أم الصبي عليه..) الخ.

وقلنا: إن القصة صريحة في أنه مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، ثم بدأ في الاستعداد لصناعة السفينة بزراعة الشجر، ثم صناعة السفينة.

وقال ابن كثير:[٢٨] قال بعض علماء السلف: لما استجاب الله له - أى لنوح - أمره أن يغرس شجرا ليعمل منه السفينة، فغرسه وانتظره مائة سنة، ثم نجره في مائة أخرى، وقيل في أربعين سنة.

وقال ابن سعد[٢٩]: بعث الله نوحا إليهم وهو ابن أربعمائة وثمانين سنة، ثم دعاهم في نبوته مائة وعشرين سنة، ثم أمره بصنعة السفينة، فصنعها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق، ثم مكث بعد السفينة ثلاثمائة وخمسين سنة.

ويعلق ابن كثير علي مثل ذلك القول الذى نقل عن أهل الكتاب فيقول: (فإن القرآن يقتضى أن نوحا مكث في قومه بعد البعثة وقبل الطوفان ألف سنة إلا خمسين عاما، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون. ثم الله أعلم كم عاش بعد ذلك.

فإن كان ما ذكر محفوظا عن ابن عباس، من أنه بعث وله أربعمائة وثمانون سنة وأنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، فيكون قد عاش على هذا ألف سنة وسبعمائة وثمانين سنة[٣٠].

ونقل النويرى عن كعب[٣١]: بعث الله - عز وجل - نوحا الى قومه، وله مائتان وخمسون سنة ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، وعاش بعد الطوفان مائتى سنة، فلما حضرته الوفاة دعا بابنه سام وقال له: أوصيك يا بني باثنين، وأنهاك عن اثنين: أوصيك بشهادة أن لا إله إلا الله؛ فإنها تخرق السموات السبع لا يحجبها شيء، والثانية أن تكثر من قولك: سبحان الله وبحمده؛ فإنها جامعة الثواب. وأنهاك عن الشرك بالله، والاتكال على غير الله.

فلما فرغ من ذلك أتاه ملك الموت، فسلم عليه، فقال: من أنت؟ فقد ارتاع قلبي من سلامك. قال: أنا ملك الموت، جئت لقبض روحك، فتغير وجهه وجزع، فقال له: ما هذا الجزع، ألم تشبع من الدنيا في طول عمرك؟ قال: ما شبهت ما مضى من عمرى في الدنيا إلا بدار لها بابان، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر. فناوله ملك الموت كأسا فيه شراب وقال: اشرب هذا حتى يسكن روعك. فلما شربه خر ميتا - عليه السلام -

ويرى عبد الوهاب النجار[٣٢] أن طول الأعمار في آدم ونوح - عليهما السلام - ومن في زمنهما لا مانع من ذلك، ولكن من بعدهم لا يبلغون مثل ذلك العمر، وأن الفراعنة في مصر يتبين أن أعمارهم قريبة من أعمار الذين يعيشون في زماننا غير أن طول عمر السابقين يرجع لعوامل النشأة وقلة الهموم



والأمراض والاقتصاد في الطعام والشراب.

ثم يقول: وهنا رأى آخر وهو أن الأقوام الأولين كانوا يعدون كل شهر عاما فإذا قالوا ألفا ومائتى سنة، فإنما يعنون مائة عام من أعوامنا وقد أشار إلى ذلك المعرى بقوله:

ورووا للمـــعـــمَّـــرين أمـــورا
لست أدرى مـا هن في المشــهـور
أتراهم فـيـمـا تقـضى من الأيـ
ـام عــدوا سنيــهم بالشــهـور
كلمـــا لاح للعــيـــون هلال
كـان عـامـا لديهـمـو في الدهور
هكذا ينبـــغى وإلا فـــإن الـ
ـعــقل يثنى في حـالة المبـهـور

ولكنى متمسك برأيي وهو الأول.

واختلف في المكان الذى دفن فيه نوح ـ عليه السلام ـ فذكر كثير من المتأخرين بأنه دفن ببلدة بالبقاع تعرف اليوم (بكرك نوح) وهناك جامع قد بنى بسبب ذلك.

ويقوى ابن كثير الرأى القائل بأن قبره ـ عليه السلام ـ بالمسجد الحرام، روى ذلك ابن جرير والأزرقى عن عبد الرحمن بن سابط أو غيره من التابعين مرسلا ـ والله أعلم ـ

ـ للبحث صلة ـ

الهوامش :

(١) الصافات: ٧٥ ـ ٨٢.
(٢) تاريخ الأمم والملوك جـ١ ص ١٩١.
(٣) المرجع السابق.
(٤) الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٤١.
(٥) منتخب كنز العمال جـ ٤ ص ٣٣٣.
(٦) قصص الأنبياء ص ٨٠.
(٧) نهاية الأرب جـ ١٣ ص ٤٤.
(٨) الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٤٣.
(٩) نهاية الأرب جـ ١٣ ص ٥١.
(١٠) طبقات ابن سعد جـ ١ ص ٤٤.
(١١) يراجع بقيته فيما أشرنا إليه.
(١٢) ص ٨٨.
(١٣) جـ ١ ص ١٧٨.
(١٤) تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٣٠٠.
(١٥) تفسير القرآن الكريم جـ٣ ص ٥٦٤.
(١٦) منتخب كنز العمال جـ ٤ ص ٣٣٣.
(١٧) الثعلبي: قصص الأنبياء ص ٣٦.
(١٨) الذاريات/ ٤٦.
(١٩) الأحزاب/ ٧.
(٢٠) النساء/ ١٦٣.
(٢١) الإسراء/ ٣.
(٢٢) قصص الأنبياء/ ٩١.
(٢٣) المرجع السابق ص ٩٢.
(٢٤) الفتى من الإبل.
(٢٥) جـ ٢ ص ١٦٩ و٢٢٥.
(٢٦) المرجع السابق ص ٢٢٥.
(٢٧) فتح القدير جـ ٢ ص ٦٢١.
(٢٨) قصص الأنبياء ص ٧٧.
(٢٩) الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٤٠.
(٣٠) قصص الأنبياء ص ٩٣.
(٣١) نهاية الأرب جـ ١٣ ص ٥٠.
(٣٢) قصص الأنبياء ص ٦٧.

قصة صاحب الجنتين

هذه القصة تضرب مثلا لمن يستنكف عن مجالسة المؤمنين، والمقصود من هذا أن الكفار افتخروا بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين فبين الله تعالى أن ذلك مما لا يوجب الافتخار لاحتمال أن يصير الفقير غنياً والغنى فقيراً، أما الذى يجب حصول المفاخرة به فطاعة الله وعبادته وهى حاصلة لفقراء المؤمنين وبين ذلك بضرب هذا المثل المذكور في الآية فقال: {واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً} (الكهف / ٣٢).

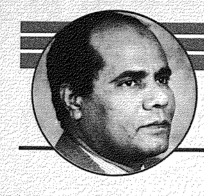
وتبدأ القصة بمشهد الجنتين في ازدهار وفخامة. فجعلنا لأحدهما وهو الكافر بستانين من الكروم المتنوعة، وجعلنا النخيل محيطة بهما وهذا ما يؤثره الدهاقين في كرومهم أن يجعلوها مؤذرة بالأشجار ولا سيما المثمرة منها وخاصة النخيل[١]. وجعلنا وسطها زروعاً حتى يجمعا بين القوت والفاكهة وهما بذلك الوضع لهما الشكل الأنيق والوضع السليم.

شرح الآية (٣٣):

{كلتا الجنتين آتتْ أُكُلهَا ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نَهَراً} (الكهف/٣٣) «كلتا الجنتين» أى كل واحدة منهما «آتت أكلها» أى أخرجت ثمارها كاملا غير منقوص. ويختار التعبير كلمة «تظلم» في معنى تنقص وتمنع لتقابل بين الجنتين وصاحبهما الذى ظلم نفسه فبطر ولم يشكر، وازدهى وتكبر. وقد فجر الله وسط كل حديقة نهراً على حدة ليسقيها بلا تعب ومشقة، ويزيدها بهاء وروعة[٢].

شرح الآية (٣٤):

كان لهذا الكافر ثمر ومال من غير البستان إذ كان من الأثرياء الكبار. وقال الكسائى الثمر اسم الواحد والثمر جمعه ثمار. وذكر أهل اللغة أن الثمر بالضم أنواع الأموال من الذهب والفضة وغيرهما والثمر بالفتح حمل الشجر[٣]. وها هو صاحب الجنتين تمتلىء نفسه بهما، ويزدهيه النظر إليهما، فيحس بالزهو، وينتفش كالديك، ويختال كالطاووس،



بقلم : د. مصطفى رجب - مصر

ويتعالى على صاحبه الفقير **{وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعزّ نفرا}** (الكهف/٣٤). فهو يحاوره ويجادله شأن كل غني مغرور مع مؤمن فقير صالح، وقد روى أنهم إخوان ورثا مالا أما الكافر فاستغله في أرض ودار وزوجة وخدم وحشم وأما المؤمن فأنفق نصيبه في سبيل الله. يا أخي: أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا وأكثر خدماً وولداً.

شرح الاية (٣٥):

ودخل مع صاحبه جنته الواسعة العريضة، الجنة ذات الجناحين الجنة التي ليس له غيرها إذ هي متاعه في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب. وملء نفسه البطر. وملء جنبه الغرور، وقد نسي الله، ونسي أن يشكره على ما أعطاه، ودخلها وهو ظالم لنفسه معجب بما أوتي، مفتخر به كافر بالنعمة، معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو أفحش أنواع الظلم. وفي الظلم يقول المتنبي[٤]:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذا عفة فلعله لا يظلم

وقال لطول أمله وشدة حرصه، وتمام عقله وكثرة غروره بها قال: ما أظن أن تبيد وتفنى هذه الجنة أبداً وذلك اغتراراً منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطرودة في جوانبها وأرجائها ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة[٥].

شرح الآية (٣٦):

استكمالا لما سبق إيضاحه من اعتزاز هذا الكافر وإعجابه بالحياة الدنيا وكفره بالآخرة قال: **{وما أظن الساعة قائمة ولئن رددتّ الى ربي لأجدنّ خيراً منها منقلباً}** (الكهف/٣٦).

«أي كائنة فيما سيأتي وأقسم لئن رجعت الى ربي على سبيل الفرض، أو كما يزعم صاحبنا المؤمن لأجدن جنة خيراً من هذه الجنة مرجعاً وعاقبة. ونسمع من جهلتنا المنتسبين للإسلام مثل هذا القول (غنى الدنيا غنى الآخرة) فهم لسوء فهمهم يظنون أن اليسار والغنى إنما يعطى في الدنيا لاستحقاقه ذلك.

إن الغرور يخيل لذوى الجاه والسلطان والمتاع والثراء، أن القيم التي يعاملهم بها أهل هذه الدنيا الفانية تظل محفوظة لهم حتى في الملأ الأعلى! فما

دامـوا يسـتطيلون على أهل هذه الأرض فـلابد أن يكون لهم عند أهل السماء مكان ملحوظ![٦].

شرح الآية (٣٧):

وماذا قال له أخوه المؤمن؟ قال له وهو يحاوره: يأيها الإنسـان. أكفـرت بالذى خلق أباك الأول من تراب ثم خلقك أنت من نطفة ثم سواك فعدلك رجلا سوياً؟! أبعد هذا تقول: «ما أظن الساعة قائمة»، **{يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تُراب ثُم من نطفة ثُم من علقة ثُمّ من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يُتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج}** (الحج/٥).

فقوله «خلقك من تراب» أى خلق أصله وهو إشارة الى مادته البعيدة وقوله «من نطفة» إشارة الى مادته القريبة ومعنى سوّاك رجلا عدلك وجعلك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال المكلفين. ولعل السر في تخصيص الله سبحانه وتعالى في هذا المقام بهذا الوصف هو أن يكون دليلا على وجود الصانع سبحانه وتعالى وإشارة أيضاً الى إمكان البعث لأن الذى قدر على الإبداء أقدر على الإعادة[٧].

شرح الآية (٣٨):

وهكذا تنتفض عزة الإيمان في النفس المؤمنة فلا تبالى المال والنفر، ولا تدارى الغنى والبطر، ولا تتلعثم في الحق، ولا تجامل فيه الأصحاب، وهكذا يستشعر المؤمن أنه عزيز أمام الجاه والمال، وإن ما عند الله خير من أعراض الحياة، وأن فضل الله عظيم وهو يطمع في فضل الله ووحدانيته فيقول: لكنا هو الله ربى وحده لا شريك له، له الحكم وإليه ترجعون دليل على قوة إيمانه بالله سبحانه وتعالى المعبود وحده لا شريك له.

شرح الآية (٣٩):

{ولولا إذ دخلت جنتك قُلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا} (الكهف/ ٣٩).

أى هلا إذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك وقلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله. ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل ما شاء الله لا قوة إلا بالله وهذا مأخوذ من الآية الكريمة، وروى عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال لأبى هريرة: **ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة قلت: بلى يارسول الله قال: لا حول ولا قوة إلا بالله إذا قالها العبد قال الله عز وجل أسلم عبدى واستسلم**[٨].

وروى أيضاً عن النبي {صلى الله عليه وسلم}

من رأى شيئاً فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره فبدلا من أن تقول: ما أظن أن تبيد هذه أبداً، وهذه المقالة لا تصدر إلا من شخص مغرور مأفون يظن أن له قوة وحولا، وأن الأمر بيده لا بيد الله، وأنه الزارع الذى أعطى هذا الزرع عن علم وتجربة، وأن سماده ونظامه هما اللذان أنتجا! ألا بئس ما يفهم الناس في دنياهم[٩]، إن ترى أنا أقل منك مالا وولداً في هذه الدنيا الفانية.

شرح الآيتين (٤٠) ، (٤١):

{فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حُسبانا من السماء فتصبح صعيداً زلقاً} (الكهف/ ٤٠). أى في الدار الآخرة «ويرسل عليها» أى على جنتك في الدنيا التى ظننت أنها لا تبيد ولا تفنى، «حسبانا من السماء» أى عذاباً من السماء والظاهر أنه مطر عظيم مزعج يقلع زرعها وأشجارها. والحسبان مصدر كالغفران بمعنى الحساب أى مقداراً وقع في حساب الله وهو الحكم بتخريبها. وعن الزجاج عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يداك وقيل هو جمع حسبانه وهو السهم القصير يعنى الصواعق.

«فتصبح صعيداً زلقا» أى فتصبح جنتك أرضاً ملساء لا نبات فيها والصعيد وجه الأرض، زلقا أى تصير بحيث تزلق الرجل عليها زلقاً، أو يصبح ماؤها غوراً أى غائراً لا تدركه الأيدى بأى شكل ولا تستطيع له طلباً فضلا عن إدراكه[١٠].

وهكذا ينقلنا السياق من مشهد النماء والازدهار الى مشهد الدمار والبوار. ومن هيئة البطر والاستكبار الى هيئة الندم والاستغفار فلقد قال ما توقعه الرجل المؤمن.

شرح الآية (٤٢) :

وهو مشهد شاخص كامل: الثمر كله مدمر كأنما أخذ من كل جانب فلم يسلم منه شيء والجنة خاوية على عروشها مهشمة محطمة. وصاحبها يقلب كفيه أسفاً وحزناً على ماله الضائع وجهده الذاهب. وهو نادم على إشراكه بالله، يعترف الآن بربوبيته ووحدانيته. ومع أنه لم يصرح بكلمة الشرك، إلا أن اعتزازه بقيمة أخرى أرضية غير قيمة الإيمان كان شركاً ينكره الآن، ويندم عليه ويستعيذ منه بعد فوات الأوان[١١].

شرح الآيتين (٤٣) ، (٤٤) :

{ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً} (الكهف/ ٤٣). أى انه ما حصلت له فئة أو عشيرة يقدرون على نصرته من دون الله تعالى فوحده القادر على نصرته ولا يقدر أحد غيره أن ينصره إذ هو القادر وحده على دفع العذاب، وما كان هو في حد ذاته منتصراً بنفسه.

{هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخيرٌ عُقباً} (الكهف/٤٤). هناك الولاية لله ينصر بها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفى صدورهم من أعدائهم يعنى أنه تعالى نصر بما فعل بالكافر أخاه المؤمن، فالله هو الحق تبارك وتعالى خير ثواباً وخير عقبى للعباد المتقين.

شرح الآية (٤٥):

وهذا المشهد يضرب مثلا للحياة الدنيا كلها، فإذا هى كتلك الجنة المضروبة قصيرة قصيرة، لا بقاء لها ولا قرار. وهذا المثل يدل على حقارة الدنيا وقلة بقائها. والكلام متصل بما تقدم من قصة المشركين المتكبرين على فقراء المسلمين[١٢].

{واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً} (الكهف/٤٥).

أي اذكر لهم يا محمد صفة الدنيا في زوالها وفنائها وانقضائها كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض، فنبت الزرع واخضر واختلط بعضه من كثرته وتكاثفه فأصبح ذلك النبات الغض الوارف صاحب الظل الدائم، والبهجة والمنظر أصبح هشيماً يابساً تفرقه الرياح ذات اليمين وذات الشمال. **{إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون}** (يونس/٢٤).

وكان الله على كل شيء مقتدرا بتكوينه أولا وتنميته وسطاً وإبطاله آخراً، وأحوال الدنيا أيضاً كذلك تظهر أولا في غاية الحسن والنضارة ثم تتزايد قليلا قليلا ثم تأخذ في الإنحطاط الى أن تنتهى الى الهلاك والفناء. وعن المستورد بن شداد رضى الله عنه، قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثلُ ما يجعلُ أحدكم إصبعه في اليم. فلينظر بما يرجعُ؟**»[١٣].

شرح الآية (٤٦):

المال والبنون زينة الحياة، والإسلام لا ينهى عن المتاع بالزينة في حدود الطيبات ولكنه يعطيها القيمة التى تستحقها الزينة في ميزان الخلود ولا يزيد. فالافتخار بالمال والبنين عرض زائل، ومتاع حائل وزينة الدنيا الفانية، ولعل تقديم المال على البنين لأنه أدخل في باب الزينة من الأولاد.

وليس لأحد أن يفتخر بها حيث كان لهذا فقط بل الباقيات الصالحات من الأعمال الخيرية خير وأبقى عند ربك إذ ثوابها عائد على صاحبها، «وخير أملا» ينال بها صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله. وإذا كان أمل الناس عادة يتعلق بالأموال

والبنين فإن الباقيات الصالحات خير ثواباً وخير أملا عندما تتعلق بها القلوب، ويناط بها الرجاء ويرتقب المؤمنون نتاجها وثمارها يوم الجزاء[١٤].

المضامين التربوية في قصة صاحب الجنتين:

لقد حفلت قصة صاحب الجنتين بالكثير من القيم التربوية المهمة ونشير الى بعضها فيما يلي:

١. أسلوب ضرب الأمثال:

لقد بدأت قصة صاحب الجنتين {**واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً**} (الكهف/٣٢) وضرب لنا سبحانه وتعالى هذا المثل ليبين لنا حقيقة النفس المعتزة بالحياة والنفس المعتزة بالله، برجلين: صاحب الجنتين نموذج للرجل الثرى المعتز بماله وجاهه وما عنده من نعم، وصاحبه نموذج للرجل المؤمن المعتز بإيمانه الذاكر لربه. والمثل بفتحتين، والمثل بالكسر، والمثيل كالشبيه وزناً ومعنى في الجملة، وهو من (مثل الشيء مثولا) إذا انتصب بارزاً فهو ماثل، ومثل بالتحريك، وصفته التى توضحه وتكشف عن حقيقته، أو ما يراد بيانه من نعمته وأحواله، وقد يكون تمثيل الشيء، أى وصفه والكشف عن حقيقته عن طريق المجاز أو الحقيقة، بتشبيهه، وأبلغه تمثيل المعانى المعقولة بالصورة الحسية.

وتتمثل الثمرة التربوية في هذا المضمون في ضرورة أهمية استخدام هذا الأسلوب في المجال التربوى لما لهذا الأسلوب من أهمية في إيضاح حال من الأحوال وإظهار حسنه من قبحه وما كان منه خفياً واختير لفظ (الضرب) لأنه يأتى عند إرادة التأثير وإثارة الانفعال، كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعاً ينفذ أثره الى قلبه وينتهى الى أعماق نفسه. ومن هنا يجب أن يعمم استخدام هذا الأسلوب المشوق والمهم في المجال التربوى بصفة عامة والمدرسة والمدرسين بصفة خاصة حتى يتم التعلم بصورة سليمة وواضحة وبدون إهدار للوقت والجهد.

٢. الاهتمام بالكيف لا بالكم:

ويظهر هذا المضمون واضحاً من خلال هذه القصة، عندما اغتر صاحب الجنتين بما عنده من مال وجاه وولد على صاحبه المؤمن بالله والمعتز به. فهذا المؤمن عزيز أمام الجاه والمال وإن ما عند الله خير من أعراض الحياة، وأن فضل الله عظيم وهو يطمع في فضل الله بعكس هذا الكافر بنعم الله المفتخر بما عنده من نعم كثيرة. {**وكان له ثمرٌ فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعزّ نفراً**} (الكهف/٣٤).

فهنا اهتم هذا الرجل الجاحد بما عنده من كثير النعم والجاه والمال ونسى أن الله سبحانه

وتعالى هو الذى أعطاه ذلك المال والجاه. وهو القادر على سلبه إياه كما أعطاه. أما الرجل المؤمن القانع الراضي بما قسمه الله له فهو معتز بإيمانه لأن هذا الإيمان هو الذى يشعره بالرضا والسعادة وأن ذلك أفضل من كنوز هذه الدنيا «إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا» فهو مع قلة ما عنده من مال وولد إلا أنه أفضل عند الله من الذى يغتر بما عنده من مال وولد وجاه وسلطان، وظنه أنه أفضل من هذا المؤمن بالله بما عنده من الجاه والأموال والأولاد. فهذا كله زائل لا محالة ولا يبقى إلا العمل الصالح.

فعن أنس رضى الله عنه، أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال **«يتبع الميت ثلاثة أهله وماله وعمله: فيرجع اثنان ويبقى واحد: يرجع أهله وماله ويبقى عمله»**[١٥].

وتتمثل الثمرة التربوية في هذا المضمون في ضرورة الاهتمام بالكيف لا بالكم، أى بنوعية ما يدرس لا بكثرته وكميته، ومن الملاحظ في هذا الوقت أن الاهتمام بالكم لا بالكيف وذلك واضح في كثرة الحشو في المناهج المختلفة بما ليس له أهمية تخدم وتفيد الدارسين.

فيجب هنا أن يراعى نوعية ما يُدرس ومدى الاستفادة منه وليس بكثرته فمن الأفضل أن يدرس الطالب موضوعات قليلة تفيده ويفهمها جيداً ويستفيد منها بدلا من دراسته موضوعات كثيرة في مجالات متعددة لا يستطيع الإلمام بها والاستفادة منها. **فلابد أن يراعى عند إعداد المناهج نوعية الموضوعات المختارة ومدى ملاءمتها للدارسين ومدى الاستفادة منها وفهمها** والبعد عن الحشو في المقررات بما ليس له أهمية تفيد الدارسين أى يكون الاهتمام بالكيف لا بالكم وليس العكس.

٣ ـ التواضع وعدم الغرور :

يتضح من خلال هذه القصة مدى غرور هذا الرجل وإعجابه وكبره، فما عنده من المال والجاه والأولاد جعله يتكبر على أخيه المؤمن ويتعالى عليه «أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا» فهو بذلك اغتر بما عنده وتفاخر وتكبر وجحد نعمة الله عندما ظن أن هذه البساتين الوارفة الظلال المليئة بالزروع والثمار والأشجار والأنهار ـ لا تفنى ولا تهلك **{ودخل جنتهُ وهو ظالمٌ لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً}** (الكهف/٣٦).

وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة. ويقول سبحانه وتعالى محرماً الكبر والإعجاب **{ولا تُصَعِّر خدَّك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحبّ كل مختال فخور}** (لقمان/١٨).

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[١٦]. أما

التواضع فهو شيمة العظماء فكان الرجل المؤمن مثالا للتواضع والقناعة والرضا. معتزاً بإيمانه ذاكراً لربه فمع أنه فقير لا مال له ولا نفر، ولا جنة عنده ولا ثمر.. فإنه معتز بما هو أبقى وأعلى معتز بعقيدته وإيمانه. منكراً على صاحبه المتبطر والمغرور بطره وكبره. والرسول الكريم {صلى الله عليه وسلم} يحثنا على التواضع وعدم التكبر والغرور حيث قال «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[١٧].

وتتمثل الثمرة التربوية في هذا المضمون بضرورة أن يتحلى جميع العاملين في الحقل التربوى بسمة التواضع وعدم التكبر والتعالى وعلى الأخص المعلمين فلابد أن يكونوا قدوة لتلاميذهم في أخلاقهم وسلوكهم وأن يتحلوا بالصفات الحميدة والطيبة وعلى رأسها التواضع حتى يكتسب التلاميذ هذه الصفة الحميدة ويتحلون بها في سلوكهم وأعمالهم جميعاً.

فإذا سارت هذه القيمة النبيلة بين المعلمين والتلاميذ سارت العملية التعليمية بصورة حسنة وطيبة مليئة بالحب والتعاون والإخلاص.

٤ ـ ضرورة الاستناد الى الحجة والبرهان في المحاورة والنقاش:

ويظهر ذلك من خلال القصة في أكثر من موضع ومن هذه المواضع عندما اغتر صاحب الجنتين وتكبر على أخيه المؤمن «فقال لصاحبه وهو يحاوره» أي يجادله شأن كل غنى مغرور مع مؤمن فقير صالح. ويظهر هذا الحوار والجدال واضحاً في موضع آخر من القصة عندما تنتفض عزة الإيمان في النفس المؤمنة «قال لصاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوَّاك رجلا» وهذا المؤمن استند بما لديه من علم وحجة في محاورة ومجادلة صاحبه الكافر بالله ونعمه فقال له أكفرت بالذى خلق أباك الأول من تراب ثم خلقك أنت من نطفة ثم سواك فعدلك رجلا سويا؟!.

وتتمثل الثمرة التربوية في هذا المضمون في ضرورة الاستناد الى العلم والحجة والحقائق العلمية في الحوار والمناقشة وألا يجادل الفرد بغير علم ولا حجة، فلابد أن يكون الفرد على علم وبيِّنة فيما يجادل فيه، فعندما تكون المناقشة والمجادلة قائمة على حقائق علمية سليمة يكون ذلك أفضل ويساعده على امتناع الآخرين بما يقول.

وفيما يلى نسوق هذين البيتين الذين يوضحان ما لأهمية العلم وطلبه فيقول الشاعر:

العلم نور وخير الناس يطلبه
والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تحيا به أبداً
الناس موتى وأهل العلم أحياء

٥ ـ عقيدة التوحيد:

ويتمثل هذا المضمون في أكثر من موضع في هذه القصة والتى فيها يتضح مدى إيمان هذا الرجل

المؤمن بالله ورسوخ عقيدته عندما يستشعر أنه عزيز أمام المال والجاه وأن ما عند الله خير من أعراض الحياة فهو يطمع في فضل الله ووحدانيته ويظهر ذلك في قـوله «لكنَّا هو الله ربي ولا أشـرك بربي أحدا»، فالمؤمن بالله تعالى يصدق بوجود الرب وأنه عـز وجل فـاطر السمـوات والأرض عـالم الغـيب والشـهـادة، رب كل شيء ومليكه، لا إله إلا هو، ولا رب غيره وأنه جل وعلا موصوف بكل كمال منزه عن كل نقصان[١٨].

ويظهر هذا المضمون في موضع آخر من هذه القـصـة عندمـا أهلك الله تبـارك وتعـالى جنة هذا الجاحد بنعم الله، والكافر بها، وذلك عندما أرسل الله تعالى على هذه الجنة حسباناً من السماء وعذاباً من عنده فيقول «ياليتنى لم أشرك بربى أحدا» فهنا اعترف بربوبية الله ووحدانيته وندم على الإشراك به - مع أنه لم يصرح بكلمة الشرك، إلا أن اعتزازه بقيمة أرضيـة غيـر قيـمـة الإيمان كـان شركـاً ينكره الآن، ويندم عليه ويستعيذ منه بعد فوات الأوان ومعنى العقيدة الإسلامية هي الإيمان الجازم بالله تعالى وما يجب له من التوحيد والطاعة، بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وسائر ما ثبت من أمـر الغـيب والإخـبـار والقطعـيـات علمـيـة كـانت أم عملية[١٩].

وتتمـثل الثمرة التربوية في هذا المضـمـون في ضرورة أن يعبد كل فرد الله تعالى وحده لا شريك له في ربوبيتـه وألوهيتـه وأسمـائه وصفـاته وهو رب العـالمين المستـحق وحده لجميع أنواع العبادة، وأن يبتعد عن الخرافات والجدل والشعوذة والكهانة وبالتالى تصبح العقيدة منتقاة خالصة مما ألصق بها من الشوائب التى لا تمت إلى الدين في شيء.

وفيما يلي بعض الآيات التى تؤكد العقيدة الإسلامية:

- {**.. إنه من يُشرك بالله فقد حرّم اللهُ عليه الجنة ومـأواه النار ومـا للظالمين من أنصـار**} (المائدة/٧٢).

- وقول الله عز وجل لنبيه محمد {صلى الله عليه وسلم} {**فـاعلم أنه لا إله إلا الله واسـتـغفـر لذنبك وللمـؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثـواكم**} (محمد/١٩).

- وكذلك قوله تعـالى {**إنني أنا اللهُ لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري**} (طه/١٤).

٦ ـ القناعة كنز لا يفنى :

ويتضح لنا من خلال قصة صاحب الجنتين مدى قناعة الرجل المؤمن وزهده في الدنيا ورضائه بما عنده، وتمثل ذلك في أكثر من موضع في هذه القصة، وذلك عندما تفاخر عليه صاحبه وتكبر فقال له «أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا» فكثرة المال والجاه هنا هي سبب الإغترار والتفاخر والفتنة، وصدق الرسول الكريم {صلى الله عليه وسلم} حين قال «**إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتى المال**»[٢٠]، أما القناعة فهى كنز لا يفنى، لأن كل شيء زائل لا محالة ولا يبقى

للإنسان إلا العمل الصالح بعد مماته. فكان الرجل المؤمن مع أنه أقل مالا وولداً من صاحبه الكافر إلا أنه قانعٌ راض بما قسمه الله له وهذا الرضى هو سبب سعادته وتفاؤله برضا الله ومغفرته سبحانه وتعالى، زاهداً في هذه الدنيا الفانية التى لا تساوى عند الله جناح بعوضة، وصدق لبيد بن ربيعة حين قال:

ألا كُلُّ شيء ما خلا الله باطل

وكل نعيم لا محالة زائل

وتتمثل الثمرة التربوية في هذا المضمون أن يتحلى كل من يعمل في المجال التربوى بالقناعة والرضا بما عنده وبما قسمه الله له حتى يعيش سعيداً، ويجب أن تُكسب هذه القيمة الطيبة الى التلاميذ منذ نعومة أظفارهم حتى يشبوا على هذا المبدأ الطيب في سلوكهم وأخلاقهم وفيما بينهم، وإبعادهم عن الطمع والنظر الى ما عند غيرهم. فهذا المبدأ مهم جداً في المجال التعليمى حتى يسود جو من الرضى والقناعة وعدم الطمع، لأن الرضا بما قسم الله لنا هو سبب السعادة والحب فيما بيننا.

٧ـ الجرأة في الحق :

ويتمثل هذا المبدأ من خلال هذه القصة في موقف الرجل المؤمن بالله والمعتز بإيمانه وعقيدته من صاحبه الكافر المغتر بما عنده من نعم عندما قال له بكل جرأة «**أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا**» فهكذا تنتفض عزة الإيمان في النفس المؤمنة، فلا تبالى المال والنفر، ولا تتلعثم في الحق وهكذا يشعر المؤمن أنه عزيز أمام الجاه والمال، وأن ما عند الله خير من أعراض الحياة، وأيضاً قوله «لكنّا هو الله ربى ولا أشرك بربي أحدا» دليل على قوة إيمانه وجرأته في الحق وحسن عبادته لله سبحانه وتعالى المعبود وحده لا شريك له.

وتتمثل الثمرة التربوية في هذا المضمون في ضرورة تعويد الدارسين على الجرأة في المواقف المختلفة التى يتعرضون لها حتى ينشأوا ويتعودوا على مواجهة جميع المواقف بكل قوة وشجاعة وهذا يتوقف على المعلم أثناء تعامله مع طلابه في الفصل فيجب عليه أن يعطى الطالب الحرية الكاملة وعدم مقاطعته أثناء المناقشة المختلفة التى تعودهم على الجرأة والإقدام والشجاعة مثل الإذاعة المدرسية والصحافة من خلال عمل لقاءات متنوعة مع شخصيات مختلفة، ومثل هذه الأنشطة وغيرها تساعد الطالب وتعوده على الجرأة والشجاعة ومواجهة أى موقف يتعرض له، وتبعده عن الجبن والخوف من مواجهة المواقف المختلفة، فالجرأة في الحق هي الطريق الى النجاة.

٨ـ العقاب من جنس العمل :

ظهر لنا من خلال هذه القصة موقف الرجل الكافر بنعم الله والمغتر بما عنده من مال وجاه فهو لم يأخذ بنصيحة أخيه المؤمن له من عدم الغرور

والتكبر والإعجاب ولم يتعظ من خلال محاورته له بأن هذا التكبر والتغطرس والغرور سوف يؤدى الى الضياع والهلاك لما عنده من مال وجاه، وهذا الكافر بنعم الله والمغتر بما عنده نتيجة لتكبره وبطره الشديد وظنه أن هذه الأموال والجنان لن تفنى ولا تزول أبداً وكان نتيجة ذلك أن عاقبه الله بما صنع من غرور وتكبر وتفاخر فكانت الحسرة والندم على ما ضاع منه وهلك «فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها» مهشمة محطمة، فندم على إشراكه بالله، والآن يعترف بربوبيته ووحدانيته ولكن بعد فوات الأوان.

وتتمثل الثمرة التربوية في هذا المضمون من أهمية وضرورة استخدام الثواب والعقاب في المجال التربوى عامة وحجرة الدراسة خاصة. فيجب أن يثاب من يحسن العمل ويتقنه، ولا يشترط هنا أن يكون الثواب مادياً، بل يمكن أن يكون معنوياً أيضاً عن طريق المدح والتشجيع والإطراء، أما العقاب فلابد أن يكون من جنس العمل بمعنى أن يعاقب من يخطىء على قدر الخطأ، وليس المقصود بالعقاب هنا الإهانة والضرب بقدر ما يقصد منه الإصلاح والتقويم.

ونؤكد هنا أهمية هذا الأسلوب في المجال التربوى عامة واستخدامه في حجرة الدراسة بصفة خاصة، ويجب مكافأة من يستحق المكافأة، ومعاقبة من يخطىء حتى يرجع الى الصواب وفي ذلك يؤكد الحق تبارك وتعالى هذا المبدأ في قوله **{فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره}** (الزلزلة/ ٧، ٨).

٩. الحسرة والندم نتيجة حتمية للكبر والإعجاب:

وكما سبق أن عرفنا في هذه القصة ما حدث لهذا الكافر والجاحد بنعم الله والمغتر بما عنده والمتكبر على صاحبه المؤمن المعتز بإيمانه وعقيدته، أن عاقبه الله جل وعلا نتيجة لشركه بالله وظنه أن ملكه وماله وجاهه لا يزول ولا يفنى أبداً وكذلك نتيجة لتكبره وغروره وعدم أخذه بنصيحة أخيه المؤمن عندما ذكره بمنشأه «أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوَّاك رجلا» فنتيجة لكفره وشركه وعناده أن أهلك الله ما عنده من الجنان والأموال وكل ما يملك ونتيجة ذلك حزن وندم ندماً شديداً على هذه الجنان وما أنفق فيها وهى محطمة مهشمة «فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا».

وتتمثل الثمرة التربوية في هذا المضمون في ضرورة التخطيط السليم المنظم من خلال دراسة جميع الظروف والإمكانات اللازمة لتحقيق الأهداف المنشودة ودراسة مدى نجاح هذه الخطة قبل التنفيذ حتى يسير العمل في طريقه السليم ويحقق الأهداف بدون فاقد أو خسارة حتى لا نندم في النهاية على شيء يصيبه الخلل والخطأ.

ويجب أيضاً توجيه الطلاب الى فعل السلوك

الطيب الإيجابى وعدم فعل السلوك الخاطىء حتى لا نندم نتيجة هذا الفعل فبالتوجيه السليم نصل الى بر الأمان والسلامة. ونؤكد هنا على أهمية وضرورة توحيد الجهود والتخطيط السليم المنظم للعمل التربوى حتى يتحقق أفضل عائد تربوى وتتم الفائدة ويتحقق الهدف بدون خسارة أو ندم فلابد أن يسود الجو التربوى روح المشاركة والتعاون بين جميع العاملين فيه.

الهوامش :

(١) محمد الرازى فخر الدين، تفسير الفخر الرازى. المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، المجلد الحادى عشر، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر)، ص ١٢٤.

(٢) محمد محمود حجازى، التفسير الواضح، الجزء الثانى عشر، ط٧، (القاهرة: دار غريب للطباعة ١٩٧٧، ص ٣.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الرابع، (القاهرة: دار الشروق ١٩٨٧، ص ٢٢٧٠).

(٤) أبو جعفر بن جرير الطبرى، جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الثامن، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر ١٣٢٨، ص ١٤٩.

(٥) محمد سليمان سليمان، نبذة مفيدة من أخلاق القرآن وأدبه، (القاهرة: دار الزهراء للطباعة والنشر ١٩٧٦، ص ٢٠.

(٦) أبو الفراس إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن الكريم، (بيروت: مكتبة التراث ١٩٨٠، ص ٨٢.

(٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، م٤ ، (مرجع سابق، ص ١٤٩).

(٨) أبو جعفر جرير الطبرى، جامع البيان في تفسير القرآن، م٨، (مرجع سابق، ص ١٤٩).

(٩) أبو عبد الله محمد بن الأنصارى القرطبي، تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، المجلد السادس، (القاهرة: دار الريان، ب ت، ص ٤٠١٧).

(١٠) محمد محمود حجازى، التفسير الواضح، مرجع سابق، ص ٦٥.

(١١) أبو الفدا إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، م٣، مرجع سابق، ص ٨٣.

(١٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، م٤، مرجع سابق ص ٢٢٧٠.

(١٣) محمد الرازى فخر الدين، تفسير الفخر الرازى، م١١، مرجع سابق، ص ١٢٩.

(١٤) أبو زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقى، رياض الصالحين، (القاهرة: دار نهر النيل للطباعة، ب.ت، ص ١٦٦).

(١٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، م٤ مرجع سابق، ص ٢٢٧٢.

(١٦) أبو زكريا بن شرف النووى الدمشقى، رياض الصالحين، مرجع سابق، ص ١٦٥.

(١٧) أبو زكريا بن شرف النووى الدمشقى، رياض الصالحين، مرجع سابق، ص ٢١١.

(١٨) نفس المرجع السابق، ص ٢٠٩.

(١٩) أبو زكريا بن شرف النووى الدمشقى، رياض الصالحين، مرجع سابق، ص ٠٧.

(٢٠) ناصر عبد الكريم العقل، مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، (الرياض: دار الوطن للنشر ١٩٩١، ص٥.



شعر : مصطفى عوض الله بشارة - السودان

من سلافة الروح !

شربتُ الراح صافية
من دنان الروح والطهرِ
وتنسَّمتُ عطرها فرحاً
بين طيف الحُلم والشعر
وتلوتُ الآية محكمة
من جليل الوحي والذكر
سطعتْ أنوارُها وهجاً
يبهرُ الإحساس بالنظر

* * *

غنَّيتُ الكلمة مُبتهجاً
بمعاني السيرة والسوَر
ونظرتُ الشمسَ مُنوِّرة
وضياء الأنجم والقمرِ
وجمالُ الكون يُمتعني
ببديع الخلق مع الصُوَر
تتجلَّى الرؤية باهرة
ببيان القُدرة والقدر

* * *

ما أعظم خالقنا الباري
نجَّى البشرية من خطر
ولآدم ... علَّمه الأسما
وجليل الحكمة للعبَر
والرُسُلُ هُداة أرسلهم
لطريق الإيمان العطر
غُرفُ الرضوان مُزيَّنةٌ
للقائم في ليل السَحَر
هبني رضوانك يا ربي
أن تُبعدَ أسبابَ الكدر

* * *

سُبحانَ المنعم، خالقنا
الأرض رواها بالمطر
وثوابُ التوبة يحمدُهُ
منْ سارَ على الدرب الوعر

* * *

ونبينا الهادى شافعُنا
في يوم البعث المنتظر
وهدانا اللهُ محجتهُ
بالنور الساطع بالفكر

* * *

فسرى ليلا ... وسمَا قدْراً
والرؤيةُ .. كانت .. بالبصر

* * *

أضرعُ للخالق مُبتهلا
أن يُسعد أوطاني بالظَفَر
أن يرفع راية أمتنا
تعلو مجداً بين البشر !

إعاقة طفل





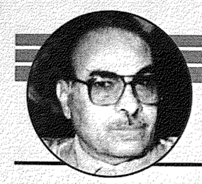
الإسلام والفنون الجميلة

(الحلقة السادسة)

انطلق عدد من العلماء الذين حرموا الرسم والنحت والتصوير من ظاهر نصوص عدد من الأحاديث النبوية الشريفة، ليقولوا إن السنة النبوية قد حرمت الصور والتماثيل للأحياء - حيوانات كانت أو انسانا - وأنها بذلك قد نسخت الإباحة التى كانت لها في شريعة النبي سليمان، عليه السلام.

وحتى إذا سلمنا بالقول بالنسخ - وكثيرون ينكرونه - فإننا سنجد أن علة حدوث هذا النسخ هي: تحول الصور والتماثيل - في الواقع الذى ظهر فيه الاسلام - الى معبودات، كما كان حالها لدى قوم إبراهيم، عليه السلام، وهو ما لم تكنه زمن نبوة سليمان.. وإذا كانت الأحكام تدور مع عللها وجودا وعدما، فإن التحريم للتماثيل والصور سيصبح، بداهة، مرهونا ومشروطا ومعللا بمظنة اتخاذها أندادا تشارك الله في الألوهية والتعظيم، فإذا ما انتفى هذا السبب وزالت هذه المظنة انتفى التحريم، وعادت الاباحة حكما للصور والتماثيل، من جديد.

ولحسن الحظ.. فإن «النظرة الشاملة»، وأيضا «الاستقرائية» للأحاديث النبوية التى رويت في «الصور والتماثيل» تؤكد هذا الذى نذهب إليه، وتقطع بأن التحريم مرهون ومشروط ومعلل بكون هذه الصور والتماثيل مظنة العبادة والإشراك بالله، كما أنها تفصح عن أن هذه الأحاديث التى تنهى عن «الصور والتماثيل» إنما كانت تعالج شئون جماعة بشرية هي قريبة عهد بالشرك والوثنية، وحديثة عهد بالتوحيد الاسلامي، وأن توحيدها لله سبحانه قد خرج بها من هذه الحالة خروج الدواء بالمريض من مرحلة العلة الى بدايات طريق الشفاء.. فهى قد خرجت من الوثنية وعبادة الصور والتماثيل، لكنها كانت لا تزال في «دور النقاهة»، الأمر الذى استدعى تركيز الأحاديث النبوية على النهى عن اتخاذ الصور والتماثيل، سدا للذرائع، وتقديما لدفع المضرة على جلب المصلحة - وهي قواعد تشريعية إسلامية - وذلك كيلا تعود هذه الجماعة الى مرض الوثنية والشرك من جديد.



بقلم المفكر الإسلامي : أ.د. محمد عمارة
- مصر -

وإذا كان ضبط المصطلحات هو مما يعين على دقة الفهم وجلاء القضية، فإن من الواجب أن ننبه على أن «الصورة» في الأحاديث النبوية التى عرضت لهذه القضية إنما يراد بها «الصنم والوثن المعبود» من قبل المشركين.. فلم يكن بمكة أو المدينة، أو البوادى من حولهما، يومئذ، «حركة فنية»، تصور بالألوان، أو بآلات التصوير.. كانت الصورة هي «الصنم والوثن»، ينحت نحتا، أو يرسم بالنسج على النسيج أو بالرسم أو بالحفر على الجدران والأثاث.. ومن هنا، فان النهى عن «الصور» وذم «المصورين» هو حديث عن «الأصنام والأوثان» وعن الذين يحترفون صناعة هذه «الأصنام والأوثان»، وليس حديثا عن «الصور» و«المصورين»، بالمعنى الذى يراد اليوم عند الحديث عن فنون التشكيل وفنانيها.. يشهد لهذه الحقيقة الهامة المقارنة بين حديثين شريفين ورد فيهما مصطلح «الصورة»، ويفسر ثانيهما الأول على النحو الذى يضبط معنى هذا المصطلح ضبطا لا سبيل معه الى التجاوز أو الإبهام.

ففي الحديث الذى يرويه عبد الله بن عمر، يقول الرسول، {صلى الله عليه وسلم} «الذين يصنعون هذه الصور يعذبون، ويقال لهم: أحيو ما خلقتم»[١]، أما الضبط لمعنى «الصورة»، على النحو الذى أشرنا اليه، فإننا واجدوه في الحديث الذى يرويه أبو هريرة، والذى يقول فيه الرسول {صلى الله عليه وسلم}، متحدثا عن خبر الناس يوم القيامة: «يُجمع الناس يوم القيامة في صعيد واحد، ثم يطلع عليهم رب العالمين، ثم يقال: ألا تتبع كل أمة ما كانوا يعبدون؟. فيتمثل لصاحب الصليب صليبه، ولصاحب الصور صوره، ولصاحب النار ناره، فيتبعون ما كانوا يعبدون، ويبقى المسلمون..»[٢].

فالأمم التى انحرفت عن التوحيد في الألوهية والربوبية، قد تمثلت لها معبوداتها.. الصليب للنصارى.. والصور - أى الأصنام - للوثنين.. والنار للمجوس.. فالصورة، اذن، هي «الصنم والوثن» المعبود - للمشركين - من دون الله.. وليست تلك التى نتعارف عليها اليوم عندما نتحدث عن «الصور» وعن «المصورين».

وثانية الحقائق التى يجب التنبيه عليها ونحن مقدمون على استعراض المأثورات والأحاديث النبوية التى رويت في هذا الموضوع، هى وجوب الاستحضار والتدبر للمناخ والبيئة والإطار الذى قيلت فيه هذه الأحاديث، وذلك حتى ندرك فيها ومنها المقاصد والعلل والحكم والغايات.. فهى قد قيلت للمؤمنين بالله الواحد، كانوا حتى الأمس القريب يعبدون الصور والتماثيل.. وهؤلاء

> ** لعدم وجود آلات التصوير آنذاك فإن المقصود بـ (الصورة) هو (الصنم والوثن المعبود).

المؤمنون كانوا محاطين بعبدة الصور والتماثيل الذين لم يؤمنوا بعد.. وصناع النسيج والأثاث والأدوات - وهم في الأساس من غير العرب - كانوا يزينون مصنوعاتهم ومنسوجاتهم بصور الآلهة - (الأصنام) - ترويجا لها في البيئة الوثنية.. ومن هنا كان النهى عن هذه «الصور» نهيا عن الوثنية، ودعوة الى تنقية المنازل والأندية من صور الأصنام المعبودة في الجاهلية، وسعيا لاجتثاث جذور المرض الوثني، وذلك حتى تبرأ هذه الجماعة البشرية تماما من الشرك والتعددية، فتخلص العبودية لله وحده، وترسخ في قلوبها عقيدة التوحيد.. ولذلك جاء النهى عن «الصور» التى تمثل الأحياء - وهى التى كانت تعبد - ولم يحدث نهى عن صور الشجر، أو تلك التى تحاكى الطبيعة، إذ لم تكن من المعبودات.. فالمستهدف ليس «الفن» ولا «الجمال»، وإنما الوثنية والمسارب التى يمكن أن تؤدى الى عودة الإشراك بالله مرة أخرى الى عقائد الناس..

في إطار هذه الحقائق نقرأ ونفهم قول رسول الله، {صلى الله عليه وسلم} «من صوَّر صورة عُذِّب يوم القيامة حتى ينفخ فيها، وليس بنافخ»[٣].. أي حتى ينفخ فيها الروح فيحييها.. وأنى له أن يصنع ذلك!.

ولقد جاء رجل من أهل العراق، كان يحترف التصوير، جاء الى عبد الله بن عباس، فقال له: «يابن عباس، إنى رجل أصور هذه الصور، وأصنع هذه الصور، فافتنى فيها؟.. فقال له ابن عباس: «أنبئك بما سمعت من رسول الله، {صلى الله عليه وسلم}، سمعت رسول الله يقول: كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفس تعذبه في جهنم».. ثم استطرد ابن عباس فأشار على الرجل أن يصور مالا حياة فيه، فيمارس «الفن الجميل»، في غير ما هو مظنة الوثنية، مما جاء فيه النهى والتحريم.. فقال للرجل: «.. فإن كنت لابد فاعلا، فاجعل الشجر ومالا نفس فيه»[٤].

ولقد وضع الرسول، {صلى الله عليه وسلم} هذا الحكم وهذا الموقف موضع التطبيق، فقاد المسلمون حملة إزالة وتحطيم لصور المعبودات الوثنية وتماثيلها.. صنعوا ذلك بالمدينة - قبل فتح مكة وتطهير الكعبة -.. ففي الحديث الذى يرويه على بن أبى طالب، يقول: «كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، في جنازة، فقال: أيكم ينطلق الى المدينة فلا يدع بها وثنا إلا كسره ولا قبرا إلا سواه ولا صورة إلا لطخها؟. فقال (سبعة): أنا، يا رسول الله، فانطلق، فهاب أهل المدينة، فرجع!. فقال على بن أبى طالب: أنا أنطلق، يا رسول الله. فانطلق، ثم رجع، فقال: يارسول الله، لم أدع بها وثنا إلا كسرته، ولا قبرا إلا سويته، ولا صورة إلا لطختها. ثم قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: من عاد لصنعة شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد»[٥].

فالإزالة والتحطيم، هنا، كانت لرموز وثنية، بما فيها القبور المعظمة وشواهدها!.. ويوم فتح مكة.. أمر النبى {صلى الله عليه وسلم}، عمر بن الخطاب أن يتقدمه الى الكعبة فيزيل من داخلها الصور والتماثيل المعبودة والمعظمة، والتى كانت تمثل إبراهيم وإسماعيل ومريم، عليهم السلام.. فعن ابن جريج: «.. أن النبى {صلى الله عليه وسلم}، نهى عن الصور في البيت، ونهى الرجل أن يصنع ذلك. وأنه أمر عمر بن الخطاب،

زمن الفتح، وهو بالبطحاء، أن يأتى الكعبة فيمحو كل صورة فيها، ولم يدخل البيت حتى محيت كل صورة فيه»[٦].

ويروى ابن عباس أن النبي {صلى الله عليه وسلم} «لما رأى الصور في البيت - (يعنى الكعبة) - لم يدخل، وأمر بها فمحيت. ورأى - (صور) - ابراهيم واسماعيل، عليهما السلام، بأيديهما الأزلام[٧]، فقال: قاتلهم الله! والله ما استقسما بالأزلام قط»[٨].

وفي البخارى أن عمر بن الخطاب كان يمتنع عن دخول الكنائس من أجل ما فيها من التماثيل والصور المعبودة «وكان ابن عباس يصلى في البيعة إلا بيعة فيها تماثيل».

فالنهى والتحريم، في النظرية والتطبيق، يستهدف مظان الشرك، وشراك الوثنية، والروافد التى تحفظ الحياة لنقيض عقيدة التوحيد، أو تغبش نقاء هذا التوحيد!.. وليس التصوير أو النحت أو الرسم، كفن من فنون الجمال.. فالأول - مصادر الشرك ورموزه ومظانه - بينه وبين التوحيد الاسلامى العداء الدائم والتناقض القائم والصراع الذى لا يزول.. أما الفن التشكيلى - رسما ونحتا وتصويرا - فإنه لون من ألوان النشاط الجمالى للإنسان، يدور الحكم فيه والموقف منه مع علته وغايته ومنفعته وجودا وعدما، إنْ في الإباحة أو الاستحباب، أو المنع، كراهة أو تحريما.

فإذا ما جئنا الى التجربة العملية - وأيضا الذاتية - لرسول الله {صلى الله عليه وسلم}، مع الصور، وفي داخل بيته، ومع أهله، رأينا الأحاديث التى تحكى هذه التجربة شاهدة على هذا الذى نقول.. فعندما تكون الصور مظنة شبهة الإيحاء بتعظيمها، أو تمثل شاغلا يصرف المصلى عن الحضور المستغرق في صلاته ومثوله بين يدى مولاه، أو مظنة شبهة الإيحاء بأن التوجه في الصلاة إنما هو إليها!.. عندما يكون الأمر ذلك، أو نحوا منه، أو موهما لشيء مما يحتويه، يكون نهى الرسول {صلى الله عليه وسلم}، عنها، ودعوته لإزالتها.. فإذا ما تحولت هذه الصور عن أماكنها هذه، فزالت عنها تلك المظنة والشبهة، غدت مقبولة في بيت النبوة، بل وأصبحت مما يستخدمه الرسول {صلى الله عليه وسلم}.

فعائشة، أم المؤمنين، تروى الحديث فتقول: «قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من سفر وقد اشتريت

**** تحريم التماثيل والصور مرهون بعلله وجوداً وعدماً.**

**** ينبغي استحضار البيئة والاطار الذي قيلت فيه هذه الأحاديث.**

**** الازالة والتحطيم كانت لرموز وثنية، بما فيها القبور المعظمة.**

**** زوال المظنة والشبهة يعطي الحكم بالاباحة.**

نمطا (ثوبا من صوف ـ أو بساطا) فيه صورة، فسترته على سهوة بيتى (السهوة: الرف، أو الطاق، أو الكُوَّة) فلما دخل {صلى الله عليه وسلم}، كره ما صنعت، وقال: تسترين الجُدُر يا عائشة؟! فطرحته، فقطعته مرفقين (وسادتين)، فقد رأيته متكئا على إحداهما وفيها صورة»[٩].

فكراهة الرسول، هنا للصورة قد ارتبطت بكونها ترفا يستهدف مجرد ستر الجُدُر! وبكونها، بهذا الوضع في مثل هذا الموقع مما يستقبله المصلى، فتشغله، أو توهم بمظنة استقبالها في الصلاة.. فلما انتقلت الصورة الى الوسادة، لم يكرهها رسول الله، ولم ينه عنها، بل استخدم الوسادة «وفيها الصورة»، كما تقول عائشة في الحديث.

ويؤكد هذا التفسير ـ هذا إذا كان محتاجا الى تأكيد؟! ـ حديث الصحابى أنس بن مالك ـ وهو خادم الرسول، العارف بشئون منزله ـ الذى يقول فيه: «كان قرام ـ (ستر) ـ لعائشة قد سترت به جانب بيتها، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: أميطى عنا قرامك هذا، فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي»[١٠].

**** ليس القصد هو تحريم الصور والتماثيل لمجرد انها فن، بل لعلة المظنة والشبهة فيها.**

**** الصور والتماثيل لا تحرم على التعميم**

فالنهى خاص ومعلل بمكان وضعه، والسبب في إزالته هو أن تصاويره تعرض أمام الرسول إذا قام للصلاة.. أى أن العلة هي قصد الابتعاد عن ما يشغل المصلى عن الصلاة، وإزالة كل ما من شأنه إيجاد شبهة مظنة التعظيم لغير الله.

ولذلك.. فعندما تزول هذه الشبهات وهذه المظان وهذه المحاذير عن الصور والتماثيل، فإن الحكم فيها والموقف منها يتغير بالتأكيد.. فليس القصد هو تحريم الصور والتماثيل، إذا كانت فنا جميلا يرتقى بالحاسة الفنية والمشاعر الجمالية للانسان، لمجرد أنها فن، وبعلة أنها صور وتماثيل.

وإذا كان القرآن الكريم ـ كما سبقت إشارتنا ـ قد حكى لنا نبأ التماثيل في عهد النبي سليمان، عليه السلام، باعتبارها نعما الهية، يصنعها صانعوها بإذن الله، فإن النبي، {صلى الله عليه وسلم} يحدثنا عن سوق في الجنة كل بضاعتها الصور، صور النساء والرجال.. ففى الحديث الذى يرويه على بن أبى طالب، يقول الرسول {صلى الله عليه وسلم} «إن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من النساء والرجال، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها»[١١].. فهي، هناك لن تقود الى شرك أو وثنية.. ومن ثم فهى حلال.. بل ونعمة من نعم الله، سبحانه وتعالى، على الصالحين من عباده في جنات النعيم.

بل إن مجتمع المدينة ذاته، ذلك الذى شهد التحريم للصور ـ نظريا وعمليا ـ عندما كانت مظنة الشرك بالله والتعظيم لسواه ـ إن هذا المجتمع ذاته قد



تغيرت نظرته للصور والتماثيل عندما أخذ يبرأ من مرض الوثنية والتعدد في المعبود.. فعندما دخل المسور بن مخرمة على عبد الله بن عباس «يعوده في مرضه، فرأى عليه ثوب استبرق وبين يديه كانون عليه تماثيل، فقال له: يا بن عباس! ما هذا الثوب الذى عليك؟! قال: وما هو؟! قال: استبرق! قال: والله ما علمت به، وما أظن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نهى عنه إلا للتجبر والتكبر، ولسنا بحمد الله كذلك. قال: فما هو الكانون الذى عليه الصور؟! قال ابن عباس: ألا ترى كيف أحرقناها بالنار؟!»[١٢].

فابن عباس، هنا يجتهد فيرى أن علة تحريم لبس الاستبرق هي التجبر والتكبر، فإذا زالت العلة زال التحريم. ويجتهد كذلك فيرى أن علة تحريم التماثيل هي التعظيم لها، أو شبهة التعظيم والعبادة لها من دون الله، فأما وقد وضعت حيث لا تعظيم لها، وأما وقد أمن الناس من مظنة عبادتها، وغدت مجرد حلية يتزين بها الكانون، فإنه لا تحريم.

وعندما ينزع الصحابى أبو طلحة الأنصاري نمطا (ثوبا من صوف - سترا) من على فراشه، فيسأله الصحابي - سهل بن حنيف: «لم تنزعه؟! فيقول: لأن فيه تصاوير، وقد قال فيها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما قد علمت!» يرد عليه سهل بن حنيف قائلا: «أو لم يقل الرسول: إلا ما كان رقما في ثوب»[١٣].. فنعلم من ذلك أن النهى ليس مطلقا، وأن ما كان مقصودا به منفعة الزينة والجمال - من الصور - وبعيدا عن شبهات مظان الوثنية والشرك والعبادة - كالصور إذا كانت (رقما في ثوب) أى نقشا يزينه ويجمله - فلا نهى عنه، في هذا الحال، ولا تحريم له.

إذن.. فالسنة النبوية، مثلها في ذلك مثل القرآن الكريم، لا تحرم الصور والتماثيل على التعميم والإطلاق.. وإنما التحريم فيها، كالتحريم في القرآن، خاص ورهن ومشروط بالمواطن التى تصبح فيها الصور والتماثيل شراكا للشرك وحبالا للوثنية وسبلا لتعظيم غير الله.. أما إذا كانت للمنفعة، وتجميل الحياة وزينتها المشروعة، وتخليد القيم الفاضلة وتزكيتها، وتنمية مشاعر الجمال الإنسانية.. فإن موقف السنة النبوية يصبح معها، لا ضدها، لأنها بذلك تنتقل من الأمور الضارة الى حيث تصبح واحدة من نعم الله على الانسان.

الهوامش :

(١) رواه الامام أحمد.

(٢) رواه البخارى ومسلم والنسائي والامام أحمد.

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حنبل.

(٤) رواه الإمام أحمد.

(٥) رواه مسلم والنسائي والإمام أحمد.

(٦) رواه أبو داود والإمام أحمد.

(٧) الأزلام - مفردها: زلم - السهام التى كان يستقسم بها المشركون في الجاهلية كانوا يكتبون على أحدها: أمر، وعلى آخر: نهى، وعلى واحد منها: افعل، وعلى الثاني: لا تفعل. ويستقسمون بها عند إرادة السفر أو القيام بعمل ما.

(٨) رواه الإمام أحمد.

(٩) رواه الإمام احمد.

(١٠) رواه الإمام أحمد.

(١١) رواه الإمام أحمد.

(١٢) رواه الإمام أحمد.

(١٣) رواه الإمام أحمد (ومثله مروى عند البخارى ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة).

.. التجهم والجفاء ..
عند ابن تيمية وابن حزم .. عرض ونقض

في زُبَر الحق وطلائعه تتكشف حقائق العلوم وتتقشع تزييفات الخرّاصين، وأصالة العلم تكمن في التمييز بين صحيحه وسقيمه وحقيقه ودخيله. والاغتراف من التاريخ بدون تبصر ولا رويّة: مزلة أقدام ومكسبة آثام. ومن أعلام التاريخ النابهين وجهابذة الفقه المبرزين: «علي بن أحمد الأندلسي» المشهور بابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦هـ)، و«أحمد بن عبد الحليم الحراني» المشهور بابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ) - رحمهما الله تعالى -.

وبين الشام والأندلس موطن الشيخين مفاوز تطويها وتقربها صفة مشتركة أطبقت عليها مصنفات التراجم وطبقات الفقهاء وهي - عند الأكثرين - مغمز قادح ومطعن فاضح، يتشبث بها الطاعنون ويتمسك بها اللائمون وهي بلية من البلايا ورزية من الرزايا التي لاكتها الألسنة على حدّ وصف «صالح بن عبد القدوس» (١٦٠هـ):

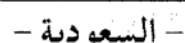
احفظ لسانك أن تقول فتُبْتلى
إنَّ البلاء موكَّل بالمنطق

رُمي الشيخان بالتجهم والجفاء وحدة الطبع وقساوة المعشر، يقول الذهبي واصفاً ابن تيمية: «تعتريه حدة في البحث وغضب وصدمة للخصوم، تزرع له عداوة في النفوس، وإلا لو لاطف خصومه لكان كلمة إجماع، فإن كبارهم خاضعون لعلومه معترفون بتفوقه مقرون بندور خطئه»[١].

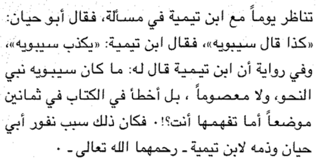
وأورد الصفدي في «الوافي بالوفيات»: (١٧/٧) جملا وافرة تدل على حدة الشيخ وجفاء طبعه، ومما قال: حكي لي عنه أنه كان قد شكا إليه إنسان أو جماعة من قطلوبك الكبير، وكان المذكور فيه جبروت على أخذ أموال الناس واغتصابها.. فقام يمشي إليه فلما دخل إليه وتكلم معه في ذلك قال له قطلوبك: أنا الذي أريد أجيء إليك لأنك رجل عالم زاهد، يعرض بقولهم: إذا كان الأمير بباب الفقير، فنعم الأمير ونعم الفقير. فقال له: قطلوبك! لا تعمل عليَّ دركواناتك، موسى كان خيراً مني وفرعون كان شراً منك، وكان موسى كل يوم يجيء الى باب فرعون مرات في كل يوم ويعرض عليه الإيمان». وللعلامة ابن رجب الحنبلي وصف كاشف لحالة ابن تيمية هذه، إذ يقول: «وله حدة قوية تعتريه في البحث، حتى كأنه ليث حرب.. وفيه قلة مداراة، وعدم تؤدة غالباً، والله يغفر له، وله إقدام وشهامة، وقوة نفس توقعه في أمور صعبة»[٢].

ومن مظاهر الجفاء التي أوردها الرواة ما نقله المقري في «نفح الطيب»: (٥٤٢/٢)، والداوودي في «طبقات المفسرين»: (٢٨٩/٢): أن أبا حيان النحويّ

مراجعة : **أحمد بن مسفر العتيبي**



- السعودية -



تناظر يوماً مع ابن تيمية في مسألة، فقال أبو حيان: «كذا قال سيبويه»، فقال ابن تيمية: «يكذب سيبويه»، وفي رواية أن ابن تيمية قال له: ما كان سيبويه نبي النحو، ولا معصوماً ، بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعاً أما تفهمها أنت؟!. فكان ذلك سبب نفور أبي حيان وذمه لابن تيمية - رحمهما الله تعالى - .

أما حليف قرطبة وشامة الأندلس أبو محمد ابن حزم فقد كان متقدماً على ابن تيمية في التأريخ الزمني بنحو ثلاثمائة سنة. وقد وصفه أبو مروان بن حيان بوصف كاشف لا مزيد عليه كما في «معجم الأدباء»: (٤٨/١٢)، ومما قاله فيه: «كان يحمل علمه، ويجادل من خالفه فيه على استرسال في طباعه وبذل بأسراره، واستناد على العهد الذي أخذه الله على العلماء من عباده، ليُبَينه ولا يكتمونه، فلم يكُ يلطف صدعه (أي قوله الذي يصدع فيه بالحق الذي يعتقده)، بما عنده من تعريض، ويرقه بتدريج، بل يصك به معارضه صكّ الجندل، ينشقه متلعقه (المتلعق: الذي يقول من غير حجة)، إنشاق الخردل، فتنفر عنه القلوب ، وتوقع به الندوب، حتى استهدف إلى فقهاء وقته، فمالوا على بغضه وردّ أقواله، فأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه، وطفق الملوك يقصونه عن قربهم، ويسيرونه عن بلادهم .. وأكثر معايبه فيما زعموا عند المنصف له جهله بسياسة العلم التي هي أعوص من إتقانه».

ولعل في مقالة ابن العريف (٥٣٦هـ): «كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين» خير دليل على مظهر مزاجه ومن صوره: الحدة في المقال والشدة في المناقشة والعنف في الردّ. ولهذا عقَّب ابن خلكان (٦٨١هـ) على مقالة ابن العريف قائلا: «وإنما قال ذلك لأن ابن حزم كان كثير الوقوع في الأئمة المتقدمين والمتأخرين، لم يكن يسلم منه أحد»[٣].

ومن مظاهر حدة ابن حزم قدحه وغمزه للأئمة الأربعة - رحم الله الجميع - كما في كتابه «الإحكام في أصول الأحكام» في الفصل الذي عقده في إبطال القياس. وقد رد عليه العلامة «محمد الأمين الشنقيطي» - رحمه الله تعالى - في كتابه «مذكرة أصول الفقه» فلتراجع.

ومن طالع «المحلّى» و«الفصل في الملل والنحل» و«الإحكام» و«نقط العروس» و«حجة الوداع» لابن حزم؛ يتضح له بجلاء قسوة ابن حزم الشديدة على الفقهاء وسائر العلماء الذين خالفوه، وهذا السبب بعينه هو الذي دفع «أبو بكر ابن العربي» (٥٤٣هـ) الى الحط من شأن ابن حزم كما في كتابه «القواصم والعواصم»، ومما قاله: «وجدتُ القول بالظاهر قد ملأ به المغرب سخيف كان من بادية إشبيلية يعرف بابن حزم، نشأ وتعلق بمذهب الشافعي، ثم انتسب الى داود، ثم خلع الكلّ، واستقل بنفسه، وزعم أنه إمام الأمة يضع ويرفع، ويحكم ويشرع، ينسب الى دين الله ما ليس فيه، ويقول عن العلماء ما لم يقولوا تنفيراً للقلوب منهم..»[٤].

تلك كانت خلاصة ما رمي به الشيخان من التجهم والجفاء وحدة الطبع وقساوة المعشر.

لكن لابد هنا من التنبيه على الحقائق الآتية:

أولا: إن جفاء ابن تيمية - رحمه الله تعالى - لم تكن سجية لازمته في كل عمره، بل في مدة يسيرة تحت وطأة شظف العيش وقسوة المجتمع، وقد أشار

المترجمون الى حلم ابن تيمية ورفقه ومداراته كما قال ابن رجب: «وما رأيت في العالم أكرم منه مع أصحابه، وسعي في مصالحهم.. وربما قام لمن يجيء من سفر أو غاب عنه.. ويسلم ويصافح ويبتسم، وقد يعظم جليسه مرة، ويهينه في المحاورة مرات»[٥]، وفي مسالك الأبصار للعمري: «حدثني تقي الدين عبد الله بن أحمد، قال: مرضتُ بدمشق مرضة شديدة، فجاءني ابن تيمية، فجلس عند رأسي وأنا مثقل بالحمَّى والمرض، فدعا لي، ثم قال: قم، جاءت العافية»[٦].

وروى ابن كثير في «البداية والنهاية» حادثة تولي السلطان قلاوون الملك سنة (٧٠٩هـ) وأنه استشار شيخ الإسلام ابن تيمية في قتل أعدائه (أي أعداء ابن تيمية) ففهم الشيخ مراد السلطان فأخذ في تعظيم القضاة والعلماء، وينكر أن ينال أحداً منهم بسوء، وقال له: إذ قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم، من آذاني فهو في حلّ، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي»[٧]. ولا شك أن تعرض ابن تيمية للحبس سبع مرات من سنة (٦٩٣هـ) الى سنة (٧٢٨هـ) في مدد متفاوتة، وتعرضه لحسد علماء الدنيا وتربص الأمراء به كل ذلك كان سبباً لذيوع خبر حدته وجفائه.

** «من آذاني فهو في حلّ، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه. وأنا لا انتصر لنفسي»
ابن تيمية

** (الطحال موضع الفرح فاذا فسد تولد ضده)..
ابن حزم.

ثانيا: إن تجهُّم ابن حزم ـ رحمه الله تعالى ـ كان أبلغ من تجهم ابن تيمية لأسباب عديدة، منها:

(أ) نشأة ابن حزم كانت نشأة جاه وترف ووجاهة، فقد كان أبوه وزيراً، واستوزر هو ثلاث مرات، وهذه بلا شك تكون سبيلا الى اعزاز صاحبها وطلبه للرفعة وإباء الضيم.

(ب) الاضطراب السياسي في عصر ابن حزم كان على أشده، ففي سنة (٣٩٩هـ) اشتعلت الفتن في قرطبة، فانتقل مع أسرته الى غربها، ثم الى «المرية» سنة (٤٠٤هـ)، ثم وقع عليه النفي والتغريب، ثم أمتحن بحرق كتبه بأمر من «المعتضد بن محمد بن اسماعيل بن عباد».

(جـ) تشيعه لأمراء بني أمية ماضيهم وباقيهم واعتقاده لصحة إمامتهم، حتى رماه البعضُ بالنصب!

(د) تعصبه الشديد للمذهب الظاهري ورده للقياس، ولهذا قال:

أشهد الله والملائك أني
لا أرى الرأي والمقاييس دينا
حاش لله أن أقول سوى ما
جاء في النص والهدى مستبينا

ومن شعره أيضا:

لا أنثني لمقاييس يقال بها
في الدين بل حسبي القرآن والسُّنَنُ[٨]

(هـ) سلاطة لسانه ـ رحمه الله ـ على العلماء والفقهاء كما حكي الذهبي: «وقد امتُحن هذا الرجل وشُدد عليه وشُرد عن وطنه وجرت له أمور، وقام عليه

الفقهاء لطول لسانه واستخفافه بالكبار ووقوعه في أئمة الاجتهاد بأقبح عبارة وأفظ محاورة وأبشع رد»[٩].

وقد أفصح ابن حزم في كتابه «مداواة النفوس» من سبب تجهمه وحدته فقال: «ولقد أصابتني علة شديدة ولدت عليّ ربواً في الطحال شديداً، فولَّد عليّ ذلك من الضجر وضيق الخلق وقلة الصبر والنزق أمراً حاسبتُ نفسي فيه، إذ أنكرتُ تبدل خلقي فاشتد عجبي من مفارقتي لطبعي، وصح عندي أن الطحال موضع الفرح، فإذا فسد تولَّد ضده»[١٠].

وأخيراً فإن حدة ابن تيمية التي أذيعت كان من ورائها نفس مطمئنة خاشعة لا تعرف الضجر ولا التبرم، ففي وقت محنته وقد ضيَّق عليه أعداؤه أسباب السلامة؛ كان يردد: «والله إنه نازل على قلبي من الفرح والسرور شيء لو قُسِّم على أهل الشام ومصر لفضل عنهم، ولو أن معي في هذا الموضع ذهباً وأنفقته ما أديتُ عشر هذه النعمة التي أنا فيها»[١١]، و«ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رحت فهي معي، لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة»[١٢].

وابن حزم يرى أن الإخلاص في القول والعمل قد يكون سبباً الى جفاء الطبع وسوء المعشر، فيقول: «وإياك ومخالفة الجليس ومعارضة أهل زمانك فيما لا يضرك في دنياك ولا في أخراك وإن قل، فإنك تستفيد بذلك الأذى والمنافرة والعداوة، وربما أدى ذلك الى الضرر العظيم دون منفعة أصلا، وإن لم يكن بُدّ من إغضاب الناس أو إغضاب الله عز وجل ولم يكن لك مندوحة عن منافرة الخلق أو منافرة الخالق؛ فأغضب الناس ونافرهم، ولا تغضب ربك ولا تنافر الحق»[١٣].

ويرى أبو محمد أن حدته نعمة من الله: «ولقد انتفعتُ بمحك أهل الجهل منفعة عظيمة وهي أنه قد توقد طبعي واحتدم خاطري وحمى فكري وتهيج نشاطي، فكان ذلك سبباً الى تواليف عظيمة النفع، ولولا استثارتهم ساكني، واقتداحهم كامني ما انبعثتُ لتلك التواليف»[١٤].

**** سياسة العلم أعوص من اتقانه.**

**** لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان.**

الحواشي :

(١) «ذيل تاريخ الإسلام» للذهبي (مخطوط) نقلا عن «الجامع لسيرة ابن تيمية»: (ص ٢٠٥).
(٢) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٣٩٢/٢).
(٣) «وفيات الأعيان» (١٦٩/١).
(٤) «القواصم والعواصم» (ص ١٥٦).
(٥) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٣٩٢/٢).
(٦) «مسالك الأبصار» (ص ٣٠١).
(٧) «البداية والنهاية» (١٨/١٤).
(٨) «سير أعلام النبلاء» (٢٠٥/١٨، ٢٠٦).
(٩) «تذكرة الحفاظ» (١١٥٤/٣).
(١٠) «مداواة النفوس» (ص ٥٤).
(١١) «الكواكب الدراري» (مخطوط) نقلا عن «الجامع لسيرة ابن تيمية» (ص ٩٥).
(١٢) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤٠٣/٢).
(١٣) «مداواة النفوس» (ص ٤٥).
(١٤) «مداواة النفوس» (ص ٣٠).

المتنبي .. وعمق المكان



يميل المتنبي في متأخر ايامه الى مدينة يحس فيها حلاوة الذكرى ويحاول بها قهر اغترابه، فعلى مدى نصوصه (العضديات وبعض العراقيات) تظهر الشام في مقابل البلاد الجميلة، لا تقل عنها جمالا، بل هي مدينة الحلم سواء من خلال الرجوع بالزمن من محطة الحاضر، أو إزاء مدينة غريبة مهما جملت، لا ينتمي إليها المتنبي فتفقد شيئا من بهائها لهذا السبب، فهي ديار المحبوبة في نسيبه حين يقول:

شــاميّــة طالما خلوت بهــا
تبــصــر في ناظري مــحــيّــاها
في بلد تضــرب الحــجــال به
على حــســان ولسن أشبــاها[١]

- ويصرح بحبه الحميم لمواضع تلك البلاد البعيدة عليه:

أحبُّ حــمــصــا الى خناصــرة
وكلّ نفس تحبُّ منشــأها
حــيث التــقى خــدها وتفّــاح لبـ
ـنان وثغــري على حــمــيّــاها
وصــفت فــيــهــا مــصــيف بادية
شتوت بالصحصحان مشتاها[٢]

وهذا الانحياز لهذه الديار أمام ممدوح أعجمي فيه ميل ضمني للمثال الغائب، الذي كان حاضرا في كافورياته، عندما يستدعي الضد ضدّه - سيف الدولة أمام كافور - وكانت الكفة ترجح للأول وهو إن أخطأ التقدير مجبرا، فهو عيب الميزان الذي نكبته الأيام لا عيبه.

إن اجترار الماضي يحقق توازنا لذات المتنبي التي يراها محاصرة حتى تختنق، ترغب في أن تموت في ذلك الماضي في مدينة الحلم، ومن هنا كان هناك خيط معلّق بتلك المدينة التى ظلت منيعة عن النسيان، وتشويه الحكّام، إنّها المنبت فهي الوعاء

بقلم : صالح زامل حسين - عمان

الذي يجمع أيام العمر بصولاتها أمام زمن حاضر مندحر ضعيف، هو الكهولة وخيبة هي قبض الريح.

وهذه المدينة الفاضلة لا تحتاج الى أن تكون فاضلة فعلا، بل تكفيها الذاكرة تمحو عنها كل ما يشوّه وجه الحلم، إن الصعب منها لهو أجمل من بلادة الحاضر وموته البطيء في تزاحم أيام العمر وهي تمضي مندفعة للأمام بغير ما رغبة، بطيئة وخاوية.

لقد كانت هذه المدينة الفاضلة بلاد غربة إذا حاكمناها بالكوفة المنبت الأول، إلا انها تكتسي بصورة الحلم إزاء غربة مكانية جديدة وهي بلاد (غريب الوجه واليد واللسان)[*]، بل هي غريبة في كينونتها، وحتى الممدوح الذي يتعزى في أن يقهر عنده هذه الغربة، لا يملك أن يدفع عنده هذه الوحشة بدنانير شبع منها قبل الوصول إليه فينطوي الى ماضيه في أكبر تجلياته ليتمخض عن مدينة الحلم، هذه التى ظل يوازي بها كل مدن الرحيل الجديدة وتظل تتوازى لكن هل تلتقي مع الحلم؟ أنه محال، فقد «ورد أرجان فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدور والمساكن فضرب بيده على صدره وقال: تركت ملوك الأرض وهم يتعبدون لي وقصدت ربّ هذه المدرة فما تكون[٣]، ولما قال عضد الدولة بشيراز «المتنبي قال جيد شعره بالعرب، فأخبر المتنبي به، فقال: الشعر على قدر البقاع[٤] فيستمر في تعيين المكان بالآخر والمدينة الفاضلة إشارة واضحة للمثال الغائب.

لقد شغلت هذه المدينة مساحة غير قليلة من قصيدته، إنها مدينته هو وحسب، فلتكن ما تكون وإن كانت عجائب الدنيا السبع بل حتى العجائب تشترك بها هذه المدينة بغوطتها وإشارة المتنبي إليها إشارة وإن كانت في الظاهر أحياناً محدودة بالمكان دمشق، إلا أن مدينة المتنبي ليست حلب أو دمشق أو الكوفة بالضرورة، لكنها مدينة يبنيها المتنبي مستلا من كل مدينة أجمل ما فيها ليعيد تشكيل مدينته تلك، فيها صبا الكوفة وحنان الأمومة وأصحاب الطفولة، وثورة السماوة وفتوتها وعنفوانها وغوطة دمشق الجميلة وريف مصر، فيها انفتاح الصحراء وخضرة البساتين.

هي الكينونة الأولى وإعادة خلق وتشكيل العالم، الكينونة التى شغلته طول رحلة البحث عن هذه المدينة، هي عنده اليوم الإحساس الحقيقي بنبض الحياة ولكنه يجترّه إزاء الخوف من الآتي

** ما استقر المتنبي على حال ولا في مكان، دائم الطموح، كثير الترحال.

المجهول الذي تساوت فيه قيمة الحياة والموت وزمهرير وحدته، تلك الوحدة التى تزداد قسوة حتى لا يجرؤ على أن يتحدث عنها، فان كان في يوم سابق يحس بالأمان والتوحد معها، يخافها اليوم، فيلوذ بالآخر فلا يجد غير المكان والزمان، ولكن ليس الحاضر، فهما سبب هذا الإحساس بالهرب، إنه يلوذ بالمكان البعيد، والزمان الذي صار في غيابة الجب ليس له أمل يوسف[٥] بل جبّه ذاكرته التى تأتلق أمام مدن الرحيل التى لا تملك ألقاً حاضراً. إن هذه الذكرى المهذبة أمام صورة الواقع المشوشة كان من المفروض أن تحقق له استقراراً نفسياً، ولكن هيهات فما يملك غير قلق وانسحاق أمام الواقع والهرب الى الحلم المعلق بالماضي ولا يملك أملا في آت، إنه محاصر بأمكنة لا ينتمي إليها ورجال صنعتهم الشراسة، وكهولة يسوقها الزمان الى الأبدية.

يقف المتنبي أمام المكان في شِعْب بوان فيستهل نصه ببيت يصور فيه جمال الشِّعْب مجملا ومقارنا إياه بجمال الربيع المطلق لأن الربيع جميل في كل بقاع الأرض وفي كل الأزمنة:

مغاني الشِّعب طيبا في المغاني
بمنزلة الربيع من الزمان[٦]

لكنه لا يستطيع الاسترسال مصطدما بواقع الغربة المجملة في البيت التالي:

ولكن الفتى العربي فيها
غريب الوجه واليد واللسان[٧]

فالفتى أي فتى، والعربي أي عربي، والغربة أي غربة كانت، غربة السحنة والملامح والامتلاك (اليد) واللغة - ذلك الهاجس الشعري الملازم - ويكون الاغتراب اللغوي مع رمزيته القومية الواضحة المكان الأوحد في البيت التالي:

ملاعب جنة لو سار فيها
سليمان لسار بترجمان[٨]

عبر استلهام المأثور الديني عن سليمان وقدرته على معرفة اللغات أنسية كانت أم غير أنسية.. ويعود فيستغرق في حلم الجمال مغطيا فضاء

الأبيات من الثالث الى العاشر ثم تكون الصحوة المرّة، ولكنها ليست دمشق!!

ولو كانت دمشق ثنى عناني

لبيق الثرد صينيّ الجفان

يلنجوجي ما رفعت لضيف

به النيران ندى الدخان[٩]

إذن دمشق هي الهاجس الذي لم يستطع منه فكاكاً، ويعود ثانية ليستغرق في حلم جديد هذه المرة تكون دمشق هي بطلة الحلم وناسها الكرماء ودخان مواقدهم المعطرة هم دعامات ذلك الحلم العذب، الذي رافق المتنبي في خروجه من الشام الى مصر وبغداد وارجان وشيراز الى النوبندجان الى دير العاقول قرب النعمانية حيث كانت النهاية:

منازل لم يزل منها خيال

يشيعني الى النوبندجان[١٠]

دمشق التى رفض العودة إليها والاستجابة لاعتذارات سيف الدولة ورسائله التى لم تنقطع عن المتنبي، فكيف نوفق بين الفكرتين الحنين وعدم العودة؟

إنه الخوف من تشوه الوجه الجميل للحلم، المثال، الذي اصطنعته مخيلة الشاعر فأضفت عليه كل ما هو جميل ونقي.

وما لاقني بلد بعدكم

ولا أعتضت من رب نعمائي رب[١١]

إذن فلماذا لا تعود؟:

وما عاقني غير خوف الوشاة

وإن الوشايات طرق الكذب

وتكثير قوم وتقليلهم

وتقريبهم بيننا والخبب

وقد كان ينصرهم سمعه

وينصرني قلبه والحسب[١٢]

وإذا كان جمال شعب بوّان قد استثار في ذاكرة المتنبي جمال دمشق وغوطتها، فانهما لا يمكن أن يتساويا فيما يحملانه من مدلولات:

وقد يتقارب الوصفان جدا

وموصوفاهما متباعدان[١٣]

ونحن هنا بازاء إشكال تثيره اللغة التى تدل

**** المتنبي اعتصر المدن ليستخرج منها مدينته الحلم.**

** المدينة الفاضلة عند المتنبي هي المثال الغائب.

على تقارب الموصوفات بعضها مع بعض حين الموازنة، فكيف يكون الموصوفان متباعدين مع تقارب وصفيهما؟!

يقول هرقليطس «لا يمكنك أن تخوض في الجدول نفسه مرتين لأن مياها أخرى لا تلبث تجري من حولك»[٥] فإذا كنت، أنت أنت فإن الماء ليس الماء، وبمعرفتنا الأكيدة بثقافة المتنبي الواسعة واطلاعه على ترجمات الكتب اليونانية فليس من المستبعد أن المتنبي كان مغترفا من معين تلك المقولة وهو يكتب بيته الآنف الذكر، فشعب بوّان إذا ساوى جماليا غوطة دمشق فان الناظر إليهما متغيّر، فليس متنبي الآن، وقت نظم شعب بوّان، متنبي الأمس نفسه، متنبي سيف الدولة والأحلام الجميلة السالفة.

لقد وقف طيف دمشق حائلا بين المتنبي وتذوقه لكل الجمال وكل ما هو بعد دمشق من أناس وأفكار وحياة.

وقد يكون لهذا البيت تفسير آخر هو: إن شعب بوان مشابه بالجمال لدمشق ولكن الشعب في أرض الغربة هنا ببعدها الجغرافي، ودمشق هناك في مدينة الأحلام الفاضلة، والفارق لا يقف عند البعد الجغرافي بل يتجاوزه الى ما أسلفنا من تأسيس لفكرة المدينة الفاضلة عند المتنبي.

ويتقنع المتنبي بحصانه ليحاكم الذات وقراراتها الخاطئة بمغادرة دمشق ـ الجنة، الحلم ـ الذي ساوره ـ كما قلنا ـ بشعب بوان.

يقول بشعب بوان حصاني:

أعن هذا يُسار الى الطعان؟!

أبوكم آدم سنّ المعاصي[*]

وعلّمكم مفارقة الجنان[١٥]

وهو الذي ظل يسوقه حنين دائم الى مدينته الفاضلة دمشق أو حلب القصد الدائم وكل المدن الأخرى لا تعدو كونها سبلا مؤدية:

لا أقمنا على مكان وإن طا

ب ولا يمكن المكان الرحيل

كلما رحبت بنا الروض قلنا

حلب قصدنا وأنت السبيل

فيك مرعى جيادنا والمطايا

واليها وجيفنا والذميل[١٦]

وباستمرار الحوار مع الذات التى (تحصّنت) ينشق جزء جديد من الذات ونكون الآن أمام الانقسام الثلاثي للذات، الذات القناع المبهورة بجمال

الشعب المتمسكة بالجمال العرضي، والذات الماضي، استذكار المغادرة من حلب، والذات الحاضرة نتاج الخيبات التى قادت الى العدمية (النهلستية) فلم يعد هناك ما يخاف عليه أو يرتجى، والتي تخلّص بها بانتقاله، صحا بها من كل تلك الأحلام والمحاكمات مع شطري الذات السالفين الى مدح عضد الدولة.

لقد قهر المتنبي اغترابه مرتين في هذه المرحلة مرة عندما كان التعويض بصورة مثال غائب في المواجهة مع الآخر (كافور، بغداد) والمرة الأخرى عندما كان التعويض بالمدينة الفاضلة في المواجهة مع كل المدن القديمة والحاضرة المواجهة، حيث تكون كل المدن مدنا مغتربا عنها فيستوطن هذه الغربة ملتذا بها:

هكذا كنت في أهلي وفي وطني

إن النفيس غريب حيثما كانا

وهو بالضد من غربة الآخر الذي ظل غريبا في غربته عندما يقول أن «الغريب من هو في غربته غريب»[١٧].

الهوامش :

(١) أبو العلاء المعري/ معجز احمد، ٤ : ٣٢٤، ٣٢٦. المحيا: الوجه.

(٢) م.ن، ٤:٣٢٧، ٣٢٨. حمص، وخناصرة: موضعان في الشام، منشأها: موطن النشأة. الجميا: الخمرة. الصحصحان: موضع قرب دمشق وفي اللغة المكان المتسع.

(*) عجز بيت المتنبي (ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان)

(٣) أبو القاسم الاصفهاني/ الواضح، ص ١٦.

(٤) م.ن، ص ٢٥.

(٥) {قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين}، سورة يوسف آية/١٠.

(٦) أبو العلاء المعري/ معجز احمد، ٤:٣٣٧.

(٧) م.ن، ٤:٣٣٨.

(٨) م.ن، ٤ : ٣٣٨.

(٩) م.ن، ٤ : ٣٤٠. تروى الثرد الثرد، الثريد اللبيق: المحسن المزين. يلونجوجي: منسوب الى اليلنجوج: وهو العود الذي يتبخر به.

(١٠) أبو العلاء المعري/ معجز احمد، ٤ : ٣٤١. النوبندجان بلدة.

(١١) م.ن، ٤ : ٥٩٤. ما لاقني: أي ما حبسني أو ما أعجبني.

(١٢) م.ن، ٤ : ٥٩٣. التقريب: ضرب من مسير الفرس، الخبب: السير السريع وعنى بها هاهنا السعاية.

(١٣) م.ن ، ٤ : ٣٤٢.

(١٤) مجيد محمود مطلب/ تاريخية المعرفة، ص ٣٦.

(*) أبونا آدم - عليه السلام - لم يسنَّ معصية يُسار عليها من بعده، بل هو خطأ ساقته إليه طبيعة البشرية فيه، فاستغفر وتاب، من لحظته وتاب الله عليه.

(١٥) أبو ا لعلاء المعري/ معجز احمد، ٤ : ٣٤٢.

(١٦) م.ن، ٤ : ٥٨٤. الوجيف والذميل: كلاهما سير سريع.

(١٧) التوحيدي/ الاشارات، ص ١١٤.

أبو القاسم الشابي

١٩٠٩ - ١٩٣٤م



أبو القاسم الشابي

في التاسع من شهر اكتوبر ١٩٣٤م مات أبو القاسم الشابي، بعد ربع قرن عاشه بالعرض خلف فيه من الآثار الأدبية شعرا ونثرا أكبر من هذا العمر القصير، ولقي فيه من الاهتمام الشيء الكثير.

طبقت شهرة أبي القاسم الشابي الآفاق رغم أنه لم يعش سوى خمسة وعشرين عاما، فقد مات في مثل السن التى مات فيها الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد صاحب المعلقة التى مطلعها:

لخولة أطلال ببرقة تهمد

تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

ذلك الشاعر الذي قال فيه بديع الزمان الهمذاني على لسان بطل المقامة القريضية: (هو ماء الأشعار وطينتها، وكنز القوافي ومدينتها، مات ولم تظهر أسرار دفائنه، ولم تفتح أغلاق خزائنه)[١].

هذان الشاعران كانا سواء في النبوغ المبكر، ولكن طرفة لم يترك من الشعر إلا ديوانا صغيرا دون مستوى شهرته وشاعريته ولم يترك نثرا فهو كبقية الشعراء الجاهليين.

أما أبو القاسم الشابي فقد ترك شعرا كثيرا بالنسبة لقصر حياته وقد نشر بعضه في الجرائد والمجلات.. وفي الجزء الأول من كتاب (الأدب التونسي في القرن الرابع عشر) لزين العابدين السنوسي. (وقد كانت تونس قبل الاستقلال تستعمل التاريخ الهجري خوفا من الذوبان في الإستعمار) وقد صدر الجزء الأول من هذا الكتاب سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م وفيه ظهر شعر الشابي مع شعر اثني عشر شاعرا، وتراجمهم، ثم ظهر الجزء الثاني في السنة الموالية وقد ضم هو الآخر شعر ثلاثة عشر شاعرا مع تراجمهم. وكان أبو القاسم آنذاك في الثامنة عشرة من عمره، ثم زادت شهرته عندما



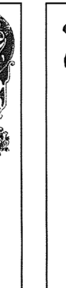
بقلم : د. نور الدين صمود

- تونس -

اتصل بمجلة (أبولو) وبأسرتها وعُرف شعره في بلاد المشرق، وقد أعد ديوانه ولكنه لم ينشر إلا بعد وفاته بأربعة وعشرين عاما سنة ١٩٥٥م وقد ظهر على الصورة التى وضعها الشاعر قبل وفاته بحوالي سنة واختار له عنوان (أغاني الحياة) وكان ينوي إرساله الى أحمد زكي أبي شادي صاحب مجلة أبولو ليطبع في القاهرة مع مقدمة يكتبها أبو شادي كما فعل هو معه، فقد طلب منه أن يكتب له مقدمة ديوانه (الينبوع)· ومن الطريف أنه طبع في القاهرة في السنة التى توفي فيها أبو شادي ١٩٥٥م بعد مهجره الى نيويورك وعمله بإذاعتها·

وقد حرص الشابي على حذف ما رآه دون المستوى من شعره، فقد أرسل الى صديقه محمد الحليوي من مدينة (توزر) من بلاد الجريد، بالجنوب التونسي، وهي مسقط رأسه، رسالة بتاريخ ١٩/١٢/١٩٣٣م أي قبل وفاته بأقل من سنة، يحدثه فيها عن انشغاله بإعداد الديوان للنشر يقول له فيها: (أما الآن فإني أنتخب القصائد التي سأنشرها فيه، وأجمع تواريخها لأرتبها على حسبها، وإن قسما كبيرا مما نشر لي لا أريد نشره لأني أراه لا أهمية له، إما في روحه أو أسلوبه، ولأني أرى فيه سذاجة كسذاجة الأطفال، أبتسم الان وأعجب لنفسي كيف سولت لي نشره في حينه، ولكن هي الأيام)·

وقد أضاف شقيقه، الأستاذ المبرز المرحوم محمد الأمين الشابي (ثاني وزير للتربية بعد الاستقلال ومقدم ديوانه) ثماني قصائد من الشعر الذي لم يضمَّه الشابي الى ديوانه، وإثر صدور الطبعة الثانية منه: (الأولى في تونس) سنة ١٩٦٦م



غلاف الديوان

غلاف كتاب الخيال الشعري

كتبتُ مقالا نقديا أرشدت فيه الدار التى نشرته الى أماكن وجود إحدى عشرة قصيدة لم تضمها الطبعتان السابقتان، فأضافتها الى الطبعة الثالثة الصادرة سنة ١٩٧٠، ثم توالت طبعات الديوان على ذلك الشكل الى أن صدرت (الأعمال الكاملة) في خمسينية الشابي سنة ١٩٨٤. وظلت الطبعة الأولى تصدر في القاهرة باستمرار باسم الطبعة الأولي وتحمل تاريخ ١٩٥٥م الى الآن.

وهذا العمل يقلل من قيمة هذا الشاعر إذ يوحي بأن ديوانه لم يطبع إلا مرة واحدة رغم أنه خدمه ونشر شعره مشرقا ومغربا. كما نشرت دار العودة ببيروت الديوان سنة ١٩٧٢م مع نماذج لم تنشر من قبل وقد أشارت الدار الى أنني زودتها بها (من ص ٥٣٧ الى ص ٥٤٧).

وإثر انقضاء الأجل القانوني لسقوط حقوق التأليف سنة ١٩٨٤ في ذكرى مرور خمسين سنة على وفاة المؤلف عمدت العديد من دور النشر بتونس وخارجها الى نشره في طبعات متفاوتة القيمة والشكل[٢].

وقد قامت مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين بالعمل على جمع آثاره شعرا ونثرا مع الوثائق المتعلقة به وبأدبه ونشرتها في ستة مجلدات فخمة، وقد ضم المجلد الأول ديوانه (أغاني الحياة)[٣] و(الخيال الشعري عند العرب) وهي محاضرة كان ألقاها الشابي في قاعة إلخلدونية سنة ١٩٢٨م ثم نشرها في السنة الموالية ضمن كتاب، وكان آنذاك في التاسعة عشرة من عمره، ونشرت في نفس الجزء (مذكرات الشابي) وهي من أول سنة ١٩٣٠ الى السادس من الشهر الثاني. كما ضمت الأجزاء الأخرى: (رسائل الشابي) ومحاضرة نشرت لأول مرة بعنوان: (شعراء المغرب الأقصى) وكلمات متفرقة عن (عيد الهجرة النبوية) و(اليقظة الإسلامية) و(روح ثائرة) و(مقالات وخواطر أدبية عن يقظة الإحساس وأثره في الفرد والجماعة) و(الشعر ...) و(الشعر والشاعر عندنا) و(الفنون والنفس العربية) و(مات جبران).

كما ضمت ردَّ الشابي على نقد «مختار الوكيل» لكتاب (الخيال الشعري عند العرب) مع نقد ذلك الناقد، وقد نشر المقالين أولا في مجلة أبولو خلال سنة ١٩٣٣، كما ضم المجلد مقال (لصوصية الشعر) و(صفحات دامية من حياة شاعر) ونماذج من شعره المنثور الذي نشر بعضه في حياته. كما اشتمل على (رسائل الشابي) التى تبادلها مع بعض أصدقائه من تونس والمشرق العربي وخاصة مع محمد الحليوي ومحمد البشروش مع مواقف أدبية أخرى.

والملاحظ أن الشابي كان يؤرخ قصائده بالتاريخ الهجري، وقد ظهرت القصائد خالية من التأريخ في الطبعة الأولى من ديوانه، ثم ظهرت مؤرخة بالتاريخين: الهجري والميلادي، وأذكر أن الشاعر القاضي الراحل محمود الباجي هو الذي قام بمقارنة التاريخين، وهو صديق الشابي الذي

رشحه للقيام بكتابة مقدمته، وقد قمت بمراجعة تلك التواريخ بواسطة الكومبيوتر فلاحظت أنها تتقدم بيوم عما هي عليه في الديوان المطبوع.

لقد كان الشابي شاعرا نابغة منذ صغره وقد ظهرت عليه علامات النبوغ في مطلع شبابه. وأقدم ما كتبه من شعر قصيدة على مجزوء الخفيف بعنوان (الغزال الفاتن) يقول في أولها على مجزوء الخفيف:

بـــذر الحـــبُّ بـــذْره
فـي فــــؤادي فــــأورقــــا
بـلحــــاظ فــــواتك
فــــجنى حظي الشـــقـــا
وســـعى فـــيـــه مُـــهْـــره
عـــادياً، ثم أعنـقَـــا

و(أعنق) بمعنى سار عنقاً وهو نوع سريع من المشي، وفيه قال الشاعر القديم مُرَخِّماً الناقة في النداء؛ وسليمانُ في البيت هو سليمان بن عبد الملك:

يا ناق سيـري عنقـا فـسيـحـا
الى سليــمـــان فنســتـــريحـــا

وهذه القصيدة للشابي مكتوبة بتاريخ ٧ رجب ١٣٤١هـ - ١٩٢٣/٢/٢٣م أي عندما كان في الرابعة عشرة من عمره، ومن شعره الذي كتبه في صباه قصيدة بعنوان (أيها الحب) وهي على (الخفيف) كتبها بتاريخ ٣٠ ذو الحجة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤/٧/٣١م وهو في الخامسة عشرة من عمره

إرادة الحياة

اذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي ولا بدّ للقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخّر في جوّها، واندثر
فويل لمن لم تشقه الحياة من صفعة العدم المنتصر
كذلك قالت لي الكائنات وحدثني روحها المستتر

ودمدمت الريح بين الفجاج، وفوق الجبال، وتحت الشجر:
«اذا ما طمحت إلى غاية ركبت المنى، ونسيت الحذر
ولم أتجنب وعور الشعاب ولا كبة اللهب المستعر
ومن لا يحب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر»
فعجت بقلبي دماء الشباب وضجت بصدري رياح أخر...
وأطرقت، أصغي لقصف الرعود، وعزف الرياح، ووقع المطر

أبو القاسم الشابي

صفحة بخط المؤلف من أغاني الحياة.

نموذج من خط الشابي

وقد نشرها في كتاب زين العابدين السنوسي، ولم يضع القصيدة الأولى في ما اختاره لديوانه ولكن شقيقه أضاف الثانية الى الديوان ثم أضيفت الأولى الى الطبعة الثالثة، وقد حذفتُ القصيدة الأولى من الطبعة التي أعددتها لمؤسسة البابطين لأنها دون مستوى شعره، وهذه هي قصيدة (أيها الحب): (الخفيف).

أيهـــا الحبُّ أنت ســـرُّ بلائي
وهمـــــومي وروعــــتي وعنائي
ونُحـــولي وأدمُـــعي وعـــذابي
وســقـــامي ولوعـــتي وشـــقـــائي

إلى الطاغية

يقولون: «صوت المستذلين خافت
وسمع طغاة الأرض أطرش أضخم»
وفي صيحة الشعب المسخّر زعزع
تخرّ لها شمّ العروش، وتهدم
ولعلعة الحق الغضوب لها صدى
ودمدمة الحرب الضروس لها فم
إذا التفّ حول الحق قوم فإنّه
يصرّم أحداث الزمان ويبرم
لك الويل يا صرح المظالم من غدٍ
إذا نهض المستضعفون، وصمّموا!
إذا حطّم المستعبدون قيودهم
وصبّوا حميم السخط أيّان تعلم...
أغرّك أن الشعب مغضٍ على قذى
وأنّ الفضاء الرحب وسنان، مظلم؟
ألا إنّ أحلام البلاد دفينة
تجمجم في أعماقها ما تجمجم
ولكن سيأتي بعد لأيٍ نشورها
وينبثق اليوم الذي يترنّم
صدى الحق يغضبي... ثمّ ينهض ساخطاً
فيهدم ما شاد الظلام، ويحطم.

صفحة بخط الشاعر

أبو القاسم الشابي

نموذج من خط الشابى

أيهـــا الحبُّ أنتَ ســـرُّ وجـــودي
وحـــــيـــــاتي وعـــــزتي وإبـائي
وشـــعـــاعي مـــا بين ديجــور دهري
وأليــــفي وقُــــرّتي ورجـــــائي
ياســـلاف الفــؤاد يا سُمَّ نفــسي
في حــيـاتي، يا شــدتي، يا رخـائي
ألهــيبٌ يثـــورُ في روضـــة النفــ
ـس، فيطغى؟ أم أنتَ نورُ السمـاء؟
أيهـا الحبُّ قــد جـرعتُ بك الحــز
ن كؤوسـا، ومـا اقـتنصتُ ابتـغائي
فــبــحق الجــمـــال يا أيهــا الحـ
ـــبُّ، حنـانيك بي، وهوِّنْ بـلائي

ليت شـعـري يا أيهـا الحب قل لي
من ظلام خُلقتَ أم من ضـيــــاء؟

والملاحظ أنه حذف من هذه القصيدة بيتين كانا في كتاب السنوسي هكذا في آخرها:

ليت شـــعـــري بـأنَّة القلب قل لي
من ظلام خُلقْتَ أم من ضـــيـــاء؟؟
أتُرى أنتَ جنةٌ أم جـــحـــيـمٌ؟
لستُ أدري بل أنت كـــالكهـــرباء

هذان نموذجان من شعره المبكر الذي لم يرض عنه، بدليل أنه حذفهما مما اختاره من شعره للنشر، ولو شئنا إنصافه لاخترنا من شعره كثيرا من النماذج الجيدة التى تعطي صورة حسنة تليق بُسمعته الشعرية مثل قصائد: الأبد الصغير، (ويعني به القلب) والنبي المجهول، وصلوات في هيكل الحب، والجنة الضائعة، وإرادة الحياة، وإلى الشعب، ونشيد الجبار، وفلسفة الثعبان المقدس، والغاب.. وقصائد أخرى بعضها طويل وبعضها قصير، وربما أذهب الى حذف بعض أبيات من القصائد المختارة السابقة ففيها كثير من التكرار وما يشبه التكرار كالعطف الذي لا يضيف شيئا شعريا ذا بال مما يقلل من قيمة شعره ويفقده القيمة الفنية، فقد كان الشابي يكرر بعض الكلمات والتعابير ويبالغ في ذكر المتعاطفات التى ليس بينها سوى حرف العطف، وقد عاب هو نفسه ذلك في شعره، في إحدى رسائله الى

صديقه الحليوي عند حديثه عن قصيدته (قلب الشاعر) التي يقول فيها: (الرمل):

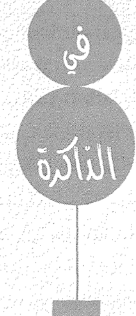
كل ما هب، وما دب، وما
نام ، أو حام على هذا الوجودْ
من طيور، وزهور، وشذى،
وينابيع وأغصان تميدْ
وبحار، وكهوف، وذُرى،
وبراكين، ووديان، وبيدْ
وضياء، وظلال، ودُجى،
وفصول، وغيوم، ورعودْ
وثلوج، وضباب عابر،
وأعاصير، وأمطار تجود
وتعاليم، ودين، ورؤى،
وأحاسيس، وصمت، ونشيدْ
كلُّها تحيا بقلبي حُرَّة
غضة السحر كأطفال الخلودْ

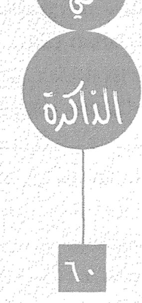
ثم نجد ستة أبيات بعدها تبدأ جميعا بقوله: (ها هنا) وهذا قد يكون من التكرار الفني الذي يلجأ إليه الشعراء منذ المهلهل في رثاء أخيه كليب إلى كثير من شعراء هذا العصر.

لقد بدأتْ شهرة أبي القاسم الشابي في أيام الاستعمار الذي كان موضوعا هاما للابداع وكان الشابي صوتا من أصوات التحرير والمناداة بالاستقلال والثورة على الظالم المستبد حبيب الظلام، عدو الحياة، لذلك كانت قصيدته (إرادة الحياة) نداء للثورة على الدخيل والسير في سبل النهضة والرقي وترك الخمول والخمود، وقد لقي شعره آذانا صاغية من المشارقة والمغاربة فكان شعره صوت الحياة الحق، خاصة وأن هذا الشاعر قد وجد منبراً كبيرا له رواده في كافة أنحاء العالم العربي متمثلا في مجلة أبولو التى كانت رئاستها الشرفية لشوقي ثم انتقلت إلى خليل مطران بعد وفاة شوقي سنة ١٩٣٢م.

وقد كانت أشعار الشابي التى نشرت بتونس، والتى نشرت في مجلة أبولو بالقاهرة سببا في شهرته الشعرية، وظل القراء يطالبون بنشر ديوانه، ويتحدثون عن مصير أعماله الأدبية، ويبالغون في تقدير كمياتها وشكلها ومضمونها وأجناسها: شعرا ونثرا ومسرحية وأقصوصة.. الخ. وقد أثار كل ذلك جدلا بين المثقفين والنقاد منذ وفاته، أي قبل صدور «الأعمال الكاملة» للشابي وقبل أن تنشر مؤسسة جائزة البابطين «أعماله الكاملة» في ثلاثة مجلدات مع ثلاثة أخرى اشتملت على مصادر ما كتب عنه، وما نشر من آثاره، أما الآن فقد نشرت كل آثاره، ولم يبق منها شيء في طيّ الكتمان.

لقد رفع الشابي اسم تونس عاليا في عالم الشعر، وغنّى أناشيد الحياة والخلود وأصبح لدى المثقفين رمزاً للشعر والشعراء، وصاحب مدرسة أثرت في مختلف شعراء الجيل، واعترف له البعض بهذا التأثير في بداياته، وأنكر البعض ذلك التأثير رغم وضوحه في شعره، وهذا يحتاج الى دراسة تعتمد الحجج والشواهد.





الأستاذ كامل كيلانى.. رائد مكتبة الأطفال



في سنة ١٩٤٧م كنت خارجا بعد الغروب من دار الكتب المصرية بدار الخلق بعد جولة علمية قضيتها في مراجعة بعض الجرائد التى تحدثت عن الشاعر البدوى الكبير الأستاذ محمد عبد المطلب عقب وفاته، حيث كنت بصدد كتابة بحث عنه، إذ عزّ عليّ أن يسكت الكاتبون عن تحليل شعره، وكأنه لم يكن ملء السمع والبصر في زمانه، وكان الذى دفعنى الى ذلك الأستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلتي الزهراء والفتح، فقد أثنى عليه متحدثاً وكاتباً بأحسن ما يقول كاتب عن شاعر، أجل خرجت بعد الغروب والمطر ينهمر، والناس يجرون هنا وهناك يتلمسون مكانا غير ممطر، فتوجهت الى كازينو باب الخلق، وكثيرا ما كان موضع استراحتي لجمال مظهره، وإحاطته بسياج زجاجي تنعكس عليه الأضواء، وما كدت أجلس ومعى ديوان الشاعر عبد المطلب أقلب صفحاته، حتى رأيت جارى الذى لا أعرفه ينظر الى الديوان، وكأنه يريد أن يعلم أي كتاب هو؟ فابتسمت وقلت: هو ديوان عبد المطلب! فتطلع ناظرا اليّ وقال: وماذا ستجد في ديوان عبد المطلب! وكأنه فاجأنى بسؤال لا أتوقعه؟ فقلت: من أنت يا سيدى؟ فقد أكون في حاجة الى معرفتك، فقال: أنا كامل كيلاني!..

فنهضت واقفا أسلم عليه، ثم أسرعت أقول: ما دمت الأستاذ الكبير كامل كيلاني فأنا أعلم أنك لا ترضى عن شعر عبد المطلب، وهذا ما يحيرنى فإنك أديبٌ ناقدٌ وأنت صاحب أبي العلاء وابن الرومى وابن



بقلم : أ.د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر

زيدون نشرت آدابهم، وتحدثت عنهم بأبلغ ما يقال.

فمد الرجل يده يصافحنى وقد ائتلق وجهه، ثم قال في ابتسام: ومن أدراك أنى لا أرضى عن شعر عبد المطلب وما أعرف أنى كتبتُ بحثاً عنه! إنما تحدثت بذلك في مجالسي، وكانت لي وقفات نقدية مع صديقي الشاعر الكبير محمد الراوي بشأنه، حيث كان عبد المطلب أعز صديق لديه، وهو الذى جمع ديوانه بعد وفاته وقد انضم الشيخ أحمد الزين الى الراوى، وللزين لسان حاد لا أستطيع الثبات أمامه، وبقى أن أكرر السؤال كيف عرفت إعراضي عن شعر عبد المطلب.

قلت ياسيدي: لقد نسيت أنت ما كتبته بشأنه في شرح رسالة الغفران، وان لم تصرح باسمه حيث قلت عنه إنه أحد المعممين الذين يتعاطون النظم، فزعمت - هكذا قلت - إنه وصف الطائرة مقلدا ليقال إنه مجدّد، بدل أن يصف الناقة، وهذا عين ما قاله الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه (شعراء مصر في الجيل الماضي) ولكن العقاد ساق القول في لهجة الود والإخلاص، وسقته أنت في سياق الزراية والاستخفاف، وما كان لك أن تفعل!.

تغير وجه الأستاذ كامل حين ذكرت اسم العقاد! وقال: كلكم تُعجبون بالعقاد، وتحفظون آراءه، وكأنها كتابٌ منزّل، وأنا لا أراه أكثر من محرر في صحيفة!.

فوجئت مرّة ثانية بانتقاص العقاد، فقلت في ابتسام، أنا طالب يا سيدى بكلية اللغة العربية، لم أبلغ مرتبة أستاذ كبير مثلك، ولكنى أعرف أنك تقدّر العقاد حق قدره، لأنه هو الذى كتب مقدمة ديوان ابن الرومى الذى أشرفت على جمع بعض قصائده في سفر حافل، وما أحللته هذا المحل، وآثرته بتقديم الديوان إلا لأنك تعلم موقعه الجهير في

** طه حسين ليس مغروراً كالعقاد

** «إنى لم آخذ مكاني أبداً بسبب الحقد والحسد والغيرة»

** طه حسين أثنى عليّ كثيراً.. والعقاد لولا لوم القارىء لم يكتب شيئاً عني.

** نشرت مقدمة العقاد رغم عدم رضاي عنها.

** كتاب (نقيب الأدباء) جمعه الكيلاني بنفسه وعلى نفقته وعزاه الى الاستاذ صادق عنبر.

دنيا البحث الأدبي والإبداع الشعرى!.

أغمض الرجل عينيه، قليلا، ثم نظر يقول في استرسال: إذا كنت طالبا نابهاً فاسمع يا بنى! **لقد آثرتُ العقاد بكتابة مقدمة الديوان راجياً أن يتحدث عما بذلته من جهد في جمع الديوان**، واختيار أحسن قصائد الشاعر من مخطوطات متآكلة، وأوراق مخرمة كابدت الغصص في استكمالها، حتى استوى النظم على أحسن وجوهه، **انتظرت أن يشير الى العناء الشديد الذى قاسيته، وأن يقدره حق قدره ولكنه صرف الحديث الى شعر ابن الرومى وحده** فأعاد ما كرره في مقالات سابقة، واستشهد بما أسلف الاستشهاد به من آثاره، وأطال القول إطالة قد تنفع القارىء ، ولكنها أهملت صنيع الناشر المحقق الذى تعب في القراءة والاختيار والطبع والتعليق، فلم يذكره إلا بعد أن انتهى من القول، ذكره في عدّة سطور لا تقدم ولا تؤخر، ولولا أنه استحيا أن يتجاهل ما قمت به، في مقدمة ديوان أنا الذى جمعته وحققته، لولا أنه استحيا أو خشي لوم القارىء ما كتب شيئا!! فما نقول في ذلك؟

قلت في سذاجة: إذا لم ترض عن المقدمة، فكيف قبلت أن تتصدر الديوان؟!

قال بعد مهلة: أنت لا تعرف العقاد، كان سيثيرها حربا عليّ، وله تلاميذ مأجورون يعبرون عن آرائه في جرأة، وعنده جرائد تخضع لمشيئته فتنشر ما يحب أن ينشر فكيف أُجابه الطوفان، على أنى لم أسلم من شره فقد كان ينتقصني في مجالسه! ولما ضاق بي الأمر كتبت كلمة في نقد إحدى مقالاته، وجعلت التوقيع (ك.ك) أي كامل كيلاني، ولم يرد بشيء، ولكنه في مجلسه الأسبوعي قال متضاحكا لجلسائه أتدرون من هو (ك.ك) إنه (كلب بن كلب) قال ذلك ليبلغنى القول، وقد أتانى أسرع من البرق!

وهنا لم أستطع صبرا، فكتبتُ محاضرة ألقيتها في رابطة الأدب الجديد التى كنت سكرتيرا لها، تحت عنوات (موازين النقد الأدبي) وهاجمتُ شعره ونثره دون أن أذكر اسمه، ثم أشار عليّ السامعون أن أطبعها فقدمتها للقراء في ديسمبر

١٩٣٣م، وكتبتُ في صفحة العنوان أن ثمنها عشرة مليمات، مع أني وزعتها مجانا على مئات القراء! لقد فضحت (هكذا قال) العقاد بما لم يستطع الرد عليه بنفسه، ولكنّ الذيول قد نبحوني في البلاغ والجهاد، وهذا لا يهمني لأني هاجمت الأسد في عرينه!!

قلت لم أقرأ المحاضرة التي تحدثت عنها، فقال إذا كانت لدي نسخ منها فسأرسل لك نسخة على عنوانك بالكلية فاكتبه لي، وقد صدق وعده وأرسل المحاضرة بعد أيام! وقرأتها فوجدت الهجوم الصارخ على العقاد، دون أن يذكر اسمه، وجدت ما قاله صحيحا لا تزيّد فيه!

سكتُّ لم أتكلم ولكن الأستاذ طلب الشاي مرة أخرى لنفسه، وطلب لي معه، وبدا عليه استعداد للقول الذي يرفّه به عن نفسه، وكأنه وجد صديقا يفضي إليه بذات صدره، وهذا ما سرني كثيرا، إذ تمتعت بحديث أديب كبير له منزلته الأدبية الذائعة، وما كان ذلك متوقعا من قبل!.

قال الأستاذ: فرق ما بين **العقاد** وما بين **الدكتور طه حسين** فرق ما بين السماء والأرض، لقد احتفل الدكتور طه لمؤلفاتي، وأثنى عليّ كثيرا، وكتب مقدمتين رائعتين لأثرين من آثاري، كتب مقدمة حافلة لرسالة الغفران ومقدمة أخرى ممتازه لكتابي (صور جديدة من الأدب العربي) نعم انه نقدني نقداً مخلصا في بعض ما كتب ولكن بعد أن قدّم بثناء حافل، وكان النقد هيّنا لينا، فقد اعتذر لي حين أهملتُ بعض عبارات صعبة من رسالة الغفران لم أر أن أصدم بها القراء، كما عاتبني على قسوتي الشديدة في كتاب (صور جديدة من الأدب العربي) على الكسائي والهمزاني وغيرهما، وهو عتابٌ صادف موضع الارتياح من نفسي، طه ليس مغرورا كالعقاد! طه هو الأستاذ الأول في مجال النقد الأدبي! وهذا ما يؤرق العقاد ويضنيه.

سمعتُ هذا الكلام ولم أشأ أن أعلق عليه، لأن هواي مع العقاد فقد انتفعتُ بآثاره أكبر انتفاع، ولا أدرى لماذا شملني شعور هادئ بحب الأستاذ كامل وتقدير مشاعره، فاندفعتُ أشيد بمؤلفاته، وأعدّ ما أعرف عنها في إعجاب، وأنا صادق في ذلك، فللأستاذ آثار طيبة ممتازة في أكثر من مجال، له آثار في التاريخ والأدب والتربية والنقد ونظم الشعر، وهو فوق ذلك كله - رائد أدب الأطفال - ، وقد أنشأ مكتبة للطفل الصغير والطفل الناشئ تحوى أكثر من مائة كتاب في أحسن ما عرف من التأليف والطبع والإخراج، مع الرسوم الكاشفة، والأسئلة الموضحة! وله مقالات في الهلال والرسالة والمقتطف تحفظ له مكانه في الصف الأول بين الأدباء! ذكرتُ ذلك للأستاذ فانشرح صدره، وبان أثر ذلك على وجهه، وانبسط في كلام كان موضع الغرابة لديّ! فماذا قال!

كان المطر قد عاود هطوله، وامتنع السير حتى

يهدأ، فاضطررنا الى المقام طويلا بالكازينو، وكان هذا من حظي، لأن الأديب الكبير ـ وقد جالسته لأول مرة ولآخرها للأسف ـ قد امتد بالحديث الى شجون مختلفة في الأدب والسياسة والاجتماع وأنا منصت لكل ما يقول، وأتمنى لو سجلته بمسجل، إذ عرفت ما لم أعرف مما يدور خلف الكواليس عن المشاهير الكبار، ثم انعطف بالحديث عن نفسه، فأدهشني أنه غير راض عن وضعه في مصر، وأن من يعتبرون من تلاميذه قد نالوا أرقى الوظائف، وتصدروا أمهات الصحف، وسبيل ذلك فى أكثره يرجع الى الملق الكاذب لا الى المواهب الدافعة.. أفاض الأستاذ في ذلك كثيرا حتى عجبتُ له، إذ كان ظنى غير ذلك تماما، فالرجل معترف بمنزلته الكبيرة، وبريادته الأولى في تربية الأطفال، وبكتبه التى تذيع وتنتشر على أوسع نطاق، أدهشني ذلك فقلت له في هدوء جم، يا سيدى أنا أعلم أن حفلة كبرى أقيمت لتكريمك بقاعة يورت التذكارية حضرها زعماء الفكر في مصر والعالم العربي، وقد قيل فيها على ألسنة الكبار مالا يدع مجالا للشك في مكانتك الرفيعة، وكنت قرأت ما قيل في هذا الاحتفال مجموعا في كتاب تحت عنوان (نقيب الأدباء كامل كيلانى) وقيل إنه من تأليف الأديب الكبير الأستاذ محمد صادق عنبر حيث سجل ذلك على الغلاف! قرأت هذا الكتاب فرأيت من أكاليل الثناء ما يضفر فوق هامة الرجل، وقد قال الدكتور عبد الرحمن شهبندر المفكر السورى الكبير ووزير الخارجية السوري من قبل. كلمة ممتازة نشرت تحت عنوان (مكتبة الأطفال والوحدة العربية، قال ذلك في سنة ١٩٣٤م قبل أن يشيع الحديث عن الوحدة العربية بأكثر من عشر سنوات، وكان من معانيها (أن اللغة العربية تخلق تفكيرا مشتركا بين أبنائها جميعا من المحيط الى الخليج. وإذا نشأ جيل يهيم باللغة العربية ويعشقها فقد تمهد السبيل الى قيام الوحدة العربية. وهذا ما حرص عليه الأستاذ كامل كيلانى حين نشر مكتبة الأطفال فذاعت في العالم العربي، وجمعت أطفال اليوم ورجال الغد على كلمة واحدة وشعور واحد، وهذا عمل ممتاز قام به واحد ذو فضل جهير، هو الأستاذ كامل كيلاني) ١هـ.

قلت ذلك وحمدت الله أن تذكرته فرحب الرجل بمعرفتى ترحيبا حارا، وقال إنه لم يكن ليتصور أن أبناء الأزهر يعرفون كل ذلك عنه، وبدا عليه من السرور المبتهج ما أثلج صدري حقا، إذ اعتقدت أنى غيرت تفكير الأديب الكبير من وضع الى وضع! وأنه سيحلني منزلة من نفسه أطمح إليها، وقد انقطع المطر، فخرج كلانا لسبيله وكانت جلسة لا أنساها!

على أني عرفت فيما بعد وبعد مضي أكثر من عشر سنوات أن الأستاذ كامل لم يفارقه شعور التقصير نحوه، وأنه ظل يشكو كثيرا من هذه الناحية المتوهمة، عرفت ذلك حين انتقل الرجل الكبير الى جوار ربه وأفاضت الصحف في تعديد محاسنه

التى لا تنكر، فأشار بعض الكاتبين الى ما عناه من جحود متوهم، وأذكر أن جريدة الجمهورية خرجت علينا برثاء حار كتب بتاريخ ١١/١٠/١٩٥٩م بقلم الأستاذ اسماعيل الجرول بدأه بذكر حديث آسف جرى بينه وبين الراحل الكريم قبل تشييعه بأيام. وقد وصف الأستاذ الجرول حالة الرجل الجسمية والنفسية بما أثار الدموع وألهب المشاعر، وكان مما سجله على لسان الكاتب الكبير في ساعاته الأخيرة قوله الحزين:

«إني أريد أن أقرر حقيقة كبيرة، هى أنى لم آخذ مكانى أبدا، الحقد والحسد والغيرة أكلت كل المحاولات التى بذلت لأجلس على المقعد الصحيح، وأقف في المكان المناسب، ولكنى غفرت لكل الذين أساءوا اليّ، ووقفوا في سبيلي، غفرت لهم وعفوت عنهم، لقد كتبت الكثير مما أعجز رجال الفكر فاعترفوا به، وكنت أول واضع لمكتبة الأطفال، وهأنذا أموت، ولم أنل كلمة تقدير واحدة، لم أنل جائزة، ولم أقبض مليما واحدا مكافأة لي طول حياتي».

إن ما قاله الأستاذ الجرول جعلنى أعتقد أن سرور الأستاذ بحديثى كان سرورا وقتياً، وأن شعوره بالتقصير نحوه كان يتغلغل في أعماقه، وهو شعور موهوم لأنه كان يعيش في بسطة من العيش من جراء كتبه الكثيرة التى طبعت مرارا لتشغل أيدى طلاب المدارس الثانوية وتلاميذ المدارس الابتدائية وقد تكررت طبعاتها، وانتشرت في العالم العربي بأجمعه على أوسع نطاق وقامت دار المعارف وهي من كبريات دور النشر بترويجها وإتقان طباعتها مما جعل المؤلف يحتل مكان الصدارة في بابه! وأيّ تقدير بعد هذا! إن تقدير الدولة محاط بالشبهات لأنه قد لا يصادف موضعه وقد يتخطى الأصيل الى الدخيل، فليس المهم هو التقدير الرسمى ولكن التقدير الشعبي، وهذا ما تحقق للكاتب الكبير، ولو فهم ذلك جيدا لاستراح!.

وكنت قابلت أخي الأستاذ الكبير محمد شوقى أمين - رحمه الله - وهو صهر الأديب الكبير الأستاذ محمد صادق عنبر، فسألته عن كتاب «نقيب الأدباء» الذى نُسب إليه تأليفه، وكامل كيلانى على فضله من تلاميذ صادق عنبر لا من قرنائه ومن المستغرب أن يقوم أستاذه بإعداد الكتاب. فقال الأستاذ شوقي، إن الأستاذ صادق عنبر ألقى كلمة في حفل التكريم، وهذا كلّ ما قام به، فجمع الأستاذ كامل كل ما قيل، وأضاف اليه بعض ما نشرته الصحف، ونشر ذلك في كتاب خاص على نفقته الخاصة تحت عنوان خطير هو نقيب الأدباء ، وعزاه الى الأستاذ صادق عنبر، وقد تأثر بعض الشيء حين فوجىء بذلك ولكنه دائما عفوٌّ متسامح! هذا ما قاله الأستاذ شوقي، وما أعتبره حقيقة واقعة إذ كيف يكتب على الصدر اسم مؤلف جهير ليس له غير كلمة واحدة ، وهو وغيره من المتكلمين بمنزلة سواء! رحم الله الجميع.

مجلة

السائح

العدد

(١٣٣)



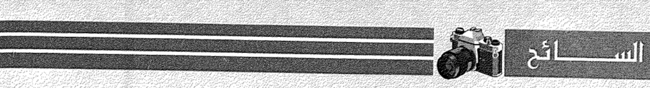
مرسى مطروح وحكايات الماضي والحاضر



كوستاريكا .. المتحف الطبيعي المفتوح



في البلدان والعمران .. في التقاليد والأعراف في تقاطيع وجوه الناس . السائح يستقرئ الملامح ويرسم اللوحة



مطروح .. مرسى الهدوء والحكايات أرض المعارك والبطولات

أعددت العدة لأغادر القاهرة، والجو فيها حار جدا، لأزور هذا البلد الجميل، قلبت في أوراق احتفظ بها حوله.. وجهزت الكاميرا. وأوراقي وذكريات كثيرة جمعتها من زيارات سابقة.. وها هي «المنهل» .. وأنا في اتجاه مرسى مطروح .. شاطىء الراحة ومرسى الحكايات والبطولات والتاريخ.. الحرف التقليدية والعادات والتقاليد البدوية الصحراوية.. حيوانات وطيور .. نباتات وزراعات.. شواطىء ومتاحف.. معابد ومقابر .. أسواق وأندية.. وأشياء أخرى كثيرة تحكيها سطورنا التالية.. ورحلتنا عبر مدن وقرى مطروح، وخاصة سيوه، والعلمين والحمام وبراني .. وأماكن أخرى تابعوا معنا.

استقل السيارة المكيفة وعبر طريق القاهرة - الاسكندرية الصحراوي، ومنه عبر طريق جديد، تقول اللافتة في بدايته إنه طريق (وادى النطرون).. وعرفت أن المسافة الى مطروح حوالى ٦٠٠ كيلومتر الصحراء هنا ممتدة، وبعد فترة نبدأ من المرور عبر القرى والمدن السياحية في منطقة الساحل الشمالي، ونمر على سيدى عبد الرحمن ومارينا والحمام والعلمين.. وكلها أماكن ستكون محطات فيما بعد.

أقلب في الأوراق التى حملتها وكلها تحمل تاريخ المكان.. وبعد حوالى ٤ ساعات أو أكثر بقليل أصل الى مطروح العاصمة، الهواء غير الهواء.. والهدوء يلف المكان، والسيارات قليلة، وأصل حيث أقيم على شاطىء البحر في منطقة (باب البحر) والتى تعودت لسنوات طويلة الإقامة فيها.. وكان لابد من الراحة لساعات لتنطلق زياراتى بعد ذلك.

شاطىء ومتحف روميل:

انتهى وقت الراحة، ولأننا في منتصف نهار اليوم الأول، طلبت من مرافقي في العلاقات العامة

اعداد : **محمد السنباطى** - مصر

(عصام) أن نبدأ الزيارة بالمكان الأقرب.. وكانت وجهتنا الى شاطىء روميل - وهو من الشواطىء الشعبية هنا - وتصله عبر كوبرى جديد، وهنا لابد من زيارة متحف روميل المنحوت في صخر جزيرة وسط المياه.

استقبلنى مدير المتحف الأثري محمد الشرقاوي ومرافقه الأثرى سعد براني، ولك أن تعرف أولا أن المتحف يقع بمنطقة الميناء الشرقى، وهو عبارة عن كهف محفور بالجبل.

ويقول مديره: عندما وصل روميل في احدى جولاته الحربية الى مدينة مرسى مطروح استغل هذا الكهف كمركز قيادة مؤقت اثناء الحرب العالمية الثانية، وعام (١٩٧٧م) فكرت محافظة مطروح في تحويل هذا الكهف الى متحف حربي.

هدايا ومقتنيات :

ويكمل الأثرى الذى يرافقنا.. عرف ابن روميل، وكان في هذا التوقيت يشغل منصب عمدة



شاطىء عجيبة .. وصخرة عجيبة .. إبداع وإعجاز

مدينة شتوتجارت الألمانية، فزود المتحف بمقتنيات خـاصـة بوالده، ومنهـا بالطو وبوصلة وصـور فوتوغرافية وخرائط، وصندوق خاص بروميل.

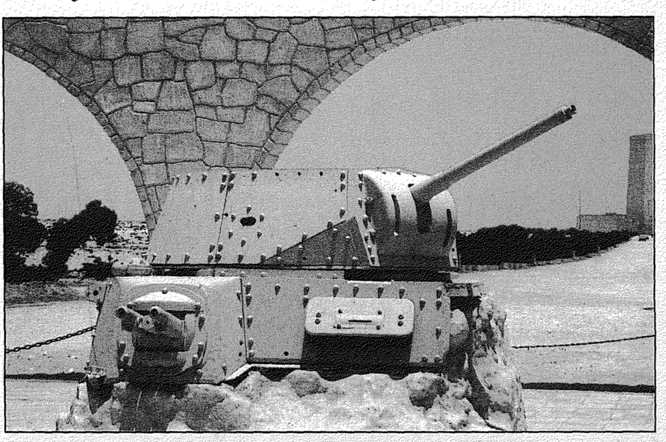
وأمر عبر دروب المتحف لأشاهد تمثالا خزفيا وضع في تجويف صغير، وفي وسط المتحف وضعت مقتنيات روميل، اضافة الى العلم النازى وخرائط لليبيا والساحل الشمالي، ومكتب روميل، وخطط المعارك الرئيسية والفرعية.

ولا يتوقف الأمر هنا عند ذلك، حيث شاهدت خوذات المانية ونسخة من جريدة عسكرية كانت تصدر أثناء المعركة، هذا إضافة الى نماذج من الدبابات (البانزر) الألمانية، إضافة الى صور لروميل وهو يتابع المعارك بنفسه.

حوار وأرقام :

تعود بنا السيارة عبر الكوبرى ثم الكورنيش ومنطقة التليفزيون ومخيمات ومقار الأندية حتى نصل الى مبنى محافظة مرسى مطروح وهنا أقابل محافظ الاقليم الفريق محمد الشحات ـ أحد أبطال قوات دفاعنا الجوي.

ويحكي المحافظ ويشير الي أن محافظته واحدة من أكبر المحافظات المصرية، حيث تقع بطول ٤٥٠



متحف العلمين الحربي ويضم بقايا موقعة العلمين الحربية



كيلومتر حتى الحدود الليبية، ولها عمق في الصحراء حوالى ٤٠٠ كيلومتر، اضافة الى أن بها الكثير من الخيرات النسبية، في الانتاج الزراعى حيث زراعات الزيتون والنعناع والتمر واللوز والتين.

ويقول الفريق محمد الشحات هنا أيضا حيوانات برية نادرة منها الغزال واليربوع والأرنب البرى والثعلب، وطيور منها الحبارى والسمان والقمرى والبشلوش والبشاروي، والعديد من النباتات الطبية والثروات المعدنية.

ويتحدث محافظ مطروح حول الحاضر والمستقبل، ويشير بفخر الى الثروات المعدنية والاكتشافات البترولية والغازية، ومشروعات المنطقة الصناعية في الكيلو ٢٦ شرق مطروح، وامتداد القرى السياحية، التى وصلت الى أكثر من ٢٥٠ قرية سياحية، موجها دعوة للجميع لزيارة محافظته الجميلة الهادئة، كأهم المدن العالمية الصديقة للبيئة، ونودع الرجل الذى تولى المسئولية قبل فترة قليلة متمنين له التوفيق.

سوق ليبيا :

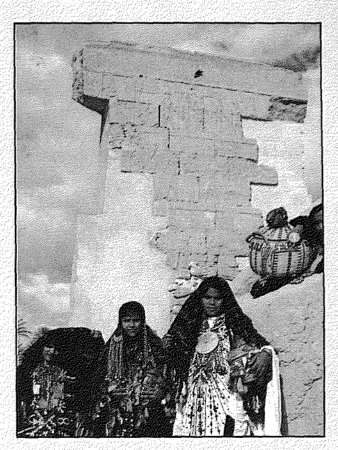
بالسيارة ولمسافة قليلة تصل الى سوق ليبيا.. وأسأل لماذا هذا الاسم فيؤكدون لى أن الارتباط هنا بليبيا قوى من خلال القبائل (وخاصة قبيلتي أولاد على الابيض وعلى الأحمر) بالأهل في ليبيا وتونس والجزائر.

وأشاهد في السوق منتجات من كل دول العالم، جاءت عبر الحدود المصرية الليبية، فأشاهد محلات سوق مطروح وغيرها، عطور وجلود وزيت زيتون وأعشاب وملابس جاهزة وأدوات كهربية وغيرها.. وهو سوق مزدحم في الصيف برواد الشواطىء، وفي الشتاء بالخبراء الأجانب الذين يعملون في شركات البترول والغاز والتعدين القريبة من المدينة العاصمة.

ونخرج، وأطلب زيارة وسط المدينة، وهنا نترك السيارة، واستقل (الكارتة) وهي عربة حنطور صغيرة يجرها حمار، وتصل الى منطقة الأسواق، حيث شوارع الاسكندرية وعلم الروم، واشترى المحمصات التى تشتهر بها هذه المدينة الجميلة، ولا يفوتنى أن أذكر هنا أنك عندما ترى الوجوه تعتقد أنك تعرفها من قبل، فالابتسامة على وجوه الجميع، والترحاب تجده في كل مكان.

قبل الليل :

وقبل أن يأتى الليل نستقل السيارة لنشاهد ونستمتع بعشرات الشواطىء الجميلة بداية من شاطىء روميل، مرورا بكليوباترا وحمامها الشهيرة، وصخرتها التى مازالت تحمل اسمها، وشاطىء علم الروم وشاطىء باجوس وشواطىء الغرام والبوست


ملابس تقليدية وطقوس شعبية لبدو مطروح

والمعسكرات والليدو والتليفزيون، حتى نصل الى شاطىء عجيبة على بعد ٢٤ كيلومتر غرب المدينة العاصمة.

وفي عجيبة .. ستعرف أنك زرت واحدة من عجائب شواطىء الدنيا.. تصعد على ربوه، ثم تهبط تجاه شاطىء البحر، حيث أنقى وأصفى مياه في الدنيا.. وأكثر المناطق التى زرتها هدوءاً. ولا تملك سوى أن تقول «سبحان الله» لهذا الابداع الرائع ولن أزيد.

ويهبط الليل ونركن للراحة قليلا.. وفي المساء نخرج الى قلب المدينة مرة أخرى، حيث نشاهد متحف التراث بديوان عام المحافظة، وفيه نرى روائع الأعمال والأشغال اليدوية، التى تظهر من خلالها العادات والتقاليد.

سامر الليل :

ونجلس نتسامر، وهنا تقول احدى الوجوه المبتسمة من العلاقات العامة في مطروح: إن مطروح ليست مدينة اليوم.. فالفراعنة كانوا هنا وتركوا معبد رمسيس الثاني من أم الرقم، وللروخان مقابر من عجيبة، وقد شهدت هذه المدينة جزءاً من حكاية غرام كليوباترا.

وتكمل أم العز: بعد الفتح الاسلامي مرت الجيوش الإسلامية الى المغرب العربي ومنها الى أوربا، كما دارت على أرض مطروح أكبر معارك الحرب العالمية الثانية، وفوق كل هذا فمحافظتنا هي همزة الوصل مع الشمال الأفريقي العربي.. أما حاضرنا فالتطور بات في كل شيء، بداية من زيادة الاستثمارات والمناطق الصناعية والقرى السياحية، وصولا الى ركيزة التعدين وشركات البترول.

ينتصف الليل.. ولأنه كان يوم الوصول، تصبح الراحة مطلباً أساسياً بعد زيارات كثيرة ولقاءات وسمر.. وأسواق وهدايا.. الهواء في الليل بارد والجو جميل.. ولكن لابد من الاستعداد لليوم الثاني حيث وجهة جديدة .. وأخلد للنوم.



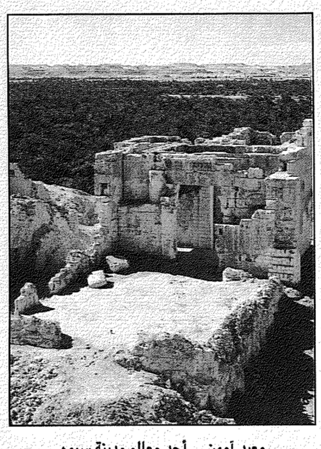
حروب ومقابر :

على صوت بائع الجرائد يصيح.. جرايد جرايد.. وأصوات باعة اللبن الحليب والفول المدمس أصحو مبكرا.. أتناول فطورى وأرى السيارة التى ترافقني قادمة على مهل.. أنزل درجات السلم وأسأل مرافقي الى أين.. فيقول: الى العلمين والحمام وسيدى عبد الرحمن وتل العليق.. فقلت على الفور إنه يوم نزور فيه حروب الماضى ومقابر الحرب العالمية الثانية.

تتحرك السيارة الى حيث مدينة العلمين ـ ١٨٤ كيلومتر شرق مطروح ـ وفي الطريق نشاهد العديد من القرى السياحية الرائعة، ومزارع التين والتين الشوكي والمحاجر ومشروعات عديدة، وقبل ساعة ونصف نصل الى العلمين، التى عرفت من مرافقي أنها استمدت اسمها من صخرة موجودة بين خط السكك الحديدية وساحل البحر تسمى (تل العلمين).

يستقبلنا مسئولو المدينة، ويؤكدون أن الزيارات لا تنقطع هنا طوال العام، حيث مقابر الجنود، ونتحرك تجاهها ونرى الاف المقابر، وكانت البداية في مقابر الكومنولث، وهي تضم ٧٣٦٧ مقبرة لقضحايا الحرب من بريطانيا ونيوزيلندا واستراليا وجنوب افريقيا وفرنسا والهند وماليزيا.

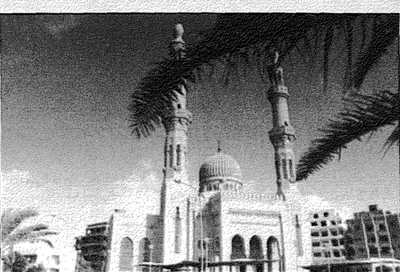
ومنها الى المقبرة الالمانية، وقد شيدت عام



معبد آمون .. أحد معالم مدينة سيوه

١٩٥٩، وتطل على البحر من فوق ربوة وتضم رفات ٤٢٨٠ جندى الماني، ومنها الى المقبرة الإيطالية، وهي بحق فخمة وطرزها المعمارية كقلب روما ومبانيها العريقة، وتضم كنيسة صغيرة ومتحفاً أيضا، وبها رفات ٤٨٠ من الجنود.

نخرج من قلب المقابر لنزور متحف العلمين الحربي، وهو يحكى سير المعركة الفاصلة.. وهنا استمعت لنداء من أهالى المنطقة الى كل دول العالم لإزالة الملايين من الألغام الأرضية التى حولت مساحات شاسعة الى أراض للموت، وهل يستجيب أحد لهذا النداء.



أحد المساجد العريقة فى مدينة مطروح

الحمام وعبد الرحمن :

الشمس انتصفت في كبد السماء٠٠ ولكن نسمات الهواء الجميل تنسيك قسوة هذا الجو الصحراوي٠٠ وعبر طريق متسع كانت وجهتنا الى مدينة الحمام، والتى تبعد عن هنا مسافة ٤٢ كيلو - عن مدينة العلمين أقصد - ، وصلنا الى الحمام، حيث يقع المركز الثاني الاحتياطي للقمر الصناعي المصرى (نايل سات ١٠٢)٠

ونبدأ الزيارة هنا بزيارة محمية العميد، وهي احدى المحميات الطبيعية البديعة، حيث أندر النباتات العطرية والطبية، ومجموعات عجيبة من الطيور والحيوانات البرية، ولتعرف أن الصيد هنا ممنوع، والبناء أيضا ممنوع، وكل شيء ترك على طبيعته٠

وأقضى باقي اليوم على شواطىء جميلة٠٠ أنزل البحر واستمتع بالسباحة التى لا أجيدها كثيرا٠٠ ولكن رمال الشاطىء الناعمة البيضاء وهدوء المياه وصفاء السماء كل شيء يغريك بنزول البحر وبناء قصور على الرمال حتى تقترب الشمس من المغيب٠٠ وهنا أعود لأبيت ليلتى الثانية في المدينة العاصمة مطروح٠

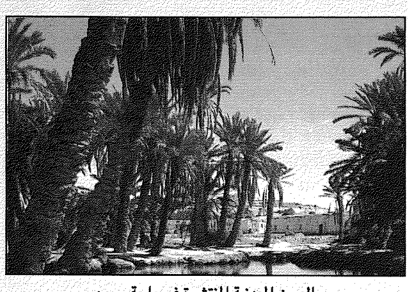
وقبل أن أخلد للنوم قبلت دعوة صديقي الصحفي محمود صادق ومجموعة من الزملاء الاعلاميين على عشاء بدوي فاخر، شويت فيه لحوم الأغنام على نار هادئة٠٠ وقدمت فيه الأغانى الشعبية في خيمة على شاطىء البحر، حتى تاه الليل، وكاد النهار أن يطلع بنسمة في يوم جديد٠٠ وكان النوم هو طلبي الأخير هذا اليوم٠

يوم الغرب :

تضرب الشمس زجاج شباكي المطل على مياه (دوار البحر) ٠٠ أفيق على صوت الباعة كالعادة (زبادى يا قشطة٠٠ حليب يالبن)٠٠ وصوت الماعز تجوب الشواطئ والشوارع بحثا عن رزقها ٠٠ تصل السيارة وأعرف أنه يوم مدن الغرب تجاه الحدود٠

تتحرك السيارة ومرافقي وسائق يلبس الزي البدوى، أقرب بكثير الى الزى الليبي التقليدي، ولهجة بدوية جميلة وكانت البداية على بعد ٧٥ كيلو





العيون المعدنية المنتشرة فى واحة سيوه

غرب مطروح العاصمة، وصلنا الى النجيلة بعد قرابة نصف الساعة.. عرفت من مرافقي أنها مدينة الزراعة وأجود الأراضي، إنها بلاد التين والزيتون والشعير والأغنام، استقبلنا أهاليها بترحاب وقهوة عربية وتين رائع، وشاهدنا على الطريق قرى الزغرات وشماس وأبو مرزوق.

ومرت بنا السيارة على مدينة ساحلية جميلة، بعد حوالى ٦٠ كيلو من النجيلة.. وها نحن الآن في مدينة (سيدى براتى).. حيث مجموعة من الشواطىء الجميلة والحياة الصحراوية الخلابة والطبيعة البكر.. ونقترب رويدا رويدا من الحدود .. وها نحن في طريقنا الى مدينة السلوم، التى تبعد ٢١٥ كيلومتر غرب مطروح المدينة العاصمة، استقبلنا رئيس المدينة، وقال: انها بوابة مصر ومنفذها الى ليبيا ومن ثم المغرب العربي.. وامام المدينة مباشرة يمكنك أن تشاهد خليج السلوم، وهو شاطىء يمتاز بالرمال البيضاء الناعمة، وألوان المياه الخلابة، والمناخ المعتدل طوال العام.. وهو في انتظار حركة الاستثمار السياحي.

وتتحرك بنا السيارة الى حيث نزور مقابر ضحايا الحرب العالمية الثانية، وهي خاصة بالجنود الألمان، وجنود الحلفاء، وتقع في وادى الحلفاوى، وفي هذه البقعة دارت معركة حاسمة انتصر فيها روميل.

نصل الى بوابة الحدود مع ليبيا.. حركة دائبة لا تتوقف بضائع وسيارات وأسواق صغيرة وبضائع تحمل كل الجنسيات.

ويبدو أن عصر اليوم اقترب كثيرا.. وكانت دعوة بدوية على الغداء.. وكالعادة اللحوم المشوية على النار والارز البخارى كانت المائدة الرئيسية، وحوارات مع أهالى المدينة تناولت الأحلام العربية والمصاهرة والتنقل عبر الحدود، وأمنيات بمشروعات وقرى سياحية ومطارات وتطوير طرق وغيرها.

وفي رحلة طولها حوالى ١٤٠ كيلو، نعود الى مطروح العاصمة مرة أخرى، وأتقابل مع قيادات شعبية وتنفيذية، ويمتد الحوار حول موضوعات عديدة، أدون كل ما جاء بها في أجندة خاصة، سأفتحها قريبا لأكتب عنها، أو أناقشها.. وهنا

يأتى الليل ولا سبيل إلا للراحة، حيث رحلة الغد البعيدة.

سيوه .. واحة الجمال:

يوم جديد هنا في المدينة الهادئة.. مرسى النعومة والجمال.. مرسى مطروح، وعرفت من مرافقى أن رحلتنا اليوم بعيدة.. وهي الى قلب الصحراء وعلى بعد ٣٠٦ كيلومتر، وهي الى الواحة الجميلة (سيوة).

تحركت السيارة بنا عبر طريق فرعي ولكنه متسع، ويحكى مرافقي عن سيوه ويقول: عرفت قديما باسم (بنتا).. ووجد هذا في نصوص جدارية مدونة على معبد أدفو.. وعرفت بعد ذلك باسم (واحة أمون)، وفي العصر البطلمي أطلق عليها (جوبتر).. وعرفها العرب الاوائل باسم (الواحة الأقصى).. وذكرها المقريزى فيما دون (السوى)، ودخلها العرب في القرن التاسع الميلادى، ولكنها لم تخضع للحكم الاسلامي، إلا في عهد الفاطميين.

أقلب في أوراقى التى أحملها ليمر الطريق الطويل، وأعرف أن سيوه تقع فوق سطح البحر بحوالى ١٧ مترا، وأن أمطارها شتوية قليلة، وأن أهاليها خليط من المصريين والبربر الذين قدموا لها من الغرب والسودان، وأنهم مازالوا يتحدثون حتى اليوم باللغة السيوية، وهي خليط من البدوية والبربرية والعربية.

قمبيز والفرس:

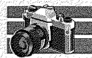
ثلاث ساعات مرت ونقترب رويدا من الواحة الخضراء في قلب الصحراء.. ويكفي أن تعرف أنها تقع على حافة بحر الرمال العظيم.. والى جوارها (٨) تجمعات قروية صغيرة، وهى (خميسة والمرافي وأغورمي وبهى الدين وقريشت وأبو شروف والزيتون وجارة أم الصغير).

ونصل الى قلب الواحة، ويستقبلنا وفد من المسئولين والأهالى بالملابس السيوية التقليدية المطرزة والجميلة.. والصبايا بالحلى الكبير والعقود المرجانية.

نجلس للراحة قليلا ونتسامر وأعرف قصة قمبيز والمواجهة مع الفرس، ويقول صفوان ـ أحد أبناء الواحة ـ في عام ٥٢٤ قبل الميلاد، حاول قائد الفرس قمبيز تأديب الكهنة في الواحة.. وفي الطريق قست عليهم الريح وقضت عليهم تماما ولم يصلوا الى الواحة، ولما سمع ذلك قمبيز جن جنونه ومات.. وهنا يؤكدون أنها نبوءة أمون بأن من يقترب من الواحة سيلقى هلاكا واسعا.

الاسكندر زارها:

سألت أهل السامر.. وماذا عن زيارة الأسكندر الأكبر للواحة.. قال أحدهم.. إنه في شتاء ٣٣١ قبل الميلاد خرج الاسكندر بموكبه وعبر مطروح وسكة السلطان.. ولولا هطول المطر لمات كل من في القافلة.. ورغم الرياح اهتدوا حتى وصلوا



الى الواحة.. ولقي ترحاباً شديداً، واستقبل ودخل الى معبد أمون.

وهنا أطلب بعد أن تناولنا اللبن الحليب والتمر السيوى أن نبدأ زيارتنا لمعالم الواحة.. وكانت وجهتنا الأولى الى معبد أمون، وهو موجود في منطقة تعرف باسم (أم عبيدة).. وبالقرب من صخرة تعرف (صخرة أجورمي).. وفوقها بنى معبد التنبؤات، وهو فريد في طرازه المعماري، وعرفت أنه بنى في عهد الأسرة (٢٦)، وله قصصه وأساطيره الخاصة به.

وبعدها نتحرك الى جبل الموتى، ويطلق عليه أهالى الواحة أحيانا (جبل المصبرين)، وبه عدة مقابر منحوته، منها مقبرة تي بريانوت بي ومقبرة سا، ومقبرة مسيويزيس.

والى حيث غابات النخيل والحدائق نزور قلب المدينة القديمة، والتى عرفت باسم (شالي القديمة) وهي مدينة ذات أسوار وحدائق زيتون، وبها العشرات من العيون المعدنية والبحيرات المالحة، ومن هذه المدينة يمكنك أن تشهد الواحة والصحراء تحتضنها في منظر بديع منفرد.

عيون المياه :

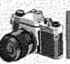
طلبت أن أمر على عيون المياه المنتشرة هنا، فشاهدت عين الدكرور وعين خميسة والمراقى والخرمشات وتاجزرتي والزيتون وكليوباترا وترسيت، وفي حمام كليوباترا أخذت حماماً أنساني كل التعب في هذا اليوم الحار طقسه، كما نزلت الى بركة سيوه المالحة، التى تحيطها أشجار النخيل والزيتون بشكل جميل.

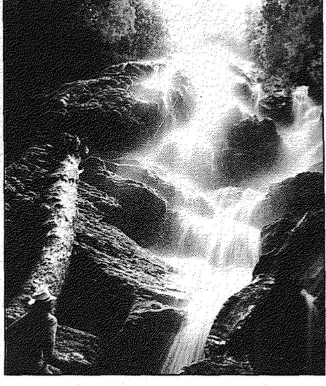
وخرجت من هذه المتعة الى حيث يوجد (البيت السيوى).. وهو متحف أقيم بالتعاون مع الحكومة الكندية في حديقة مجلس المدينة على مساحة ثلاث أفدنة، وهنا شاهدت ومن معي المشغولات البدوية، ونماذج للعادات والتقاليد والاحتفالات السيوية، وعرفت أن قمة الاحتفالات تقام هنا خلال شهر أكتوبر من كل عام.. حيث تزداد أعداد الزوار والسياح وتمتد الاحتفالات طوال الشهر.

وحول احتفالية سيوية تقليدية ورقصات شعبية كان الليل هنا .. وأغاني باللغة السيوية ترجم مرافقي بعضها تحمل كل المعانى الجميلة.

وأعود الى مطروح منتصف الليل .. أشكر مرافقي على مجهوده معي.. ومجهود الزملاء في العلاقات العامة.. والزملاء في مكاتب الصحف بالمحافظة على حسن الضيافة.. ومحافظ الإقليم الذى يوجه الدعوة لكل محبي الجمال والطبيعة البكر.

مطروح يا جميلة جميلات مدن شواطىء المتوسط.. لن أنسى كل هذا الابداع الذى يسكنك.. وهذا الكرم الذى يسكن ناسك.. والروعة التى تحيط كل شيء فيك.. وسوف أعود يوماً ما.. يا شاطىء الحكايات والذكريات والبطولات.. ويا مرسى الهدوء.





المياه الصافية تدفق بين الصخور والخضرة اليانعة



فوهة أحد البراكين

كوستاريكا .. المتحف الطبيعي المفتوح

كوستاريكا دولة صغيرة تقع في امريكا الوسطى تبلغ مساحتها ٥١ الف كلم مربع ويزيد عدد سكانها عن المليوني نسمة ، ويتكونون من خليط عجيب من الاعراق المختلفة، فمنهم الهنود الاصليون والسود من أصل افريقي والبيض من اصول اوربية ويتركزون بصفة خاصة في العاصمة سان خوسي والمناطق المجاورة لها على امتداد السهل الأوسط الذي يعتبر من اهم مناطق البلاد ، وتحيط بهذا السهل سلسلتان جبليتان من الشرق والغرب تفصلانه عن المحيط الهادي وبحر الانتيل ، والبلاد على العموم تتمتع بطقس مداري رطب بسبب موقعها الجغرافي المتميز ،

اعداد : الحسان الرزافي - المغرب

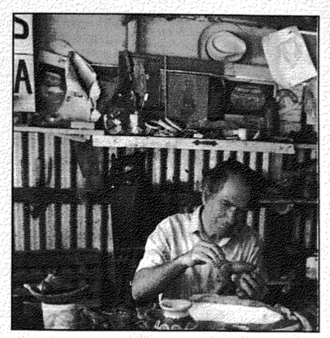
ويعتمد اقتصاد كوستاريكا على الزراعة بصفة اساسية اذ تنتج البلاد البن والموز والكاكاو وقصب السكر. اما الصناعة فبحكم افتقار البلاد الى المعادن ومصادر الطاقة تم الاتجاه الى صناعة المنتجات الزراعية التى تصدر نسبة كبيرة منها الى الولايات المتحدة الامريكية.

استقلت كوستاريكا عن اسبانيا سنة ١٨٢١ وأصبحت احدى الجمهوريات الخمس للولايات المتحدة الامريكية الوسطى سنة ١٨٢٤ قبل ان تتحول الى دولة ذات سيادة في ١٨٣٩.

وتفتخر كوستاريكا بكونها من الدول القلائل التى خصصت جانبا هاما من اراضيها للمحميات الطبيعية وملاجىء الحيوانات البرية والمتنزهات الوطنية. وتعج كل هذه المناطق بحياة طبيعية شديدة التركز والاختلاف ويرجع ذلك اساسا الى كون البلاد - رغم مساحتها المحدودة - تتمتع بانظمة مناخية ومواطن طبيعية شديدة التنوع بفضل وجود جبال تمتد على طول البلاد مشكلة حاجزا طبيعيا بين الاراضي المنخفضة المطلة على المحيط الهادىء وبين شواطىء بحر الكاريبي.

جولة في المنطقة الشمالية الغربية:

تمتد منطقة الشمال الغربي لكوستاريكا من نهر تاركوليس الى حدود نيكاراغوا ومن السفوح الغربية لجبال تيلاران الى سلسلة غواناكاستي البركانية. وبسبب ارتفاع هذه البراكين والجبال الى ما يفوق اربعة الاف قدم فانها تضفي على هذه الناحية جوا باردا ورطبا على مدار العام. لكن في المنحدرات تسود الرياح التجارية الشمالية الشرقية التى تحمل معها تيارات جافة ودافئة خاصة من منتصف نوفمبر الى منتصف مايو. ورغم أن هذه المنطقة توصف عادة بالصحراء الموسمية فانها زاخرة بكل اشكال الحياة التى تأقلمت مع الشروط المناخية القاسية. وقد حملت الانشطة الانسانية



احد الحرفيين يزاول عمله في همه واتقان

الكثير من التغيير الى المنطقة حيث جلبت العديد من قطعان الماشية واقيمت مزارع قصب السكر الحديثة. ومع ذلك فمازال بالامكان التمتع بمنظر الغابات التى كانت تغطي معظم تلك الاراضي في متنزهي: سانتاروزا وباولوفيردي، وكذا في محمية لوماس باربودال الطبيعية.

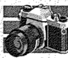
حينما يحل الفصل الجاف تتخلص الاشجار من اوراقها كوسيلة للحفاظ على بعض الرطوبة. ونتيجة لهذا الوضع تتوقف العديد من الحشرات عن التوالد أو تهاجر الى جهات اكثر رطوبة. وقد تزهر الاشجار والعديد من النباتات الاخرى في معرض طبيعي اخاذ يوفر ملاذا من الجو الخانق في الريف.

وهناك العديد من الطيور والحيوانات التى يطيب لها العيش في مثل ذلك المناخ كطائر المطموط ذي الحاجب الفيروزي وطائر التروغون ذي الراس الاسود والعقعق ذي الرقبة البيضاء وسحلية تينوسور والسلحفاة الحمراء وثعبان البوا العاصر والافعى ذات الاجراس المدارية. اما تماسيح الاغوانا الخضراء فترى عادة وهي تتشمس قاضمة اوراق الاشجار على ضفاف الأنهار.

تعشش السلاحف الضخمة على الكثير من الشواطىء ومنها سلحفاة ريدلي والسلحفاة ذات الظهر الجلدي. ونظرا للمخاطر الكثيرة التى تهدد هذين النوعين، فقد وضع شاطئا اوستيونال وغراندي تحت الحماية لتوفير ظروف حياة افضل لهذه المخلوقات.

اطلالة على المنطقة الجنوبية :

واذا اتجهنا جنوبا فلابد ان نرتقي جبال تالامانكا حيث تبدو للعيان قمة جبل تشيريبو التى



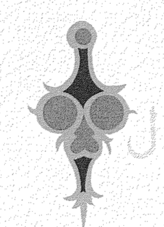
ترتفع الى ١٢٥٣٣ قدما وهي بذلك اعلى نقطة في كوستاريكا. وبما ان هذه المرتفعات غير متصلة بنظيراتها في الانديز الى الجنوب وغواتيمالا الى الشمال، فقد احتفظت بمميزاتها الطبيعية الخاصة، اذ تضم انواعا نباتية وحيوانية نادرة استدعت ضرورة الحفاظ عليها انشاء محميتين وطنيتين هما: محمية تشريبو ومتنزه لاس اميستاد العالمي. وهذا الاخير يمتد الى داخل دولة بنما المجاورة. وتوفر غابات البلوط الملاذ الآمن لطائر الكتسال البهي وكذا لاكثر من ٤٠ نوعا نادرا من الطيور. ونظرا للنشاطات الاستيطانية البشرية والحضور القوي للفصل الجاف في الاشهر الاربعة الاولى من السنة حيث تشكل النار اداة هامة لتنقية الارض مما ادى الى محو الاشجار من المنحدرات الجنوبية الباسيفيكية تماما وجعل المنطقة بين تشيريبو ومتنزه كوركوفادو الوطني خالية من الغابات.

ويحظى متنزه كوركوفادر بشهرة عالمية اذ انه يضم الجزء المتبقي الاكبر من طيور الماكاو القرمزية في البلاد. وهو ربما المكان الامثل لمشاهدة حيوان

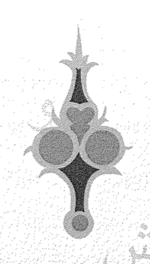


طائر جميل فى احد المحميات

التابير الضخم أو حتى الجاغوار - النمر الامريكي - وهما اكبر الحيوانات اللبونة في كوستاريكا. كما تجول في انحاء الغابة قطعان الخنازير الامريكية البيضاء الشفتين وتحلق في الاجواء الكواسر العظيمة من امثال العقاب المقنبر. وفي المتنزه ايضا توجد الاصناف الاربعة للقرود القاطنة بكوستاريكا واشهرها قرد امريكا الوسطى السنجابي. ولا يخلو المتنزه ايضا من المناظر المخيفة فالمنطقة تحفل بالعديد من اصناف الزواحف وعلى رأسها الافاعي السامة.



الفرق بين الترجمة والتفسير



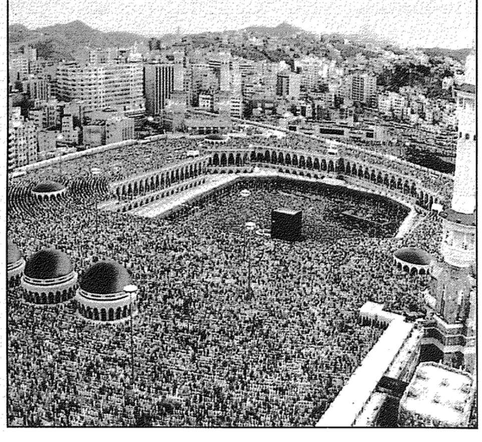
في هذه العجالة سنرسم فروقاً أربعة بين الترجمة والتفسير، انقلها كما هي من كتاب مناهل العرفان.

الفارق الأول:

أن صيغة الترجمة صيغة استقلالية يراعى فيها الاستغناء بها عن أصلها وحلولها محله، ولا كذلك التفسير، فإنه قائم أبداً على الارتباط بأصله: بأن يؤتى مثلا بالمفرد أو المركب، ثم يشرح هذا المفرد أو المركب شرحاً متصلا به اتصالا يشبه اتصال المبتدأ بخبره إن لم يكن إياه، ثم ينتقل الى جزء آخر مفرد أو جملة، وهكذا من بداية التفسير الى نهايته، بحيث لا يمكن تجريد التفسير وقطع وشائج اتصاله بأصله مطلقاً، ولو جرد لتفكك الكلام وصار لغواً، أو أشبه باللغو، فلا يؤدي معنى سليماً، فضلا عن أن يحل في جملته وتفصيله محل أصله.



بقلم : د . ياسين بن ناصر الخطيب
- جامعة أم القرى - مكة المكرمة -



الفارق الثاني:

أن الترجمة لا يجوز فيها الاستطراد، أما التفسير فيجوز، بل قد يجب فيه الاستطراد، وذلك لأن الترجمة مفروض فيها أنها صورة مطابقة لأصلها، حاكية له، فمن الأمانة أن تساويه بدقة من غير زيادة ولا نقص، حتى لو كان في الأصل خطأ، لوجب أن يكون الخطأ عينه في الترجمة، بخلاف التفسير فإن المفروض فيه أنه بيان لأصله، وتوضيح له، وقد يقتضي هذا البيان والإيضاح أن يذهب المفسر مذاهب شتى في الاستطراد؛ توجيهاً لشرحه أو تنويراً لمن يفسر لهم على مقدار حاجتهم الى استطراده، ويظهر ذلك في شرح الألفاظ اللغوية خصوصاً إذا أريد بها غير ما وضعت له، وفي المواضع التى يتوقف فهمها، أو الاقتناع بها على ذكر مصطلحات، أو سوق أدلة أو بيان حكمة.

وهذا هو السر في أن أكثر تفاسير القرآن الكريم تشتمل على استطرادات متنوعة: في علوم اللغة، وفي العقائد، وفي الفقه وأصوله، وفي أسباب

النزول، وفي الناسخ والمنسوخ، وفي العلوم الكونية والاجتماعية وغير ذلك.

ومن ألوان هذا الاستطراد، تنبيهه على خطأ الأصل إذا أخطأ، كما نلاحظ ذلك في شروح الكتب العلمية، ويستحيل أن تجد مثل هذا في الترجمة وإلا كان خروجاً عن واجب الأمانة والدقة فيها.

الفارق الثالث:

أن الترجمة تتضمن عرفاً دعوى الوفاء بجميع معاني الأصل ومقاصده، ولا كذلك التفسير، فإنه قائم على كمال الإيضاح كما قلنا، سواء أكان هذا الإيضاح بطريق إجمالي أو تفصيلي، متناولا كافة المعاني والمقاصد، أو مقتصراً على بعضها دون بعض، طوعاً للظروف التى يخضع لها المفسر ومن يفسِّر لهم.

والدليل على هذا الفارق، هو حكم العرف العام الذي نتحدث الآن بلسانه، وإليك مثلا من أمثاله: رجل عثر في مخلفات أبيه على صحيفتين مخطوطتين بلغة اجنبية، وهو غير عالم بهذا اللسان الأجنبي فدفعهما الى خبير باللغات يستفسره عنهما، وإذا الخبير يجيبه قائلا: إن الصحيفة الأولى خطاب تافه من معوز أجنبي يستجدي أباك فيه ويستعينه، أما الثانية فوثيقة بدين كبير لأبيك على أجنبي.

هناك مزق الرجل خطاب الاستجداء، ولم يحفل به، أما الوثيقة فاعتد بها، وطلب من هذا المتمكن في اللغات أن يترجمها له؛ ليقاضي المدين أمام محكمة لغتها لغة الترجمة، أليس معنى هذا أن التفسير لم يكفه بدليل أنه طلب الترجمة من المترجم، علماً بأنها هي التى تفي بكل ما تضمنته تلك الوثيقة، وبكل ما يقصد منها، فلا تضعف له بها حجة، ولا يضيع عليه حق، ثم ألست ترى في هذا المثال أيضا أن العرف يحكم بأن التفسير لا يشترط أن يعرض لجميع التفاصيل، بل يكفي فيه بيان المضمون، على حين أنه يرى الترجمة صورة مطابقة لأصلها وافية بكافة معانيه ومقاصده؟.

الفارق الرابع:

أن الترجمة تتضمن عرفاً دعوى الاطمئنان الى أن جميع المعاني والمقاصد التى نقلها المترجم هي مدلول كلام الأصل، وأنها مرادة لصاحب الأصل منه، ولا كذلك التفسير بل المفسر تارة يدعي الاطمئنان، وذلك إذا توافرت لديه أدلته، وتارة لا

يدعيه، وذلك عندما تعوزه تلك الأدلة، ثم هو طوراً يصرح بالاحتمال ويذكر وجوهاً محتملة مرجحاً بعضها على بعض، وطورا يسكت عن التصريح أو عن الترجيح، وقد يبلغ به الأمر أن يعلن عجزه عن فهم كلمة أو جملة، ويقول: رب الكلام أعلم بمراده على نحو ما نحفظه لكثير من المفسرين إذا عرضوا لمتشابهات القرآن ولفواتح السور المعروفة.

ودليلنا على أن الترجمة تتضمن دعوى الاطمئنان الى ما حوت من معان ومقاصد، هو شهادة العرف العام أيضا بذلك، وجريان عمل الناس جميعاً في الترجمات على هذا الاعتبار، فهم يحلونها محل أصولها إذا شاؤوا، ويستغنون بها عن تلك الأصول، بل قد ينسون هذه الأصول جملة، ويغيب عنهم أن الترجمات ترجمات، فيحذفون لفظ ترجمة من الاسم، ويطلقون عليها اسم الأصل نفسه، كأنما الترجمة أصل، أو كأنه لا أصل هناك ولا فرع.

وإن كنت في ريب، فاسأل ما بين أيدينا من ترجمات عربية لطائفة من كتبهم التي يقدسونها، ويطلقون على بعضها اسم توراة، وعلى بعضها اسم إنجيل، وما هما بالتوراه ولا بالإنجيل، إنما هما ترجمتان عربيتان لأصلين عبريين باعترافهم، ولكنهم أسقطوا وأسقط العرف العام معهم لفظ ترجمة من العنوانين الاثنين، وما ذاك إلا لما وقر في النفوس من أن الترجمة صورة مطابقة للأصل، مطمئنة الى أنها تؤدي جميع مؤداه، لا فرق بينهما إلا في القشرة اللفظية.

وقل مثل ذلك فيما نعرفه من ترجمات للقوانين، والوثائق الدولية والشخصية، ومن ترجمات للكتب العلمية والفنية والأدبية، وهي كثيرة غنية عن التنويه والتمثيل، يقال كل هذا في الترجمات، ولا يمكن أن يقال مثله في التفسير، فإننا ما سمعنا ولا سمع الدهر أن كلمة تفسير أسقطت من عنوان كتاب من كتبه، بل المعروف عكس ذلك، فكثيراً ما يسقط في الاستعمال اسم الأصل المفسر على حين أن لفظ التفسير لا يسقط بحال، ويدل على هذا تلك الإطلاقات الشائعة: تفسير البيضاوي، تفسير النسفي، تفسير الجلالين، وما أشبهها من تفسيرات القرآن الكريم، ألم يكن بهذا سند على أن التفسير مراعى فيه أنه بيان لا يمكن أن يقوم مقام المبين، ولا أن يدعى فيه الاطمئنان الى أنه واف بجميع أغراضه ومعانيه؟.

سعدية صابر مفرح

لقد سبق أن كتبت عن هذه الأديبة لمحة بسيطة في كتابي «أصداء من وادي عبقر» جاء في مقدمتها :

ولدت وترعرعت وتلقت تعليمها في المدينة ذات العمارات الشاهقة والشوارع المزدحمة، ركبت السيارة، استعملت الهاتف وتذوقت الطعام المستورد من بلاد الغرب، إلا أن عنصر البداوة المتغلغل في أعماقها أخذ ينمو بداخلها ويكبر معها فلا يفتأ يذكرها بماضيها فتهتف معه :

إستأصل أجهزة الصمت لدي
وتعلقها على أعمدة البيت
أجهض لغتي الحبلى بالأحرف
أرتكها فوق الأرفف
ننساها في خرج ذلول
نتعلم كيف تسير ركائبنا
في قافلة الصمت

لكن بعد أن اطلعت على بعض أعمالها رأيت أن ما كتبت لا يفيها حقها، فهي شاعرة تتحسس آلام أمتها وشعبها، وتعيشها مع أطفال الحجارة مع الجوعى والمطحونين والمحبطين..

حلوة أنت كالحجارة
في أكف التلاميذ
في المساء الطريد
خصبة انت مثلها
ما رأى حملها غيرها
كي ينام في قاع الينابيع
أبعادها ... شطتها
قوارير عطرها المنسكب
على كل درب[١]

وعندما يترك الفتى فضاء الصحاري راحلا الى المدن الضوئية لاصطياد فراشاتها الملونة، تهتف الشاعرة:

في رحلة صيد كان
سعيدا بفراشات اللون الضوئية
مطمئنا الى وفاء تلك التى تركها خلفه
يا هذا النائم ...
فوق رصيف القلب
إهدأ في نوم ..
لن يمرق أحد ..



بقلم : عبدالله بن أحمد الشباط

الخُبَر - المملكة العربية السعودية

لن تزعجك سوى

سيارات الطرق الفرعية.

وفيما كان ذلك الفتى مشغولا بمطاردة فراشات المدن تتشوق الشاعرة الى ذلك اللقاء العفيف الذى تتعطل فيه لغة الكلام.. وتنشر الفضيلة رداءها عليه:

يا لها من معركة سلام

فيها يغتال كلام الحب .. ويبقى الحب

تستشهد أدوات النحو

ورموز الإعراب وينتصر القلب

تبلى أرديتي

وتذوب ثيابك

في وهج الصمت

ومن النماذج النقدية التى كتبتها الناقدة سعدية مفرح.. مقالة تستعرض فيها كتاب (ذلك الكاتب.. وتلك الأيام) الذي ألفه الاستاذ عبد الله زكريا الأنصاري عن صديقه وزميله فهد الدويري بعد رحيله عام ١٩٩٩.. جاء في مقدمة تلك المقالة:

أما الكاتب فهو الرجل الكبير فهد الدويري، وأما الأيام فهي تلك الأيام التى شهدت بدايات النهضة المدنية في الكويت، ولعلها شهدت بدايات فهد الدويري كاتبا صحفيا وقاصا رائدا في مجال القصة القصيرة بالذات في الكويت.

«ذلك الكاتب .. وتلك الأيام» أعلم أن في تضاعيف ذلك العنوان الموحي ما يشي، وإن بطرف خفي ربما، بما يمكن أن يكون لمن يختاره عنوانا لما يكتب من ادعاء بمعرفة وثيقة بذلك الكاتب وتلك الأيام، ولا يبدو بحال أن هذا صحيح بالطبع، فما الذي يمكن أن تعرفه كاتبة تنتمي لما اصطلح على تسميته بالجيل التسعيني عن كاتب بدأ الخطوة الأولى في درب الكتابة منذ بدايات الأربعينيات في هذا القرن، غير ما قرأته له من نثارات صحفية صغيرة طوتها الصحف والمجلات التى كانت تصدر في ذلك الزمن القديم نسبيا، ولم يبق منها الآن غير ذكريات الريادة ومحفوظات الأرشيف الصفراء، وغير ما قرأته له من قصص قصيرة تفاوتت في مستواها الفني تفاوتا هائلا، وهي على أي حال كسابقتها من المقالات، مازالت منتشرة هنا وهناك، دون أن يضمها كتاب يمكن أن تطلق عليه مجموعة قصصية تحمل عنوانا مختارا من قبل كاتبها أو حتى توقيعه.. بل ما الذي تعرفه كاتبة تسعينية عن كاتب إنكفأ على ذاته المتعبة ونفض يده من بلل الكتابة وهو الغريق فيها فعلا

منذ زمن مبكر جدا حتى وهو يعود إليها منذ سنوات قليلة جدا بكامل لياقته الكتابية وحيويته الإبداعية التى لا يبدو أنه غادرها أو أنه هجرها فعلا إلا في سبيل المزيد من التعاطي، وبما ما يليق مع ما وصل إليه من مستوى، وبأدواتها التى تناسب روح العصر ونكهته الجديدة[٢].

وتعود مرة أخرى لتلمس تلك الأحاسيس النابضة بالألم:

هي الكف حين تجوع
تهز جذوع الجموع
ليسقط فيها الحصى ناضجا وشهيا
فكلي ... واشربي
ثم قري عيون السطوع
أيتها المستجيرة.. باللظى
بالدموع المسالة .. بالحصى
ببقايا الأكف الكسيرة
كالخطوة الأولى
على أي درب توبدين أنت
تكون الأخيرة

أما نبضات القلوب فتعبر عنها العيون .. لذلك فإن سعدية تصف تلك التعابير:

إن حواري مع عينيك
الساقطتين ببحر القلب
أدفأ من يتدثر بالألفاظ
أقوى من أن تحمله الأصوات
أرقى من أن يسكن في الكلمات
إن حواري مع عينيك
التائهتين كعصفورين
قد ضلا دربهما للعش .. الزاخر بالأفراح
أعلى من أن تسمعه أذني .. أو أذنك
أو أذن قبيلتنا ...
أسمى من أن يولد كي يحيا فينا
ثم يغادر عالمنا معنا أو ينسانا
حين نغادر عالمنا الزاخر بالأوساخ
أبقى من فصل ربيع يتلاشى قبل الصيف
أو مد .. يتحاشى أن ينضب ماؤه
فيعاني الوحدة والخوف.

وسعدية صابر مفرح من مواليد مدينة الجهراء بالكويت عام ١٩٦٤م، تدرجت في مراحل تعليمها حتى تخرجت من جامعة الكويت قسم اللغة العربية عام ١٩٨٧م.

عملت محررة في جريدة الوطن وجريدة القبس.. في عام ١٩٩٢م حصلت على جائزة الإبداع الفكري من دار سعاد الصباح.

من اعمالها المطبوعة: آخر الحالمين كان، تغيب فأسرج خيل ظنوني، كتاب الآثام.

الهوامش:

(١) معجم البابطين للشعراء العرب ص ٢/٤٦٢.

(٢) مجلة العربي العدد ٤٩١ جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ.

محاولات قتل الموت في بنية الفكر العربي قبل القرآن الكريم في ضوء الشعر

من رهبة الموت ومجهولية ما يأتي بعده أحب الإنسان البقاء وأراد أن يحيا أبداً. وكان أقسى ما جابهه في الحياة هو الشعور بتحديد حريته في البقاء، فحنّ الى الأبدية، ونزع نحو اللانهائية، وتألم من مخالب الفناء التى أنشبها الزمانُ في عنقه، فصار التناهي نسيج وجوده، وأيقن (أن الموت هو الحقيقة الوحيدة التى لا يرقى اليها الشك إلا إنه في الوقت نفسه السر الوحيد الذي هيهات للعقل البشري أن يتمكن من إماطة اللثام عنه)[١].

بالانتصار على الموت وقهره، وأثارت قضايا ما تزال تشغل الانسان وفكره، وتؤثر في حياته العقلية والوجدانية، ومثلت ببراعة (ذلك الصراع الأزلي بين الموت والفناء المقدر، وبين إرادة الانسان المغلوبة المقهورة في محاولتها التشبت بالوجود والبقاء والسعي وراء وسيلة للخلود][٣]، وبرهنت بأسلوب مؤثر على حتمية الموت على البشر حتى لو كان شبيهاً لجلجامش، ذلك البطل الذي (ثلثاه من إله وثلثه الآخر بشر)[٤] - حسب معتقدهم - بسبب:

«إنّ الحياة التى تبغي لن تجد
حينما خلقت الآلهةُ العظامُ البشر
قدّرت الموت على البشرية
واستأثرتْ هي بالحياة»[٥]

وأجهد الإنسان القديم نفسه بحثاً عن سر الخلود والقضاء على الموت، ولكنه أيقن أيضاً أن سرمدية الحياة أمر مستحيل، وأن طلب البقاء ضربٌ من الوهم والمبالغة. وترينا ملحمة جلجامش الذائعة الصيت[٢] رغبة رافقت الانسان العراقي القديم

ومن حقيقة أن مرور الزمن يصحبه النسيان، والنسيان فناء، والفناء مضاد للحياة، والحياة غاية في ذاتها، جاءت مواجهة الانسان للزمن واحساسه بالعداء نحوه. وفي مواجهة ذلك أشيد بالذات الانسانية. فردية أو جماعية، بقصد تخليد الانسان

بقلم : د. كاظم حمد المحراث

جامعة السابع من ابريل - ليبيا

الفاني لنفسه وصنع نموذج الانسان الباقي، وفي هذا تتجلى صورة من صور رفض الانسان المتعدد للفناء[٦]، ووقوفه بوجه الموت.

وبغياب اعتقاد الانسان بقوى عليا تنظم الكون بتعقل وحكمة، كان لمشكلة الموت في ضميره نصيب من التردد والقلق، اتصفت جميعها بصفة الإشكال، (فمن الناحية الوجودية نلاحظ أولا: أن الموت فعل فيه قضاء على كل فعل، وثانيا: أنه نهاية للحياة، وثالثا: أنه إمكانية معلقة، ورابعا: أن الموت حادث كلي كلية مطلقة من ناحية، جزئي شخصي جزئية مطلقة من ناحية أخرى)[٧].

(ويكون الموت مشكلة حينما يشعر الانسان شعوراً قوياً واضحاً بهذا الإشكال، وحينما يحيا هذا الإشكال في نفسه بطريقة عميقة، وحينما ينظر الى الموت كما هو، ومن حيث إشكاليته هذه ويحاول أن ينفذ الى سرّه العميق ومعناه الدقيق من حيث ذاته المستقلة)[٨].

وبصرف النظر عن درجة إحساس العربي قبل الإسلام بغاية الوجود وسرمديته، وعن مدى قدرته على اختراق الزمان ببصره الى الأمام لكي يشعر بالأمل والنفاذ في حجب الأبدية التى لا نهاية لها، أو الالتفات الى الخلف لكي يتحسس الخيبة والخسران والاخفاق في الوصول الى سرّ الأزلية التى لا بداية لها، وتراجعه في جولة الفكر الغيبية ذليلا منكسراً خائباً:

ما أطيب العيش لو أن الفتى حجرٌ
تنْبُوْ الحوادثُ عنه وهو ملمومُ[٩]

فإنه آمن بفكرة الموت على مضض، وأدرك أنه أفسد عليه الحياة:

وأعلمُ أن الباقي الحيَّ منهمُ
إلى أجل أقصى مداهُ قريبُ
لقد أفسد الموتُ الحياة وقد أتى
على يومه علْقٌ عليَّ جنيبُ[١٠]

وأنه لا سبيل الى الأبدية إلا بمفارقة الإنسان لإنسانيته، لأن عروقه وشجت بالتراب:

الى عرْق الثرى وشجت عروقى
وهذا الموتُ يسلبنى شبابى[١١]

ومع الإحساس بالأبدية والخلود تزدهر سعادة الشعراء الجاهليين بوصفهم طبقة المجتمع الأرهف

حساً بالحياة، والأكثر تعلقاً بها، والأشد حرصاً عليها، بحكم اتصال عملهم الإبداعي بوجود الإنسان المطلق أو فنائه فيها، ولتعلقه بالخلود، وبطلب استمرار الحياة في ظل غياب فكر ديني محدد، يبشر بوجود حياة سرمدية بعد الموت كتلك التى اكدتها كل الكتب المنزله على رسل الله اجمعين وجاء بها القرآن الكريم. وتمخض إيمانهم بانتفاء ذلك واستحالة تحققه الى اتخاذ مواقف شتى في اختيار طريقة السلوك في الحياة، أما بالإغراق في انتهاب المتع واللذات، وممارسة الفعاليات التى يعتقدون أنها تحقق لهم بقاء معنوياً ما:

ألا ايهذا اللائمي أشهد الوغى
وأن أحضُر اللذّات هل أنتَ مُخلدي
فإن كنت لا تسطيعُ دفع منيتي
فدعني أبادرْها بما ملكتْ يدي[١٢]
هبتْ تلومُ وليست ساعة اللاحي
هلا انتظرت بهذا اللوم إصباحي
قاتلها الله تلحاني وقد علمت
أني لنفسي إفسادي وإصلاحي
ولا محالة من قبر بمحنية
وكفن كسراة الثور وضّاح
كان الشبابُ يلهّينا ويعجبُنا
فما وهبنا ولا بعنا بأرباح[١٣]

أو في العزوف عن الحياة واتخاذ طريق الخير والحكمة بتحقيق الذات المحترمة بين الجماعة:

إنّ أمامك يوماً أنت مدركُهُ
لا حاضرٌ مُفلتٌ منه ولا بادي
فانظرْ الى فيء مُلك أنت تاركُهُ
هل ترسين أوخيه بأوتاد
الخير يبقى وإن طال الزمانُ به
والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زاد[١٤]

أو بانتهاج طرائق أخرى مغايرة تجد في الحياة فرصة فريدة لصنع المجد الذى يخلد الإنسان بعد موته بذكرى طيبة، أو حديث حسن، أو فعل حميد:

ألا هل أتى ذبيان أن رماحنا
بكيشة عالتها الجراحةُ والخدُّ
فأثوا علينا لا ابا لإبيكمُ
بإحساننا إنّ الثناء هو الخلدُ[١٥]

وهاجس الخلود في فكر الانسان العربي قبل الإسلام ينتمي في قدمه الى قدم تشبث النفس البشرية بالوجود والبحث عن وسيلة للبقاء، إذ بقي حائراً قلقاً يتلقى ضربات الدهر بتحد مستمر، وعاش حياة محددة يتناوبه فيها ـ بعد قطع مرحلة الشباب ـ المرض والشيخوخة والهرم:

نزل المشيبُ بوفده لا مرحبا
ورأى الشبابُ مكانهُ فتجنبا
ضيفٌ بغيضٌ لا أرى لي عُصْرة
منه هربتُ فلم أجد لي مهربا
بُدلّتُ بالعيش اللذيذ ونعمة الـ
عُمْرين همّاً شاهداً ومُغيَّبا[١٦]

وأيقنت الأجيال بعد فشل محاولاتها في طلب الخلود أن البقاء الأزلي ممتنع عن البشر:

الى حُفرة يأوي إليها بسعْيه
فذلك بيتُ الحق لا الصوفُ والشعرْ
وهالوا عليه التربَ رطباً ويابساً
الا كل شيء ما سوى ذلك يُجتبرْ[١٧]

ويذكر المؤرخون أن (لقمان بن عاد وفد إلى الكعبة مستسقياً لقومه يطلب الخلود، فدعا وتضرع، فنودي: لقد أجيبت دعوتُك، وأعطيت سؤلك، ولا سبيل الى الخلود، واختر إن شئت بقاء سبع نويات من تمر، مستودعات في صخرة لا يمسهن ندى ولا قطر. وإن شئت بقاء سبعة أنسر، كلما هلك نسر عقب بعده نسر. قالوا: فكان أن اختار سبعة أنسر، فتصرّمت، وقد حاول الإبقاء على آخر نسوره ـ لُبد ـ فما افلح)[١٨].

وأخذ الشعراء الجاهليون من أسطورة لقمان بن عاد ونسوره مثلا في استحالة الخلود:

ألم تر لقمان بن عاد تتابعت
عليه النسورُ ثم غابت كواكبه[١٩]

كما أخذوا من شواهد البيئة أمثلة تبرهن على رضوخ الإنسان للموت مهما طال به العمر وامتد به الزمن. كما يظهر في تمثل الشاعر الهذلي صخر الغي لمجيء الموت على الإنسان والحيوان المتوحش، إذ يقول:

ارى الأيام لا تُبقي كريماً
ولا العصم الأوابد والنعاما[٢٠]

فجاءت نصوص الشعراء وأقاويلهم عن الحتف الكامن للحيوانات المتوحشة في الوجود، وعن

** الذين أخذوا الموت على انه عدم مطلق اغرقوا واوغلوا في انتهاب المتع والملذات.

** الموت في احساس الجاهلي عدم لا يرغب فيه.

** الشعراء طبقة المجتمع الارهف حساً بالحياة والاكثر تعلقا بها.

أساطير شبائك الصيادين للطيور المحلقة بعيداً عن الأرض، وعن أساطير المعمرين الأوائل تفصح للشعراء انفسهم، وللآخرين عن عجز الكائن الحي بأنواعه كلها عن إدراك الخلود في الحياة، والبقاء فيها الى ما لا نهاية:

أين أهل الديار من قوم نوح

ثم عادٌ من بعدهم وثمودُ

أين آباؤنا وأين بنوهم

أين آباؤهم وأين الجدودُ

سلكوا منهج المنايا فبادوا

وأرانا قد كان منّا ورودُ[٢١]

ومن تعايش هذه الحقيقة، ومن لمس وقوعها أدركوا (أن الانسان لابد أن يقع في قبضته مهما كانت قدرته وقوته، وكان هذا التعليل - كما يبدو - كافياً لتخفيف هول الصدمة التى كانت تنتاب الشعراء عند مصيبة الموت)[٢٢].

إن استحضار صور خوف الانسان العربي من الموت، ومحاولة تجنب وقوعه، واقراره بحتميته، ترتبط بمنطلقات النظر الدينى السائد قبل نزول القرآن الكريم، ولا أجد جدوى في عرض آفاق ارتباط بعضها ببعضها الآخر، ولا بصور استرفاد الشعراء منها لخروج ذلك عن خطة البحث وحدوده، ولكن بي رغبة في التعرض - بإيجاز - الى منافذ تفكير العربي قبل الاسلام في البحث عن بقاء بديل يرى فيه تعويضاً عن الخلود الزمنى الذي بات مستحيلا، ثم تقصي سبب استقرار العرب على خصال بعينها وامتداح الباذلين فيها. وهنا ليس مستطاعاً تفسيرُ اعتناق الجاهلي فكرة الموت في الحرب، ونفوره من الهلاك والاستكانة على فراش المرض والعجز:

تأخرتُ أستبقي الحياة فلم أجدْ

لنفسي حياة مثل أن أتقدما[٢٣]

وليس بالمقدور تأويل نزعته للتبذير والإتلاف في قرى الأضياف:

وعاذلة هبّت بليل تلومُني

وقد غابَ عيّوقُ الثريا فعردا

تلومُ على إعطائي المال ظلّة

اذا ضنّ بالمال البخيلُ وصرّدا

تقول: الا، امسكْ عليك فإنني

أرى المال عند الممسكين معبّدا

نريني وحــالي إنّ مـــالك وافــرٌ
وكلّ إمــريء جــار على مــا تعــوّدا
نريني يكن مـــالي لعــرضي جُنة
يقي المالُ عـرضي قـبل أن يتـبـددا
أريني جــواداً مـــات هُزلا لعلني
أرى مــا ترين، أو بخـيــلا مــخلدا
يقـولون لـي: أهلكت مـالك فـاقـتـصدْ
ومـا كنتُ لولا ما تقولون، سيّدا[٢٤]

ولا بالإمكان تحليل اعتقاده بتحول أرواح موتاه الى الحيوانات، أو الطيور، أو الإستقرار في الماء والآبار المهجورة المظلمة:

فــزال بذى دوران منكم جــمــاجمُ
وهامٌ إذا مـا جنّهُ الليلُ صـاخبُ[٢٥]

الا إذا فسرت تفسيراً يتساوق مع رغبته المغيبة أو المدركة في طلب الخلود، ومحاولة قتل الموت عن طريق البطولة، والجود، والكرم، أو تناسخ الأرواح:

خليليَّ إمــا متُّ يومــاً وزُحــزحتْ
منايـاكـمـا فـيـمـا يُزحـزحُـهُ الدهرُ
فـمرّا على قـبري، فـقـومـا فسلمـا
وقـولا: سقـاك الغيثُ والقطرُ يا قبرُ[٢٦]

كان العيش في بيئة من نمط صحراء العرب يوجب التمتع بصفات بيئية تمكن من مكافحة طبيعة قاسية شحيحة الموارد، تجعل عنصر الصراع والاقتتال حالة دائمة، ويصير بقاء الأقوى شعار العيش فيها. وأيقن الإنسان العربي أن استمرار الحياة في تلك البيئة القاسية يكمن في قدرة مزاحمة الآخرين، ويتم بفنائهم:

يخـــربُ الدهرُ ويبني جـــاهداً
وخـــرابُ الدهر للدار عـــمـــارُ[٢٧]

فكان لزاماً عليه التأهل للدفاع عن الأنا الفردية والذات القبلية، لكنه مرة أخرى يخضع للظرف البيئي الذي يحيله من طبيعة المدافع المستكن الى مهاجم غاز، وهكذا صارت حياته مبنية على خصيصة الكر والفر المستمرين. وأضحت رؤيته مصوّبة باتجاه احترام خصيصة الشجاعة بوصفها سبيل الوقاية من الموت والإستمرار في الحياة، وإن الجبن سبيل القتل السريع والموت المعجّل. وورد في بعض أقوالهم: ان الشجاعة وقاية والجبن مقتلة، وعد من

** هاجس تخليد الذات دفع بعض الجاهليين الى اصطناع امجاد تخلدهم في الذاكرة.

** الشجاعة عندهم سبيل الوقاية من الموت والاستمرار في الحياة.

الجبن أن يقتل الرجل منهم مدبراً أكثر من أن يقتل مقبلا[٢٨]، وقديماً قال شاعرهم:

فلسنا على الأعـقـاب تدمى كلومُنا
ولكن على أقدامنا تقطُر الدِّمـا[٢٩]

وهكذا رسخت البيئة في طبع العربي الجلد والخشونة، وقررت لأناسها التماثل في احتواء صفات القوة والقدرة على المدافعة والعيش وسط الأقوياء، وشاعت فلسفة تمجد القوة بوصفها أساس الحياة في الصحراء:

والموتُ خـيـرٌ للفـتـى
وليـهلكنْ وبه بقـيّـه
من أن يرى الشيخ البجـا
ل، وقد يُهادى بالعشيّهْ[٣٠]

غير أن الإحساس بوطأة البيئة على الأفراد وخلقها شعباً مقاتلا ـ وإن ظلت صوره واقعية حتى بزوغ فجر الإسلام ـ تلاشى في المنظور الحسي عند أجيال جاهلية لاحقة، وارتمى في أحضان نظرة تبجّل الفروسية وتقوّم الفرسان بوصفهم الفئة الأكثر تميُّزاً من عموم ذلك الشعب المقاتل، ونظر اليهم أبطالا قوميين ضمن حدود قبيلة أو في إطار تحالف معين. وصار طموح الجميع يتجه صوب ارتقاء هذه المكانة، وتباروا في الوصول الى هذه المنزلة، لكن حظوتها اقتصرت على أسماء تكاد تحصى، وتلك هي سمة التفوق في كل مجال. وأصبح تمجيد البطولة ظاهرة بارزة في المكونات البدائية للشعر الجاهلي، يرى فيها الدكتور عادل البياتي انبعاثاً عن عبادة رموز متجلية في شعائر وثنية أدخلت الى الشعر معنى سامياً رفع قوماً وحط آخرين[٣١]، وليست تلك الرموز والشعائر البدائية التى يلح في ذكرها البياتي سوى ذلك الاحساس الغيبي الحاوي على صفات الخشونة والقدرة على المدافعة، والذي غرزته البيئة في أعماق نفس العربي، وغيب الزمن رسومه الأولى، وأبقى على صورة الإحترام والتبجيل الظاهرة لها ولحملتها، لأنهم القادرون على دفع الأذى، ورفع الضيم عن الأهل والقبيلة، وبدت صور تباري الناس على ولوج منافذ الفروسية تحتمل وجهة ظاهرة مؤدّاها التيقن بحتمية الموت، وعدم إمكانية الفرار منه، والرضوخ لمصير مجهول لم تتمكن المعتقدات الجاهلية من وضع الحلول له، وأن

**** عقلية الانسان العربي في جاهليته لم تكن منفصلة عن الفكر الانساني العام من حولها.**

نيل الخلود الزمني أمنية بعيدة لا تنفع معها التمائم والرقي:

لعمرُك والمنايا غالباتٌ
وما تُغني التَّميماتُ الحماما[٣٢]

لذلك انصرف الى تحقيق الذكر الحسن عن طريق الفعال الحميدة، كانت الفروسية واحدة منها، ظنا منه بتواصل خلود الذكر بعد الموت مع الحياة، وربما اعتقد أن الحياة تكمن في خوالد الأفعال حتى إذا مات توقف عمله ليبدأ ذكره الحسن:

ذريني ونفسي أمَّ حسّان أنني
بها، قبل أن لا أملك البيع مشتري
أحاديثُ تبقى والفتى غيرُ خالد
إذا هو أمسى هامة فوق صُيّر[٣٣]

إلا أن هذه الوجهة الظاهرة تضمر تحتها - في حقيقة الأمر - فيضاً من الدوافع اللاشعورية احتفظت بها الأجيال في ذاكرتها واستمر تأثيرها على نمط السلوك والمعتقد بكيفية لا تعرف ولا تدرك على المستوى الشعوري للشخص.

واسوة بالآخرين، فقد جالت أبصار الشعراء في الكون تحاول دفع الموت، فأيقنوا أن البقاء الزمني محال، وأن المصير ينتظرهم. ولما لم يفلحوا في إيجاد الخلود الا بمناقب حميدة، وفعال حسنة تبقي ذكرهم شائعاً بعد الموت، التفتوا الى الشعر، فوجدوا في استحسان الناس له ومساءلتهم عن قائله تعويضاً معنوياً عن بقاء الانسان حيا، وتخليداً لذكره في ضمير الأجيال ووجدانها:

وقافية مثل حدّ السنان
تبقى ويذهبُ من قالها[٣٤]

وصفوة القول تنبلج عن أن للشعر بعداً غيبياً في النشوء والإرتقاء والنضج، وللكرم والفروسية بعداً بيئياً فرضته الطبيعة في ذات الإنسان العربي قبل الإسلام، اتحدت هذه الخصال الثلاث (الشعر، الكرم، الشجاعة) وأصبحت عماد الحياة الجاهلية، وموروست على أنها حقائق ثابتة لا تنفصل عن سجايا العربي وطباعه بصورة تنوسي معها الأصل الأول للنشأة والنمو والتكوين. ولما أراد الإنسان العربي أن يحيا حياة سرمدية طرق الأبواب التى تخلده كلها، فلم يجدها إلا في طريقة معنوية يجللها الجود والفروسية والشعر، ففزع إليها بوعيه دون إدراك مكمن نزوع الإنسان الأول إليها، وبهذا اللجوء يكمن سر عودة الإنسان الى الأصل.

ولا نغفل ما يمدنا التاريخ من أخبار تصور عبادة الجاهليين للأرواح، ولا نغض النظر عن قصص الأخباريين المتعلقة بتصورهم لاستقلال الروح وانفصالها عن الجسد بعد الموت، واتصالها

**** الفروسية - الكرم - والشعر من عناصر بقاء الشخصية حاضرة حتى بعد موتها.**

بالقبر، ورفرفتها فوقه إذا كان صاحبها رجلا مقتولا ولا يؤخذ بثأره، وان نضع على طاولة الفكر اعتقادهم بأن النفس لم تزل عند أهل الميت ومخلفه لتعلم ما يكون بعده فتخبره[٣٥]، وذلك دليل اعتقاد بعضهم بانفصال الروح عن الجسد وحلولها بعد الموت في شجر أو حجر. وما اعتقادهم باستقرارها في الأماكن المهجورة، والآبار القديمة إلا صورة من صور الإيمان بأن موت الإنسان لا يمثل فناء تاماً، وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ومن روح الى روح.

ويفيدنا تمثل الشعر في استنتاج فكرة ينبغي التأني في الوصول إليها؛ فبإخراجهم حصص موتاهم مما يأكلون:

يُقسم ماله فينا وندعو

أبا الصهباء إذ جنح الأصيلُ[٣٦].

وفي نحرهم النوق على قبور الموتى في الشعائر الدينية التى لها علاقة بروح الاموات:

لا تتركنّ أباك يعثرُ راجلا

في الحشر يصرعُ لليدين وينكبُ

واحملْ أباك على بعير صالح

وتق الخطيئة إن ذلك أصوبُ

ولعلّ لي مما جمعت مطيّة

في الحشر أركبُها إذا قيل اركبوا[٣٧]

إنما يقصدون استرضاء أرواح الأموات التى تطوف في أرجاء الكون.

وفي الوقوف على الآبار المظلمة والمناداة على الميت:

دعوتُ أبا المغوار في الجفر دعوة

فما آض صوتي بالذي كنتُ داعيا

أظنُّ أبا المغوار في قعر مظلم

تجرُّ عليه الذاريات السوافيا[٣٨]

إنما يعتقدون استقرار روحه فيه واحتمال عودته للحياة الدنيا، وربما يوهمون انفسهم بأنه يسمع خطابهم ويرد جوابهم.

وفي وطء المرأة المقلاة لجثمان الشريف المقتول:

- تركن الشعثمين برمل خبت

تزورُهما مقاليتُ النساء[٣٩]

- تظل مقاليتُ النساء يطأنهُ

يقُلْن ألا يُلقى على المرء مئزرُ[٤٠]

إنما يعتقدون أن روح القتيل تتحول الى روح الجنين الساكن في بطن أمه فيقوى على الحياة بأثر

هذه الروح. وفي سقيا القبور والدعاء لها بالنعيم وصب الخمرة عليها:

رحـــمـــة الله والســـلامُ عليـــه

وسـقى قـبـره الربيعُ خـريفـا[٤١]

إنما يرون - بوصف أبعد قليلا - صورة من لهفة روح الميت وعطشها.

فهذه المعتقدات وما سواها، تكشف عن إيمان بعض الجاهليين بانفصال أرواحهم بعد الموت وانتقالها الى شجر أو حجر أو حيوان أو جنّ تماثل بشكل أو بآخر مع تصورات شعوب الحضارات القديمة، شرقية أو غربية، برضوخ بني البشر لرغبات الآلهة والشياطين في استلاب الأرواح، إذ يعتقد الفيثاغوريون - مثلا - بأن (الذرات الترابية التى نجدها في أشعة الشمس ليست إلا نفوساً إنسانية انفصلت عن أبدانها وعاشت محلقة في الهواء)[٤٢]، وهي النظرية نفسها التى سيأخذ بها أفلاطون في تناسخ الأرواح.

ومن يبحث في أساطير الشعوب القديمة ومعتقداتها ونشاطاتها وتصوراتها عن حياة ما بعد الموت، ويجري استقراء مقارناً فيها، سيثق بمقولة: إن عقلية الانسان العربي قبل الإسلام لم تكن عقلية منعزلة، ولم تكن متخلفة عن الفكر الإنساني، وليست منغلقة، بل سيجد فيضاً من أمثلة فكرية كان الإيمان بها متماثلا عند شعوب بدا العرب جزءاً منها.

ولو أعدنا معاينة فكرة إيمان العربي بتحول روح السيد القتيل الى حياة الجنين الذي لا يستمر عيشه طويلا في بطن أمه (مقاليت النساء)، وحاولنا مقارنتها بما عند الامم الاخرى فسنعثر على أمثلة مقاربة لها في اعتقاد اليونانيين، إذ تركت لنا ملاحمهم ما يشير الى أن آلهة الموت ومعاونيهم من الملائكة والجن والشياطين من الإناث يحلقن على مقربة من ساحة الحرب، ويطرن (فوق ميادين القتال خفيفات سريعات، وتتهلل أساريرهن لمرأى الابطال المحاربين يتساقطون واحداً بعد الآخر، فينقضضن بشفاههن الدموية الحمرة على الجراح ليمتصصن بشراهة دماء المحاربين الفوارة وينتزعن منهم الارواح)[٤٣]، وهذه الشواهد وكثير سواها تمثل صوراً من صور إذعان الإنسان وتفكيره الطبيعي في البحث عن البقاء الى غير انتهاء، والتوق الى أن يظل حياً أبداً، ولذلك فإنه يعطف كثيراً من أوهامه وتخيلاته باتجاه إرضاء هذا الهاجس بما فيه من تخيل بقاء جوهر النفس وتناسخ الأرواح.

**** تمجيد البطولة ظاهرة بارزة في مكونات الحياة القبلية والبدوية.**

الهوامش :

(١) مشكلة الإنسان، زكريا ابراهيم، مكتبة مصر، القاهرة ١٩٥٩م ص ١٥.

(٢) دونت كاملة في المطلع البابلي القديم في حدود ٢٧٠٠ ق.م.

(٣، ٤، ٥) ملحمة جلجامش، طه باقر، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٠م. الصفحات ٢١، ٥٦، ١١٧، ١٢١ على التوالي. ولمزيد من التفاصيل حول الخوف من الموت والبحث عن الخلود في الموروث الإنساني، ينظر بحثنا الموسوم بـ (الشعر والفكر الغيبي في الموروث الإنساني) المنشور في مجلة المعرفة، وزارة الثقافة السورية، العدد ٤٢٧ سنة ١٩٩٩م.

(٦) الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي، د. حسن عبد الجليل يوسف، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت) ص١٧.

(٧) الموت والعبقرية، عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت ١٩٤٥م. ص ٥.

(٨) م . ن. ص ٥.

(٩) ديوان تميم بن مقبل، تحقيق د. عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٥٢م . ص ٢٧٣. الململوم: الحجر المجموع بعضه الى بعض، وهو الصلب المستدير، والحجارة مما يوصف بالخلود والبقاء.

(١٠) شعراء النصرانية، لويس شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٢٤م. ق ٥ ص ٧٤٨. والبيتان لكعب بن سعد الغنوي. العلق: كل ما علق به الإنسان من حب أو كره، ويقال معناها عند استحكام الأمر وانبرامه، الجنيب: الغريب.

(١١) ديوان امرىء القيس بن حجر الكندي (برواية الأعلم الشنتمري ت ٤٧٦هـ) تحقيق الشيخ ابن أبي شنب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٧٤م. ق ١١.

(١٢) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر بن القاسم الانباري ت ٣٢٨هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م. ص ١٩٢ - ١٩٣. والبيتان من معلقة طرفة بن العبد.

(١٣) ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ١٩٦٧. ص ١٤، اللاحي: اللائم.

(١٤) ديوان عبيد بن الابرص، تحقيق وشرح حسين نصار، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٧م. ص ٤٩. أواخيه: حباله، أوعيت: حفظت في وعاء.

(١٥) ديوان الحادرة، تحقيق د. ناصر الدين الاسد، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م. ص ٧٢.

(١٦) ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية، بغداد ١٩٦٥م، ق ٢٤. عصرة: المنجاة والملجأ.

(١٧) شعر الأفوه الأودي ضمن كتاب (الطرائف الأدبية) صنعه عبد العزيز الميمني، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت) ص ١٥. يجتبر: يعوض.

(١٨) تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣٠١هـ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠م. ج ١ ص ٢٢٣.

(١٩) ديوان طرفة بن العبد، بشرح الاعلم الشنتمري، مطابع برطرند، باريس ١٩٠٠م. الزيادات، ص ١٤٨.

(٢٠) كتاب شرح اشعار الهذليين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٤٥م. ج٣ ص ٦٣. العصم: الوعول والظباء المتنعة في الأعالي، الأوابد: الوحوش، قيل سميت بذلك لبقائها الى الأبد، قيل إنها لم تمت حتف أنفها قط إنما موتها عن آفة.

(٢١) ديوان عدي بن زيد العبادي (مصدر سابق) ق٣٩.

(٢٢) الطبيعة في الشعر الجاهلي، د.نوري القيسي، مطبعة الارشاد، بيروت ١٩٧٠م. ص ١٥٦.

(٢٣) الحماسة، أبو عبادة البحتري، تحقيق كمال مصطفى، المطبعة الرحمانية، مصر ١٩٢٩م. ص ٦٢. والبيت للحصين بن الحمام، وهو شاعر وفارس جاهلي.

(٢٤) شرح ديوان حاتم الطائي، شرح وتحقيق عباس ابراهيم، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٩٥م. ص ص

٢٥ ـ ٢٦. العيوق: نجم في السماء يلي الثريا، عرد: مال الى السقوط، ضلة: على غير هدى، ضنّ: بخل، صرد: قل عطاؤه، معبدا: معبوداً، الجنة: الدرع الذي يتقى به.
(٢٥) كتاب شرح أشعار الهذليين (مصدر سابق) ج١ ص ٤٦٩. والبيت لمالك بن خالد، هو شاعر هذلي جاهلي مقل. ذي دوران: موضع. هام: جمع هامة، كانوا يقولون: إذا قتل رجل فلم يثأر به يخرج من رأسه طير أسموه هامة تصيح اسقوني اسقوني.. حتى يؤخذ بثأره.
(٢٦) ديوان المتلمس الضبعي، برواية الأثرم ت ٢٣٢هـ، ورواية أبي عبيدة ت ٢٠٩هـ عن الأصمعي ت ٢١٦هـ، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي، مطابع الشركة المصرية للطباعة والنشر، مصر ١٩٧٠م. ص ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧.
(٢٧) عشرة شعراء مقلون، صنعة د. حاتم صالح الضامن، دار الحكمة، الموصل ١٩٩٠م. ص ١٤. والبيت للفند الزماني، وهو شاعر جاهلي.
(٢٨) العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق أحمد أمين وزميليه، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٨م. ج١ ص ١٠٠.
(٢٩) الحماسة (مصدر سابق) ص ٦٢. والبيت للحصين بن الحمام أيضاً. الكلوم: جمع كلم، وهي الجراحة.
(٣٠) المؤتلف والمختلف، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي ت ٣٧٠هـ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦١م. ص ص ٢١٠ ـ ٢١١. البجال: يبجله الناس لكبر سنه ووقاره ونبله، يهادى: من هديته الطريق والبيت عرّفته إياه، وهذه لغة أهل الحجاز.
(٣١) ينظر: دراسات في الأدب الجاهلي، مباحث تراثية ونصوص دينية وتراجم، د. عادل البياتي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء ١٩٨٣م. ص ٤٢.
(٣٢) كتاب شرح أشعار الهذليين (مصدر سابق) والبيت لصخر الغي أيضاً.
(٣٣) ديوانا عروة بن الورد والسموأل، دار صادر، بيروت ١٩٦٤م. ص ٣٥. والبيتان لعروة. هامة: يريد أن الفتى يموت ويخرج منه طائر، صُيّر: حجارة تُجعل كالحظيرة زرباً للغنم.
(٣٤) كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٨م. ج ١٥ ص ٧٢.
(٣٥) للمزيد من التفاصيل ينظر: بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب، السيد محمود شكري الألوسي، شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري، ط ٣، دار الكتاب العربي، مصر ١٣٤٢هـ، ج ٢ ص ٣١١. وتاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٥٥م. ج٥ ص ٣٧ وما بعدها.
(٣٦) الحماسة (مصدر سابق) ص ٢٨٩. من قصيدة جاهلية لشاعر مخضرم هو عبد الله بن عنمة الضبي.
(٣٧) كتاب المحبر، أبو جعفر محمد بن حبيب ت ٢٤٥هـ، تحقيق إيلزه ليختين، دار الافاق الجديدة، بيروت (د.ت) ص ٣٢٣. يُعتر: يُقتل.
(٣٨) بلوغ الإرب (مصدر سابق) ج ٣ ص ٣. آض: عاد.
(٣٩) م.ن.ج٢ ص ٣١٨، ولم يذكر قائل البيت. والشعثماني: شعثم وشعيث ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة. مقاليت النساء: مفردها المقلاة، هي التي لم يبق لها ولد، وقيل هي التى تلد واحدا ثم لا تلد بعد ذلك. وكانت العرب تزعم أن المقلاة إذا وطئت رجلا كريماً قتل غدراً عاش ولدها.
(٤٠) تاج العروس، السيد محمد مرتضى الزبيدي، مادة (ق ل ت). والبيت لبشر بن أبي خزم الأسدي.
(٤١) ديوان الخنساء، دراسة وتحقيق، د. ابراهيم عوضين، مطبعة السعادة، مصر ٩٩٥م. ص ٤٠١.
(٤٢) ربيع الفكر اليوناني، عبد الرحمن بدوي، ط٥، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت ١٩٧٦م. ص ١١٥.
(٤٣) أساطير اليونان، د. عماد حاتم، الدار العربية للكتاب، طرابلس ١٩٨٨م. ص ٦٩.

المرأة واللغة: الحقيقة والوهم

عبث مدمر:

ليس هناك فصل بين عالم الذكورة وعالم الأنوثة.. فهما متداخلان متعاونان.. ومن هنا فإن تصور عالم مستقل للذكورة وعالم آخر للأنوثة مناف تماماً للعلاقة الحقيقية بين النوعين اللذين هما من جنس بشري واحد ومن نفس واحدة.

كما قال الحق سبحانه: **{فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض}**[١].

ومحاولة إحداث التنافي والتقاطع بين هذين النوعين أو إعلاء شأن أحدهما وخفض شأن الآخر إن هي إلا محاولة مضادة للفطرة ومنافية لمصلحة الرجل ومصلحة المرأة على السواء.. أو هي هدم لأساس الأسرة وتقويض لبناء المجتمع!

وفي معاجم اللغة: آنثت المرأة إذا ولدت أنثى فإذا غلب عليها هذا فلم تلد إلا إناثاً سميت «مئناثاً» أي كثيرة ولادة الإناث. لكنها إذا ولدت ذكراً قيل لها «أذكرتْ» كما في الحديث الشريف الذي رواه أحمد في مسنده: «كيف تُؤْنث المرأة وكيف تُذكر»[٢].

وكان هذا من أسئلة اليهود الخمسة التى وجّهوها الى النبي {صلى الله عليه وسلم} لاختبار صدق نبوّته كما زعموا.

وكان الجواب النبوي فيما رواه ابن عباس: «يلتقى الماءان - أي ماء الرجل وماء المرأة - فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرتْ وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل آنثَتْ».

وفي صحيح مسلم: «وإذا اجتمعا فعلا مَنيُّ المرأة مَنيَّ الرجل آنثا»[٣].

فنسب «الإيناث» أي الإتيان بأنثى الى الرجل والمرأة معاً، لأن الجنين قد تكوَّن من نطفة الرجل وبويضة المرأة.

فالرجل «يُؤنث» أي تولد له أنثى حينما يسبق الحيوان المنوي المؤنث الى البويضة فيلقحها، وترجع ملايين الحيوانات المنوية التى تتضمنها النطفة لتواجه الموت بعد أن لم يبق لها مجال للتلقيح.

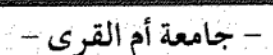
والمرأة «تُذكر» أي تلد ذكراً تكوَّن من حيوان منوي مذكر من الرجل ومن بويضتها التي لقَّحها هذا الحيوان.

وإذن فمصدر الأنوثة في حيوانات الرجل المنوية المؤنثة. كما أن مصدر الذكورة الحيوانات المنوية المذكرة، وليس للمرأة شأن في عملية التذكير والتأنيث.

وقد أدركت هذه الحقيقة المرأة العربية التى كانت تلد إناثاً.. فهجرها زوجها «أبو حمزة» عقاباً لها على ذلك فأنشدت وهي تُرقِّصُ وليدتها:

ما لأبى حمزة لا يأتينا
يظلُّ في البيت الذي يلينا

بقلم : د . مصطفى عبد الواحد



- جامعة أم القرى -

غـــضـــبـــان أن لا نلد البنينا

تـالـلـه مــــا ذلك في أيـدينـا

وإنما نـأخـــذ مــــا أعطينـا

نُنْبتُ مــا قـــد زرعـــوه فــينا

فغدا الشيخ حتى ولج البيت فقبَّل رأسي امرأته وابنتها[٤].

والعلم الحديث يقرر أن الرجل يحمل في دمه «هرمونات» ذكورة وأنوثة.. ولكن الرجولة تقتضي غلبة الهرمونات المذكرة على المؤنثة. فإذا حدث خلل في تلك النسبة ظهرت على الرجل بعض علامات الأنوثة في الصوت والشكل وغير ذلك.

كما أن المرأة تحمل في دمها هرمونات أنوثة كثيرة وأخرى ذكورية أقل منها.. فإذا اضطربت النسبة فغلبت هرمونات التذكير في المرأة على هرمونات التأنيث ظهرت عليها بعض أعراض الذكورة في الصوت والشكل والتصرفات.

وبهذا الإحكام في الخلق فإن الذكورة لا تنفي الأنوثة ولا ترفضها.. وكذلك الأنوثة لا تنفي الذكورة ولا تضادها.. فالنوعان يجتمعان معاً.. لكن غلبة أحدهما على الآخر هي التى توجه كلا منهما وجهته وتحدد له مجاله.

وهذا معنى قوله تعالى: **{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة}**، فالفطرة الإنسانية واحدة وأصل الخلق واحد، وليس هناك ذكورة لا تحتاج الى الأنوثة ولا تتعايش معها.. والعكس بالعكس.

لكن «حركة التمركز حول الأنثى» في العصر الحديث تتجه الى العبث المدمر.. كما قال الدكتور المسيري:

«وبينما تعترف حركة تحرير المرأة بالاختلافات بين الرجل والمرأة وتحاول ألا يكون هناك تفاوت اقتصادي أو إنساني نتيجة هذا الاختلاف.. فإن حركة التمركز حول الأنثى لا ترفض التفاوت فحسب.. بل ترفض الاختلاف ذاته. وبينما تعترف حركة تحرير المرأة بأن هذا الاختلاف يؤدي الى اختلاف في توزيع الأدوار وتأمل ألا ينجم عن هذا الاختلاف ظلم أو تفاوت اجتماعي، فإن حركة التمركز

**** حركة التمركز حول الأنثى: ترفض الاختلاف في الجنس وترفض التفاوت وتوزيع الادوار.**

**** هذه الحركة تعني الانفلات الكامل عن كل قواعد الخلق والتكوين.**

** حقوق المرأة واجهة تخفي وراءها أهدافاً شريرة هدامة تقوض البناء الاجتماعي وتشيع الفوضى.

** انهم يدعون لـ (استرجال المرأة) و(تخنث الرجل).

** حرية المرأة، وحقوقها، حركة تفكيكية عدمية.

** العبث بالتشريع واللغة، يأتي متناسقاً مع العبث بالمرأة.

** اللغة علاقة مشتركة بين الرجل والمرأة.. لا تخضع لأنوثة أو ذكورة.

حول الأنثى ترفض توزيع الأدوار، وتطالب أن يصبح الذكور آباء أو أمهات، وأن تصبح الإناث بدورهن آباء وأمهات! بل إن الأمر يمتد ليشمل الأحاسيس ذاتها. فالمرأة عندهم - يجب ألا تختلف مشاعرها عن مشاعر الرجل.. ويمتد الأمر لرؤية الإنسان للإله»[٥].

ثم ذكر المؤلف في هذه النقطة الأخيرة أفكاراً كافرة شريرة تفوه بها أصحاب هذه الفلسفة الصهيونية الضالة التى يحتذيها المقلدون من المسلمين!.

والقضية عند هؤلاء أخطر من البحث عن حقوق المرأة المسلوبة كما يزعمون.. بل إن لها أهدافاً هدامة شريرة تقوض البناء الاجتماعي وتشيع فيه الفوضى والخراب!

وقد رتب الدكتور المسيري المراحل التى تستهدفها حركة التمركز حول الأنثى على هذا النحو:

«وتصبح القضية ليست جعل الذكر مثل الأنثى، بل ينتج عنها ثنائية صلبة تصبح ثنوية، فيتم عزل الأنثى تماماً عن الذكر باعتبار أن ما تحس به الأنثى لا يمكن للذكر أن يحس به، وباعتبار أن التجربة التاريخية للأنثى مغايرة تماماً للتجربة التاريخية للذكر. ويمكننا هنا أن نرى تطوراً تاريخياً في قضية علاقة الذكر بالأنثى، من مساواة للذكر بالأنثى الى ظهور «الخنثى» وأخيراً ظهور الأنثى التى لا علاقة لها بالذكر ولا بالأنثى، كما نعرفها!

وحينما يصل الأمر الى هذه المرحلة فإننا لا نتحدث عن برنامج للإصلاح.. بل عن برنامج «تفكيكي» تختفي فيه كل المقولات الثنائية التقليدية مثل: إنسان/ طبيعة، إنسان/ حيوان. ذكر/ أنثى. ويختفي المركز تماماً ويصبح التمييز مستحيلا. عند هذه المرحلة تلتحم حركة التمركز حول الأنثى بحركات «حلولية» مماثلة كالدفاع عن «السحاق» وعبادة الأرض، فهي كلها حركات تفترض أن ما هو مطلق لا يتجاوز المادة بل يكمن ويحل فيها. فهو «الأرض» بالنسبة لعبدة الطبيعة. وهو الأنثى بالنسبة لحركات التمركز حول الأنثى وهو «الطبقة العاملة» بالنسبة للفكر الشيوعي، وهو «المنفعة واللذة الفردية» بالنسبة لليبرالية. وهذا المطلق عندهم هو «الحال» - بتشديد اللام - الذي يحرك التاريخ ويساوي بين كل الكائنات ويسويها الواحدة بالأخرى[٦].

وهذا كلام خطير ينبغي أن نتوقف أمامه طويلا

لندرك أن ما يتصايح به المقلدون والأتباع في عالمنا العربي من استنكار السلطة الذكورية ومن الدعوة الى المساواة المطلقة بين الأنثي والذكر والزعم بأنه لا فرق بين الجنسين. وإقناع المرأة بأن «تسترجل» أي تتشبه بالرجال في كل شيء .. وإقناع الشباب بتقليد الفتيات في النعومة والحلية والأزياء.. إن هو إلا استجابة لهذه الفلسفات الخادعة المدمرة التي يخطط لها الأشرار من كل قبيل!

ويقرر الدكتور «المسيري» أن المرأة اليهودية كانت مرشحة أكثر من غيرها لأن تنخرط في صفوف حركات تحرير المرأة ثم حركات التمركز حول الأنثى في الغرب لأسباب عديدة منها:

١ - ارتفاع معدلات «العلمنة» بين الإناث اليهوديات في الغرب بنسب تفوق مثيلاتها لا بين أعضاء المجتمع الغربي فحسب.. وإنما بين الذكور اليهود أنفسهم!

٢ - أن الفكر اليهودي «الحلولي» ولد لدى الإناث اليهوديات قابلية عالية للغاية لتقبل نزعة التمركز حول الأنثى والدعوة لها.

ويلاحظ أن مقولة: يهود/ أغيار - أي يهود وغير يهود - تقابل عندهم مقولة: أنثى/ ذكر. كما أن التمركز حول الأنثى يشبه التمركز حول الهوية اليهودية ورؤية تاريخ البشر كتاريخ ظلم وقمع واضطهاد لليهود وللإناث هو الآخر عنصر مشترك، ويشترك الفريقان في البرنامج «التفكيكي العدمي»[٧].

وفي ضوء ما كشفت عنه تلك الدراسة وما قدمت من وثائق وأعمال قام بها دعاة حركة التمركز حول الأنثى، فإننا ندرك عمق الهاوية التى يقف على شفيرها الناعقون بقضية السلطة الذكورية الظالمة - في نظرهم - وعلى الأسرة «الأبوية» التى يكون فيها الرجل قوّاماً على أهله.. ثم يمتد عبثهم الى التشريع واللغة والأدب.. زاعمين أن الرجل اغتصب اللغة من المرأة وأضفي عليها طابع الذكورة.. متناسين أن اللغة ظاهرة اجتماعية لا يمكن لفرد أو أفراد أن يسيطروا عليها.. كما سنبين ذلك في موضعه.

إن الذين يزعمون أن المرأة المعاصرة قد أسست لغتها الخاصة وحررتها من سيطرة الذكور جاهلون أو متجاهلون.. فليست هناك لغة خاصة للذكور وأخرى للإناث.. وإلا فلن يفهم أحدهما الآخر.

وليس هناك في العالم القديم أو الحديث مجتمع عرف التمييز بين لغة الذكور ولغة الإناث.. فما دام النوعان من نفس واحدة.. وما داما ينتسبان الى الحقيقة الإنسانية فلابد أن تكون اللغة بينهما علاقة مشتركة تعبر عن الذكور كما تعبر عن الإناث .. وكما تعبر عن الكون والحياة.

- للبحث صلة -

الهوامش :

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.

(٢) المسند ٢٧٤/١.

(٣) صحيح مسلم كتاب الحيض، حديث رقم ٣٤.

(٤) البيان والتبيين للجاحظ ١٠٥/١.

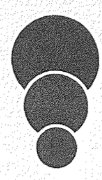
(٥) اليد الخفية، ص ١٨٢.

(٦) المرجع السابق.

(٧) المرجع السابق.

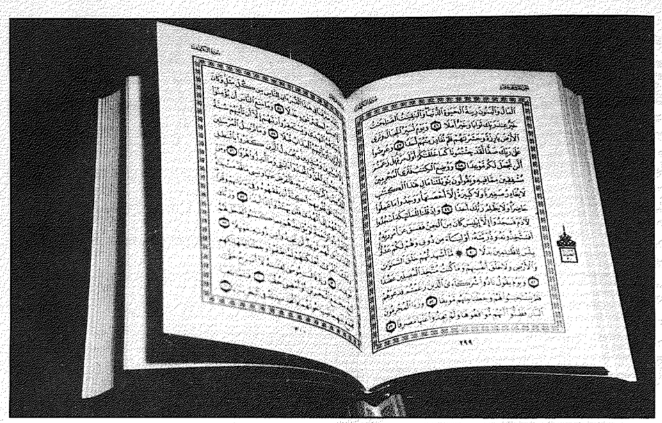
ومضات

أقلام أحبت الكلمة، بل عشقتها..
تعاملت معها: فهماً وذوقاً وابداعا.
بين احضان الكلمة نسمع نبضاتهم، ونرى ومضاتهم..
ومضات: أقلام طالما احتضنتها صفحات المنهل، وهي تصنع بين عينيها..



خصائص أسلوب القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كتاب الله، وهو المعجزة الخالدة للإسلام. أنزله الله سبحانه وتعالى على الرسول محمد ﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾ من أجل هداية أمته والإنسانية جمعاء قال تعالى ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ (الإسراء/ ٩)، وقال الله عز وجل ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ﴾ (ابراهيم/ ١)، ويقول الرسول ﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾ (كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله. هو حبل الله المتين، ونوره المبين. وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم. وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء. ولا تشبع منه العلماء، ولا تمله الأتقياء. ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لا تنتهي الجن إذ سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد، فمن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هُدي الى صراط مستقيم وهو عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه).



إن الإعجاز القرآني يشمل كل الجوانب والمناحي اللغوية والأدبية والعلمية والتشريعية.. وهذا الإعجاز المتعدد يبين عظمة القرآن الكريم وعظمة الله سبحانه وتعالى خالق الكون والحياة والإنسان ولعل من أهم مظاهر الإعجاز القرآني أسلوبه الذي يتميز بخصائص كثيرة (لقد اختص القرآن الكريم بكثير من الفنون البلاغية كالتشبيه والاستعارة والإيجاز وضرب الأمثال وغير ذلك مما يجعلك عند تلاوته متذوقا سحر بيانه وروعة أسلوبه ويعرف فضل القرآن من إكثار النظر والإمعان فيه، ومن اتسع علمه وفهم مذاهب العرب وفنونهم في الأساليب وما امتازت به لغتنا العربية دون جميع اللغات[١]

أسلوب الإيقاع الموسيقى للقرآن الكريم:

ان من أهم خصائص أسلوب القرآن الكريم الوزن أو الإيقاع الموسيقى الذي يتميز بتخير الألفاظ العذبة المنظمة في نسق خاص. كما أنه يجمع بين النثر والشعر من أجل التعبير عن أهدافه ومقاصده. ولا يمكن اعتبار آيات القرآن الكريم أبياتا شعرية أبدا. فالفرق كبير جدا بينهما كما أن هناك تشابها بين أسلوب القرآن والسجع الذي نبغ فيه العرب نظرا لتأثيره على المشاعر والأحاسيس النفسية.

أسلوب التشبيه في القرآن الكريم:

التشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى يجمعهما، وقد احتوى القرآن الكريم على

أنواع كثيرة من التشابيه البلاغية التى تهدف الى التأثير في النفوس، وفيما يلي بعض الأمثلة من هذه التشابيه التي توضح الأمور المعنوية بالصور المرئية:

قال تعالى: **{مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون}** (العنكبوت/٤١).

تشبه الآية ضعف ما اعتقد فيه المشركون في عباداتهم لغير الله بالعنكبوت، تلك الحشرة الضعيفة التى تجهد نفسها في البناء لكنها لا تبني إلا أوهن البيوت.

قال عز وجل : **{مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء}** (ابراهيم/١٨).

يشبه القرآن الكريم أعمال الذين كفروا بربهم بالرماد الذي هبت عليه الرياح بشدة فنثرته ولم يبق له أثر. إذا كان صاحب الرماد المتطاير لا يمسك بشيء منه فإن الكافر يوم القيامة تذهب أعماله سدى بدون ثواب.

قال تعالى: **{إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو** نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس} (يونس/٢٤).

لقد شبه القرآن حال الدنيا والمغترين بقوتهم فيها ومآل حالهم من أجل التأثير في نفوس الناس.

اسلوب الاستعارة في القرآن الكريم:

لقد احتوى القرآن الكريم على صنوف من الاستعارة البلاغية التي تظهر منزلته في التعبير. قال تعالى: **{اشتعل الرأس شيبا}** (مريم/٤)، إن سعي الشيب في الرأس هو بمثابة أو منزلة النار التى تشتعل في الفحم.

قال عز وجل: **{وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونُفخَ في الصور فجمعناهم جمعا}** (الكهف/٩٩). إن كلمة يموج استعارة ليس فقط لمعنى الاضطراب بل صورة لخيال الجمع الحاشد من البشر الذي لا يدرك بالعين المجردة. (وتوحي الآية الكريمة قدرة الله تعالى على جمع كل البشر وحسابهم في وقت واحد مما يشعرهم بالخوف والخشوع من الله تعالى فيعمل كل منهم حسابه لهذا اليوم ويعد نفسه للقاء الله وهو محسن)[٢].

الإيجاز في القرآن الكريم:

الإيجاز هو إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ. والقرآن الكريم يدل بالكلمة الواحدة على معان كثيرة ومثال ذلك في قوله تعالى: **{إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون}** (النحل/٩٠). أمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة بكل معروف ونهى عن كل منكر وختم الآية بأبلغ موعظة لها من أجل التأثير الوجداني والنفسي كل ذلك بألفاظ قليلة.

وفي قصة وصف طوفان نوح إيجاز بليغ وإعجاز. قال تعالى: {**كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه أني مغلوب فانتصر * ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر * وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر**} (القمر/ ٩-١٤).

إن هذه الآيات الكريمة تصور الطوفان بألفاظ قليلة ومعان بليغة. ويصل الإعجاز البلاغي ذروته المتمثل في الإيجاز حين وصف القرآن انتهاء الطوفان بهذا القول البليغ: {**وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بُعْداً للقوم الظالمين**} (هود/٤٤).

الأمثال في القرآن الكريم وآثارها النفسية:

قال تعالى: {**ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون**} (الزمر/٢٧). إن ضرب الأمثال يعد من أهم خصائص الأسلوب القرآني الذي من أهدافه التذكير والوعظ والإرشاد والتأثير النفسي والوجداني في المستمعين. وهذه بعض الأمثلة: قال تعالى: {**مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون، صُم بكم عمي فهم لا يرجعون**} (البقرة/ ١٦-١٧). شبهت هذه الآية حيرة المنافقين واضطراب أحوالهم بالذي يسير في الليل وقد أوقد نارا تضيء طريقه فعرف الى أين يسير ثم شمل المكان ظلام دامس فأصبح لا يدري فيه السائر أن يضع قدمه.

قال تعالى: {**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه**} (يونس/ ٣٩) وهو كالمثل المتداول: (من جهل شيئا عاداه). وقال عز وجل: {**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**} (الفرقان/ ٦٧) وهو كالمثل المعروف: (خير الأمور أوسطها).

تكرار معاني القرآن الكريم من أجل التأثير النفسي:

يشتمل القرآن الكريم على أسلوب التكرار بعبارات مختلفة ولكن المعنى يبقى واحدا وحكمة ذلك تتجلى في قوة التأثير على النفس البشرية وتبليغ المراد والهدف والإقناع وتركيز الرأي والعقيدة وتوكيد الزجر والوعيد والتذكير والموعظة. ويعد أسلوب التكرار ضربا من ضروب القدرة التعبيرية التى اختص بها القرآن الكريم.

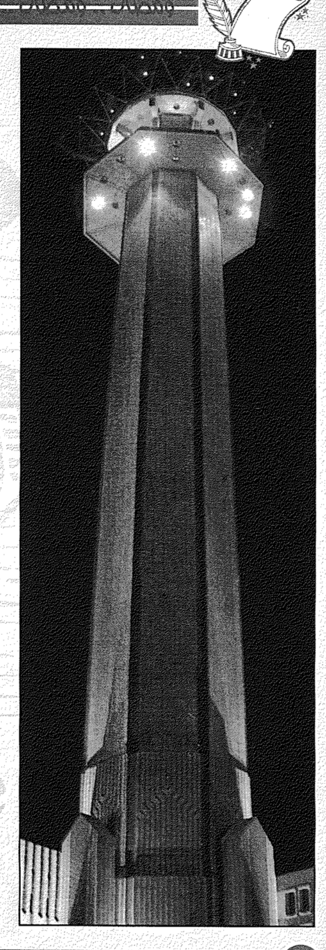
الهوامش :

(١) راشد عبد الله الفرحان - تفسير القرآن - منشورات جمعية الدعوة الإسلامية.

(٢) عفيف عبد الفتاح طبارة - روح الدين الإسلامي - دار العلم للملايين - بيروت.

عمر ادريس الرماش - المغرب

حب الوطن



حب الوطن أجمل مشرق من مشارق

العشق الأبدي !

لا يعترف حب الوطن بأي شكل من

أشكال الغروب !

بأي لون من ألوان الليل !

بأي وجه من أوجه الضياع !

بأي درجة من درجات الشك !

يعترف فقط أن نسير عُشاقاً متحررين

من سطوة الزمان والمكان !

فحبُّ الوطن لا يعترفُ بحدود الزمان والمكان !

إنما يعترف فقط أن نكون أحراراً حتى في حُبنا

له!

وعندما نقول نفعل، وعندما نحب تتساقط أمامنا كل أصناف القيود، كل طاولات اللعب، كلُّ معاجم الوحشية والهمجية !

كيف لا نحب الوطن؟ والوطن علمنا كيف يكون الحب، وكيف تشتعل كلماته هياماً، وكيف يخلقُ الهيام به أحلاماً ، وكيف نذوب في قارورة عطره، وكيف نفوح مسكاً عندما نذكر اسمه، وكيف نتحول في لحظات الى رياحين وياسمين تتناثر من الشوق له على جنات شوارعه أنغاماً وألحاناً !

وكيف نحول أحلامنا وأوراقنا وأشعارنا وألحاننا الى باقة ورد تُقدم له في يوم ميلاده !

على كل ذرة رمل من رمال الوطن أجمل قصيدة عشق لم تكتب بعد !

وفي كلُّ قطرة ماء من مياه الوطن أجملُ لؤلؤة لم يستخرجها الغواصون بعد !

وفي كل سحابة من سحبه زخات الحب السرمدي !

وفي كل شجرة من أشجاره غاباتُ الشغف الوردي !

وفي كل لون من ألوان طيفه وجهُ الربيع وهو في أجمل زينه !

علمني الوطنُ كيف يخفقُ قلبي بحبه، كيف تتكونُ القصائد الغرامية بحبه، كيف يصبح ويمسي قلمي في لحظة من لحظات حبه عصفوراً مغرداً لا يشابههُ في عذوبة صوته عصفورٌ آخر في العالم !

علمني الوطن الحبيب كيف أحيا بجواره وفي صدري مكتباتُ الحب، وفي قلبي وعقلي دواوينُ الحب وفي قلمي الحبرُ المخصص للحب !

لا أملك في حُب الوطن لغة واحدة، بل لغات مختلفة فحروفي كلها لغات، وأشعاري كلها لغات، ونبضاتُ قلبي كلها لُغات، وأنا في حب الوطن لوحدي لغات !

ولكن كلُّ هذه اللغات في حُب الوطن لا تحتاجُ الى مترجم !

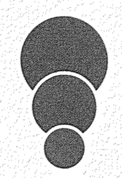
أعطوني الشمس والقمر ! أعطوني المشرق والمغرب! أعطوني كنوز الدنيا! أعطوني ملايين النجوم والمجرات !

من دون الوطن أفقدُ كلَّ هذه الأشياء !

عبدالله علي الأقزم - القطيف



شعري عصارة أضلعي



حَدِّثْ فإن الصبح كاد يرشنا
بالنور كيما يغسل الظلماء

حدث فإن السر يأكل بعضه
في صمتنا ويحاذر الأعداء

حدث فإن العين كادت تهتدي
لمكاننا، وتحرك الدهماء

خلص خيوطي من خيوطك إنما
نجني من العهد الوثيق عناء

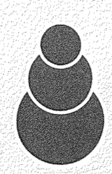
حطم كؤوسا أترعت من لهونا
يكفيك ريا أن تسيغ الماء

شعرى عصارة أضلعي أسقيتها
قلبي ففاضت رحمة ودماء

يشدو به الحر المعذب برهة
ويعود يشكو الظلم واللأواء

إيه .. فما دمع الكريم كادمع
نثرت على خد التراب رياء

لكنه الجمرات تشوي جفنه
حتى يذوب صبابة وشقاء



صالح بن عبدالكريم العبودي - بريدة

(متســـوِّل)

كان بالباب مقيماً فاتحاً كفّيْه نحوي

وبعينيه حكايات، وأسرارٌ قديمه

كان يمتدُّ على خارطة الحزن نشيداً أبديا

حاملا أشياء لا يعرفها

مرَّة يرنو إلى الدرب، ومرَّات إليّا

كان سلطانٌ من القهر على جبهته

كان يبكي، لم تكن دمعاته يذرفها

كان في صرخته المخنوقة أشباحُ الهزيمه

وعصاه صبرت عشرين عاماً

وستبقى معه حتى القيامه

كان يهتزُّ كعصفور شتائي بلا مأوى

وإذْ يفتحُ لي راحته طارت إلى الأفق يمامه

قال: أمضيتُ سواد الليل في الثلج

على كتْف الرصيفْ

قال لي: أولادي الخمسة يبكون من الجوع

يجفّون كأوراق الخريفْ

قال لي : .....

ما عدتُ أدري ما أقولْ



كنتُ ألتمُّ على نفسي، أداري الخجل الآتي

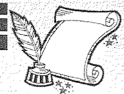
كحقل ضاع من ذاكرة النبع،

وتاريخ الفصولْ

قلتُ : يا شيخْ ...

فما أمهلني، فتح الكيس، وأعطاني رغيفْ

عز الدين سليمان سليمان - الرياض



البيان في ذكر الالفاظ الدالة على العين وما حولها

اللغة العربية تحوي العديد من الكلمات والمصطلحات التى تستعمل بدقة متناهية في وصف الشخصية وتعبر بدقة عن أدق التفاصيل في ذكر الأوصاف والمعاني ـ وكثيراً ما تغني الكلمة المفردة عن كثير من الإثباتات في وصف الشخص وتميزه عن غيره من خلالها . ومن خلالها يتم مطابقة الصورة الحقيقية للشخص في الأذهان من خلال سرد البيان في وضعه .

وهنا نذكر ما قالته العرب في أوصاف العين وما حولها :

ـ قالت العرب لمن اتسعت عينه رجل أعين وامرأة عيناء

ـ اذا انتفخ جفن العين للأعلى يقال للرجل أخص والمرأة لخصاء

ـ اذا قل لحم الجفون وغارت العينان فهو غائر الجفون

ـ أما إذا برزت الحدقتان فهو جاحظ العينين والمرأة جاحظة .

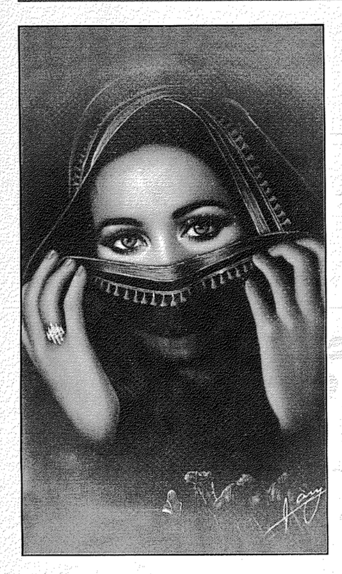
وأديب العربية الكبير الجاحظ صاحب البخلاء والبيان والحيوان عدا عن رسائله الكثيرة أشهر من أُطْلِقَ عليهم هذه الصفة.

- أما إذا كان في العين رطوبة فهو ضعيف النظر برطوبة.

- إذا اشتد سواد العين فالرجل أدعج والمرأة دعجاء.

- إذا اسودت أطراف العين فهو اكحل فيبدو كأن الكحل في عينيه.

- إذا استوى السواد وصفا البياض واتسع ما بين الأجفان فالرجل أحور والمرأة حوراء.



وفيها يقول الشاعر:

إن العيون التى في طرفها حور

قتلننا ولم يحيين قتلانا

- إن خالط السواد خضرة يسيرة فالرجل أشهل والمرأة شهلاء

- إن خالط البياض حمرة فالرجل أسحر العينين والمرأة سحراء.

- إن خلصت الخضرة الى الزرقة أي عند تحول الاخضر للأزرق في العينين فهو أزرق العين وهذه صفة تغلب علي ذوي البشره البيضاء والشعر الأشقر.

- اذا اشتدت الزرقه فهو أشقر العينين.

- أما إذا غلب البياض على الأزرق فالرجل يطلق عليه أبلج.

- أما إذا اختلف لون العين كأن تكون إحداهما



زرقاء والأخرى سوداء فالرجل أحيف العين اليمنى أو اليسرى والمرأة حيفاء.

- أما إذا كان اتجاه النظر في العين باتجاه الانف وكلا العينين تنظر للأخرى فهو أقبل.

- أما إذا ارتفع مستوى العين باتجاه الأعلي فهو أدوش والمرأة دوشاء.

- أما إذا كانت العينان بخلاف بعضهما البعض كأن تكون احدى العينين بالطرف الأيمن والأخرى بالطرف الايسر فهو أحول العين اليمنى أو اليسرى.

أما من جهة النظر :

- فإذا قلَّ النظر ولم يعد يرى الاشياء البعيدة فهو أخفش.

- أما إذا لم يعد يرى الاجسام القريبة فهو أكمس.

- إما اذا لم يعد يستطع أن يرى النور فهو أجهر.

- إما اذا انقلب جفن العين فهو أشتر.

- أما إذا حال شعر الأجفان فهو أوطف.

- وإذا تساقط شعر الاجفان فهو أعمش.

- وإذا خسر إحدى عينيه فهو أعور.

- اما إذا فقد النظر فهو أعمى.

- أما إذا كانت العينان مفتوحتين ولم يعد يرى النور فهو قاتم العينين.

ابراهيم على ابو رمان - الرياض

ارهاصات مسافر

قف .. لا ترتجف

كف عن الحديث لا تصف

دع الغرام والكلام واعتكف

ودّع زمانك

ودع مكانك

قف صنوبرة، لا تمت، لا تجف

لا تحاور أو تناور

لا توافق أو تختلف

أبعد عن دروب العشق

لا تنافس .. لا تقاوم أو تعترف

دع القصيد والنشيد

اركب صهيلك عبر صحراء الظما

وبالظلام التحف

قف .. لا ترتجف

ارسم بموج هواك

في الآفاق البعيده

سحباً تسافر بالوعود

شمساً تضيء لك الوجود

شعراً يقاتل بالبروق وبالرعود

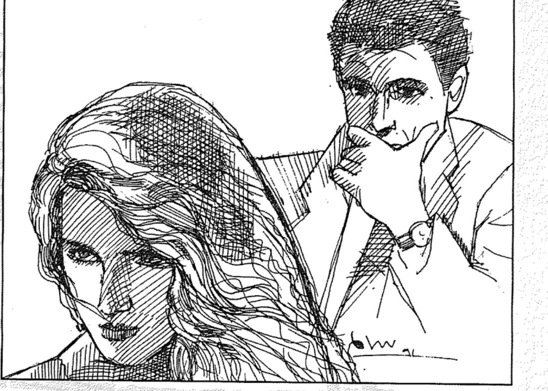
فجّر عروق الشوق

بحر دماء لا يجف

دفع الله يوسف ابو عاقلة - السعودية



هـديـة حـزن



ألم وحسرة، نار تتأجج في فؤادي، أحزان تعصف بقلبي، كل هذا وأكثر لأني فارقتها..

الهمُّ مُجتمعٌ والشمل مفترق
والدمع مستبق والقلب محترق
زاد الغرام على من لا قرار له
وقد ضناه الهوى والشوق والقلق
يا رب إن كان شيء فيه لي فرج
فامنن عليَّ به ما دام لي رمق

فارقتها رغم أني أريد أن أبقى معها، ابتعدت عنها ، أغضبتها وأنا ما أردت يوماً غير رضاها، أحزنتها وأنا ما سعيت يوماً إلا لإسعادها، أحزنتها وأنا أشد منها حزناً بذلك، فعلت ذلك كله لأني رأيت أنها ستكون أفضل بعيداً عني، ستجد من يحقق لها أمنياتها أكثر مني..

ودعته وبودي لو يودعني
صفو الحياة وأني لا أودّعه

هذا ما قاله لي أحد الأصدقاء عندما أتاني ليلقي بهمه من على كاهله ـ وهذا حال أصدقائي دوماً ـ فسألته: هل هي من أرادت الفراق؟

فقال :

وكم تشفع بي يوم الفراق ضُحي
وأدمعي مستهلات وأدمعه

فقلت له: يا صاحبي، إن كنت تظن أنك بهذا

قد ضحيت من أجلها فأنت مخطيء، فما هكذا تكون التضحية، وإن كنت تظن أنك أسعدتها بهذا فقد أخطأت الصواب، لأنك بهذا قد أدميتَ قلبها، أطلقت عليه رصاصة من عيار ثقيل وتركته ينزف وهربت.. نعم هربت، لأنك لم تكن بقدر المسئولية، كنت جباناً، اخترت أن تقتل حبك وتهرب بدلا من أن تدافع عنه وتحميه..

عُدْ الى حُبك، عُدْ إليها، انطلق قبل أن يموت الحب في قلبها، انطلق لعلك أن تدرك حبك قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة.. عُدْ إليها لعلك تكون كمن قال:

ولقد ندمت على تفرق شملنا
دهراً وفاض الدمع من أجفاني
ونذرت إن عاد الزمان يلمنا
لا عدت أذكر فرقة بلساني
هجم السرور عليَّ حتى إنه
من فرط ما قد سرني أبكاني
يا عين صار الدمع منك سجية
تبكين من فرح ومن أحزان

فإن متع الدنيا ولذاتها لا تساوي شيئاً من غير حب، فالحب هو الذي يعطي معنى للأشياء وبدونه تفقد الأشياء معناها..

وما سرّني أني خليٌّ من الهوى
ولو أن لي ما بين شرق ومغرب

إنما تكون قد ضحيت من أجلها لو علمت أنها تحب أحداً غيرك وأن سعادتها ستكون معه، فإن المحب يقدم سعادة من أحب علي سعادته..

سررت بهجرك لما علمـ
ـت أن لقلبك فيه سروراً
ولولا سرورُك ما سرّني
ولا كنت يوماً عليه صبوراً

رغم أنه من أعظم البلاء أن يكون من تحب، يحب غيرك..

ومن البلية أن تحب
ومن تحبه يحب غيرك

وأعظم بلاء منه فراق الأحبة بعد وصل ومودة..

يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم
وجدانُنا كلَّ شيء بعدكم عدم

فإن الحياة بعد فراق الأحبة هي حياة بلا أمل ولا معنى ..

طال الفراق ودام الهم والوجل
والدمع في مقلتي يا صاح منهمل
والقلب ودعته يوم الفراق وقد
بقيت فرداً فلا قلب ولا أمل

عبدالله ناصر بن ثنيان - الرياض



نبضات

نبضتي والخرابْ

والمدينة مُوغلةٌ في التوحُّش، مُوغلةٌ في الغيابْ

الظلامُ انتهى نحو آخر حدّ

على شاطئي كوننا

والضياء انزوى تحت أسطورة الاغترابْ

موقعي لمْ يدُرْ مثلما دارت الأرضُ..

ياه.. منْ سيفتح بوّابة القلب منْ

سيعيدُ الى نهرنا روعة الانسيابْ؟!

* * *

المساء ثقيلٌ

كما لو تشكل منْ ضجر العالمينْ

نفسي لم يعُدْ كافياً للحياة..

الظلامُ .. الظلامُ

يُهيمن في كل زاوية من زوايا السنينْ

صُوَرٌ تستبيح مخيّلتي

تتشابك في شكل أنسجة

ثم تهربُ حين أحاول أنْ أستبينْ

حُرقةُ الشوق، شيء من الكبرياء

وبعض الملامح لم أستطع أن أفسرها

رغبتي والحنينْ

بعض خيط من الضوء يظهرُ خصلات شعرك..

لكنها تختفي فجأة

ويسود الظلام .. الظلامُ اللعينْ

الظلامُ ، أحاول أن أقرأ الآن

عينيك في لونه ..

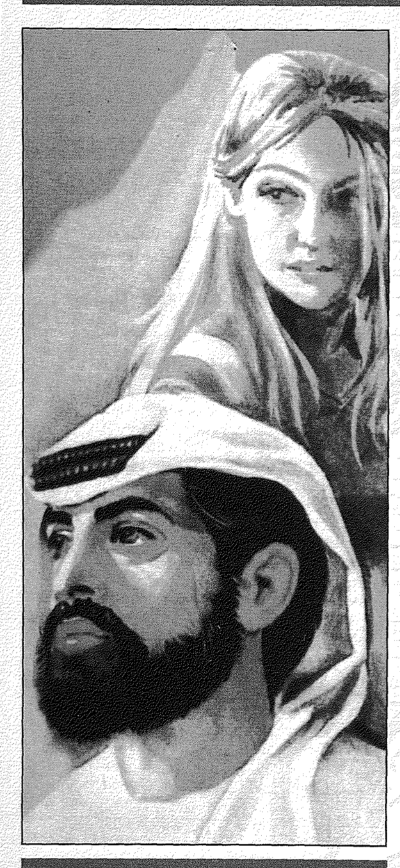
غير أنني أفتقد الضوء يا أنت

ها إنني الآن منتظر

للقراءة، هل تقرئين؟!

* * *

ليلة ، ليلتانْ



طوتا دفتي الزمانْ

قيسُ ذاك المعَفّر بالعشق حدَّ الجنون..

اختفى من قبيلته

نبضتي لم تجد ترجمانْ

ليلتان وآثار حلم قديم تبُّددَ

من أين أبدأ أقصوصتي المنتهاة

على طرفي اللسانْ؟!

رافضٌ للنساء

سوى امرأة

قيل كانت تعلمني متعة الحبّ

توقظ في رغبة لم يسعها المكانْ

قيل كانت.. وكانت

وكنتُ هنا

أتوسدُ حلماً غفا

عند أوّل منعرج

آه يا امرأة من دُخانْ...

دراجي اسليم - الجزائر



يا من تعلق بالهوى

يـا مَـنْ تَـعـلَّـق بـالـهـــــوى
والحبُّ أرَّق مُــــقلتـــيـــهْ
والقلبُ بالجـــمـــر اكـــتـــوى
ضَـــيَّـــعْتُ أحـــلامي لـديهْ

أعطيتـــهُ السِّـــرَّ الذي في خـــافـــقي
أهـديتــــهُ عطْر الفـــؤاد العـــابق
صَلَّيْتُ من أجل الهـــوى يا خـــالقي

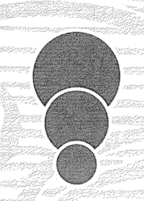
مـــاذا إذا نـاجـيـتـــهُ ؟!
مـــاذا إذا نـاغـيـتـــهُ ؟!
مـــاذا إذا أهـديتـــهُ ؟!
قـلبي ليـــخـــفقَ في يـديهْ

مـــا كنتُ أحْـسَبُ أنَّهُ سـيـغـمني
ليـعـود يسـألُ مـــا به أيهـمني ؟
أتُرى تناسى في الهـوى كم ضـمَّني ؟
وضـمـمـتـهُ خـوفـاً وتحناناً عليـهْ ؟

سـلَّـمـتُ أســـــراري لـهُ
ووهـبتُ عـــمـــري كلَّـهُ
وأضـــأتُ بيـــتـي علَّـهُ
إنْ ضـاع يسـتـهـدي إليـهْ

يـا مـنْ تعـلَّق بالـهـــوى
والحبُّ أرَّق مـــقلتـــيـــهْ

مفيد نبزو - سوريا





يلقاك طَلْق المحيَّا
أو قائلا : يا أخيَّا

يُدنيك مستبشراً إنْ
كان الأمرُ سنيَّا

حتى إذا ما نال خيراً
رام مكاناً قصيَّا

واغتاب ذا الخبُّ شهماً
لو شاء طال الثريَّا

تالله ما نال عزا
مَنْ كان نذْلا دنيَّا

هيهاتَ يسمُو قَميءٌ
ما دام عبداً شقيا

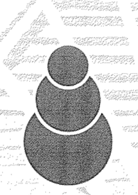
يا خادع الرأي هلا
ارعَوَيْت ما دُمْتَ حيَّا

فالدَّهْرُ يمضي حثيثاً
في الأمر أنظر مليَّا

هلا تسنَّمت ذرْوَ
ةَ المجد، تغدُو أبيَّا

فالصّدْقُ أمُّ الخلال
جرَّاهُ تحْيا صفيَّا

يُطريك خَلْقٌ وترقي
يوماً مقاماً عليَّا



محمد صالح الصغير - تونس







أنجع العلاج في كسب الأزواج



* روت دنانير جارية يحيى البرمكي[١] ما وقع لنسوة من ذوات الحجا والحجال، والماء والمال، والدَّل والدلال، قالت: لمّا فشا في المدينة أن الفرزدق[٢] طلّق النّوار اشتد على نسوتها الأوار، فتداعين لإخماد النار، وإلجام أفواه الأزواج عن حرف الطاء ومفارقة الغطاء، وحقن أفئدتهم بحرفي الحاء والباء، وتداولنا بإشفاق ما صور الفرزدق من حال النوار بعد الطلاق:

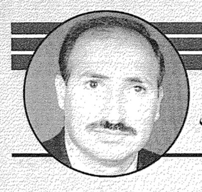
خبّروها بأنني قد تزوجتُ
فظلتْ تكاتمُ الغيظ سرّاً

ثم قالتْ لأختها ولأخرى
جزعا : ليتهُ تزوّج عشرا

وأشارتْ الى نساء لديها
لا ترى دُونهنّ للسر سترا

مالي قلبي كأنه ليس مني؟
وعظامي كأنّ فيهن فترا

من حديث نمى إليَّ فظيع
خلتُ في القلب من تلظّيه جمْرا[٣]



بقلم : د. أحمد عطية السعودي - الأردن

وثارت ثائرة حلائل الشعراء: زوجة بشار، وأبي نواس، والبحتري، وأبي تمام، وحرائر الفضلاء: عاتكة المخزومية وعلية بنت المهدي، والفارعة بنت طريف، وعائشة القرطبية[٤]، فأجمعن بعد حوار ونزاع على إتيان ابن وحشية[٥] الساحر الماهر، والكيميائي الباهر، والفلاح الباذر!

فلما دخلن عليه خرَّ مغشياً عليه، ثم أفاق وأنشد:

يا ملاح الدلال والاغتناج

ما أرى القلب من هواكنّ ناج!

فأجابته علية بنت المهدي: خيّب الله ظنك، ما جئناك لتتغزل بنا، ولكن

لم يسلم الظبي على حُسنه

يوماً ولا البدرُ الذي يوصفُ!

قال: ممن لم يسلم؟

قالت: من غدر الفرزدق الأحمق وأضرابه الفسق الذين يحسبون الحلائل كالخواتم في أيديهم يخلعونهن متى رغبوا دون وازع من دين ولا رادع من عقل أمين.

قال: سأجلعه يندم، ويحنّ ويغتم، ويشقى بأولاده: لبطة وسبطة وخبطة وركضة وزمعة.

قالت: كيف؟ قال: لا يسأل الساحر كيف؟ وإنما: كم؟

قالت: كم درهماً تريد أيها الساحر العربيد؟ سل تُعط، فأموال أزواجنا مودعة في المصارف أكداسا مكدسة وقناطر مقنطرة، وفيها لأمثالك الدجالين نصيب ثمين!

قال:

أريدُ مالا كثيرا

مخدة وحصيرا

ودار نوم وثيره

كغرفة لأميره

أريدُ عطراً وكيسا

وجُبّة وقميصا !

قالت: سنهديك إن وجدنا بقية من سجاد تبريز، وفرو الإنجليز، وعطر باريس، وبنطال جينز وثلاثة برود يمنية وغرفة نوم المتنبي التى فصلّها في بادية السّماوة واختصم في حسنها الناس:

أنامُ ملء جفوني عن شواردها

ويسهرُ الخلقُ جرَّاها ويختصمُ[٦]

قال: رضيتُ بعهد الغواني، وإن كنتُ واثقا من قول القائل:

وما تمسكُ بالوصل الذي زعمتْ

إلا كما تمسكُ الماء الغرابيلُ[٧]

قالت علية : إن طلسمت أزواجنا نهب لك «شقة الحرية» ونقر عينك بغرفة نوم الأميرة الراحلة ديانا[٨]!

قال : أنتن السبب، فلو أصابت إحداكن الزوج المثالي والعريس الرومانسي لما سكن قلوبكنّ هلع!

قالت : وما صفات الزوج المثالي والعريس الرومانسي للفتاة العصرية يا بن الوحشية؟

قال : أصابعه مرق، وإبطه عرق، وثيابه خرق، إن تكلم زعق، وإن صمت انغلق، وإن نادى نعق، وإن تعشى شرق، وإن تمشى انزلق، وإن تمطى انفتق، وإن تغطى انخنق، وإن تبخر احترق، وإن تثاءب شهق، وإن عطس بزق!

قالت : ما ألطف لياقته، وما أحلى أناقته! فما يناسبه من العرائس يا أبا بكر؟

قال : تناسبه عروس أنانة حنَّانة، منَّانة، فنَّانة، رنَّانة!

قالت : قد فهمنا أن الأنانة من تئن وتشكو سوء الحال، والحنانة من تحنّ الى زوجها الأول من الرجال، والمنانة من تمنّ على زوجها براتبها وما عندها من مال، فما الفنانة والرنانة؟

قال : الفنانة هي المشغوفة بالموسيقى والأغاني وتربية الجراء في المباني، وأما الرنانة فهي المشغولة برنّ الهاتف والثرثرة مع الجارات ومتابعة الأزياء والموديلات!

فهذان العروسان متوافقان في المزاج، بعيدان عن الانزعاج!

قالت : حقا وافق شنٌّ طبقة، ووافق رأيك الرصين أفكار قاسم أمين[٩]!

قال : وكيف كان ذلك؟

قالت : زعموا أن رجلا ظهر بأرض الكنانة يقال له الشيخ قاسم بن أمين قد احتال عليه صعاليك الفرنسيس فعاد بلا عمامة، وجمع النسوة في ميدان رمسيس، ووعدهن برياش الشانزليه، وتحرير البلد من غاصبيه، ونزع أساور برجنيف من يديه، إن هُنّ خلعن الحجاب، وحرقنه في مظاهرة وإضراب، ونبذن قيم الأعراب، وقابلن الأخدان والأحباب، وقلدن الخواجات الأغراب!

قال : فهل تحقق لهنّ وعدُ ابن أمين من تحرير الأرض وصون العرض؟

قالت : بل رضين من الغنيمة بالإياب، وما وجدن غير السراب!



قال :

خـــدعـــوها بقـــولهم حـــسناء

والـغـــــواني يغـــرّهن الثناء!

قـــالت : يا أبا بكر، فــبــأي شيء نكسب قلوب أزواجنا على الدوام؟

قال : برباعيات الخيام! قالت: فما هي؟

قـال : خشونة الكلام، وقباحة الهندام وإساءة الطعام، وبرودة المنام!

قالت : عجبا لهذه الأنسام! وكيف يكسب الأزواج قلوب زوجاتهم ربّات الحجال؟

قـال : بإضاعة المال، وإهمال العيال، والضرب بالنعال، والتعلق بأحاديث الرجال!

قـالت : فـمـا أحاديث الرجال؟ قـال: الزواج من النساء مثنى وثلاث ورباع، كما فعل بعض الأعراب الرعاع. قالت: وكيف كان ذلك؟ قال: تزوج أعرابي باثنتين فوصف ما وقع له شعرا:

تزوجتُ اثنتين لفـــرط جـــهلي

بمـا يشـــــقى بـه زوج اثـنـتين

فـقلتُ أصـيـرُ بينهـمـا خـروفـاً

أنعَّمُ بين أكــــرم نعـــجـــتين

فـصـرتُ كنعـجـة تضـحي وتمسي

تـداول بين أخـــبـث ذئبـــتين

لهـــذي ليلة ولتلك أخـــرى

عـــتـــابٌ دائمٌ في الليلتين!

قالت: خليق بنا أن نعلق هذه الأبيات أمام نواظر أزواجنا فهي لأحاديثهم رادعة، ولأمانيهم صافعة! ثم تنهد ابن وحشية، وأبرق في فؤاده شعاع صحوة

فـقـال: أولا أدلكنّ على مـا يُسكن الأزواج في وريف الظلال بالسحر الحلال؟!

قلنا : بلى. قـال: فـيَـمِّنَّ شطر باعـون بأرض عجلون ففيها عالمة جليلة وأديبة رقيقة تسمى عائشة الفقيهة[١٠]، فقصدنَ الشام حتى إذا وصلن المضارب ألفين في مجلس الشيخة وفود المتعلمات والمعلمات ونساءاً مثلهن سائلات مستطلعات.

قالت عليَّة فقلت: جئناك يا عالمة باعون من أرض سيحون وجيحون نستفتيك عن روادع الدين التي تمنع الرجال المتهورين المعجبين بالمطربين والممثلين والرياضيين من ظلم ذوات العفة والحشمة والخلق المكين.

قـالت: صـاحب الدين المتين من الرجال مأمون، لأنه ملزم بقـول الله تعـالى: {وعـاشـروهن بالمعروف}[١١] ومعنيٌّ بقول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «استوصوا بالنساء خيراً»[١٢] وقوله: «وخياركم خياركم لنسائهم»[١٣]. وأما اللاهون عن زوجاتهم اللاهثون وراء الحرام فليسوا من الكرام بل أضلّ من الأنعام!

قلت : ألديك سحر حلال يُعدل المزاج ويستلب الأزواج؟

قالت : نعم. التعهد لموضع عينه، والتفقد لموضع أنفه: فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح. والكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب، والتعهد لوقت طعامه والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة. والاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله[١٤]، واياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وإياك والمعاتبة، فإنها تورث البغضاء[١٥].

قلت : هنيئا لزوجة عاقلة تتصف بما قلت. قالت: هي التى عناها الشاعر ومدحها بقوله:

فلو كان النساء كمثل هذي
لفُضلت النساء على الرجال
فما التأنيثُ لاسم الشمس عيبٌ
ولا التذكيرُ فخرٌ للهلال

قلت : فما رأيك في اللائي أرسلن أظفارهن وصففن أشعارهن كأسنمة البخت[١٦] ولبسن القصير؟!

قالت :

قل للجميلة أرسلتْ أظفارها
إني لخوف كدتُ أمضي هاربا
إن المخالب للوحوش تخالها
فمتى رأينا للظباء مخالبا
بالأمس أنت قصصت شعرك غيلة
ونقلت عن وضع الطبيعة حاجبا
منْ علَّم الحسناء أنّ جمالها
في أن تخالف خلقها وتجانبا؟!

قلت : نرغبُ في أن تملي علينا شيئا مما فُتح عليك من جواهر الحكمة وبدائع الكلم قبل أن نرتحل.

قالت : اعلمن أن أصل البلاء:

نظرة فابتسامة فسلام
فكلام فموعد فلقاء!

وأن المغالاة في المهور شجرة تنبت العنوسة، وتجلب للمجتمع السوسة. وأن خادمات البيوت أشد على الرجال من الإصبع على الريموت! وأن الطريق الى قلب الرجل ليس معدته، بل لين الكلام ودفء المنام! وأن الرجل الشهم أنفع من غيث وأشجع من ليث يحمي العشيرة ويحسن السريرة، ويرعى الحليلة.

قلت : قد زعم ابن الوحشية أنْ سيندُم الفرزدق على تطليق زوجته نوار، فهل صدق؟



قالت : أبشر بطول شقاوة يا فرزدق! نعم قد قرع سن الندم من ذاته فقال:

نَدمتُ ندامة الكُسعي لمّا
غدتْ مني مطلقة نوارُ
وكانت جنتي فخرجتُ منها
كآدم حين أخرجه الضّرارُ

ولكن ابن الوحشية ساحر ماكر خدع الأوانس والعرائس برسالته المشهورة: (أنجع العلاج في كسب الأزواج)!!

الهوامش :

(١) دنانير: جارية يحيى بن خالد البرمكي، كانت أروى الناس للغناء القديم وللشعر، رثت البرامكة بعد نكبتهم.

(٢) الفرزدق: أبو فراس همام بن غالب، شاعر النقائض والفخر، ومادح الخلفاء، كان يرمى بالفجور والخلاعة ثم تاب في شيخوخته على يد الحسن البصري، وشعره حجة عند أهل اللغة والنحو حتى قيل فيه لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة. توفي بالبصرة ١١٠هـ.

(٣) ليست هذه الأبيات للفرزدق. الفتر: الضعف. نمى: أسند ورفع.

(٤) عاتكة المخزومية: شاعرة فصيحة مدحت عضد الدولة ببغداد ـ علية بنت المهدي: أخت الرشيد، سيدة عباسية جليلة، من أحسن النساء وأظرفهن وأعقلهن ـ الفارعة بنت طريف: شاعرة رثت أخاها الوليد بن طريف:

أيا شجر الخابور مالك مورقا
كأنك لم تحزن على ابن طريف

ـ عائشة القرطبية: أديبة شاعرة، مدحت الملوك، كانت لها مكتبة كبيرة ولم تتزوج (ت ١٠١٠).

(٥) ابن وحشية: أبو بكر أحمد الكسداني، عالم بالكيمياء والفلاحة والسحر والسموم، كان يدعى أنه ساحر، له «السر والطلسمات» و«السحر الكبير» و«شوق المستهام» ت (ق ٤هـ).

(٦) البيت للمتنبي، يريد به اللغة.

(٧) البيت لكعب بن زهير في «بردة» بانت سعاد.

(٨) طلسم: عمل الطلسم وهو خطوط وأعداد وعزائم شيطانية يعملها الساحر (ج) طلاسم. «شقة الحرية» رواية للدكتور غازي القصيبي.

(٩) قاسم أمين: ولد بمصر وتعلم في الأزهر، ودرس القانون بفرنسا، دعا الى سفور المرأة في كتابيه: «تحرير المرأة» و «المرأة الجديدة» ت ١٩٠٨م.

(١٠) عائشة الباعونية: عالمة وفقيهة وشاعرة رقيقة، ولدت في باعون إحدى قرى عجلون شمال الأردن، تعلمت في مصر ودمشق، لها ديوان «فيض الفضل» ت ٩٢٢هـ.

(١١) النساء/ ١٩.

(١٢) متفق عليه.

(١٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(١٤) من وصية أعرابية ابنتها ليلة زفافها.

(١٥) من وصية عبد الله بن جعفر ابنته ليلة زفافها.

(١٦) البخت: الإبل. وعمل النساء هذا من علامات الساعة التى أخبر عنها الصادق المصدوق وأدركناه في هذا العصر.

المرأة العربية بين الأنوثة والإبداع :

من أين تبدأ إشكالية وضع المرأة العربية المبدعة ؟

الإعجاز في القراءات

الثقافة الاجتماعية مفهومها، صلتها بالإنسان وأهميتها

أوراق زوجية







الإعجاز فى القراءات

يقول النقاد والمنظرون إن أفضل النصوص هي تلك التى تقرؤها مرة واثنتين وثلاث فلا تشعر بالملل لأنك في كل مرة تكتشف دلالات جديدة وما ذاك إلا لثروة النص اللغوية والدلالية وعمق مضامينه، ولا يوجد نص في الوجود على مر الزمان والمكان تعرض للتحليل والشرح كالنص القرآني الكريم ويدلنا على ذلك الكم الهائل من التفاسير التى ألفت ومازالت تؤلف!! كل يغترف من بحر القرآن الواسع، والبحر لا ينضب بل كلما ازددت فيه ولوجا تفتحت عيناك على أسرار وأسرار، وكلما حاولت الوصول الى شاطئه أدركت أن العمر قد ينتهي لكن كلمات الله وعجائبها لا تنفد.

وها أنذا أحاول أن أكشف النقاب عن وجه واحد من أوجه إعجاز القرآن الكريم هو الاعجاز في القراءات القرآنية. فالقراءات هي قمة البلاغة والإيجاز لأن الكلمة البسيطة تغني عن الجملة الطويلة والحركة الإعرابية تغني عن جملة. وكلما قرأت بقراءة انكشف لك معنى ودلالة لم تكن في القراءة الأخرى. وكلما قرأت القرآن بقراءة وجدته معجزا بليغا لا عيب فيه ولا نقصان. فاقرأه بأي وجه شئت تجده كما هو في بلاغته وإعجازه **{لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد}**.

فأي عظمة في هذا الكتاب كلما قلبته على وجه يبقى معجزا مبهرا يأسر الألباب ويفيض على من أقبل عليه بأنوار وأسرار لا يدركها إلا من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وعلم القراءات هو علم بكيفية نطق حروف القرآن واختلافها منسوبة لمن نقلها نقلا متواترا والاختلاف بينها اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

وقد بدأ هذا العلم بمراحل:

المرحلة الأولى:

تعليم جبريل لرسول الله (صلى الله عليه وسلم).

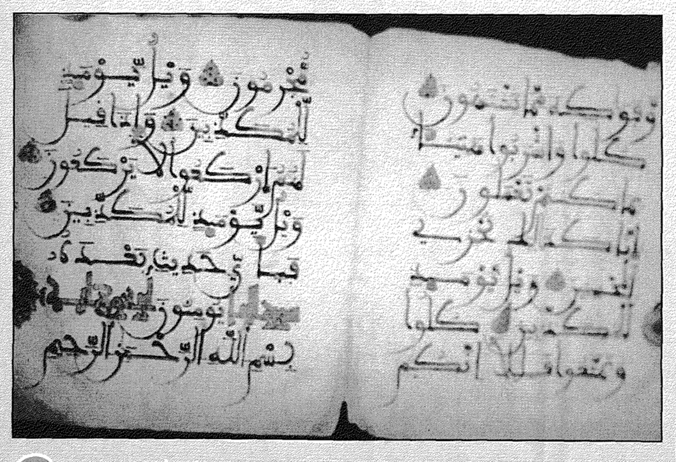
ابتهال محمد على البار - جدة

المرحلة الثانية:

تمثلت في تعليم المسلمين بعضهم بعضا آي القرآن وسوره بأمر النبي وإرشاده، روى البخاري باسناده عن أبي إسحاق عن البراء «أول من قدم علينا (يعنى المدينة) من أصحاب النبي مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرئاننا القرآن ثم جاء عمار وبلال، ولما فتح النبي مكة ترك معاذ بن جبل للتعليم، وكان الرجل إذا هاجر الى المدينة دفعه النبي الى رجل من الحفظة ليعلمه القران». وجاء في خبر نزول مصعب بن عمير المدينة أنه نزل دار (الإقراء) والإشارة إليها بهذا الاسم تعطينا صورة عن تميز القراء في المجتمع الإسلامي آنذاك وتكوينهم ما يشبه المدرسة أو المعهد.

المرحلة الثالثة:

تمثلت في تصدي بعض الصحابة لحفظ القرآن عن ظهر قلب، ويعد الذهبي في كتابه (معرفة القرّاء) سبعة ممن حفظوا القرآن في حياة النبي، وهم: أبي بن كعب وابن مسعود وأبو الدرداء عويمر بن زيد، وعثمان





أهل بلده بما سمع على لهجته حتى إذا امتد الزمان وكثر الآخذون عن الصحابة وقع بين أتباعهم شيء من الخلاف في بعض وجوه القراءات، فجمع المصحف في عهد سيدنا عثمان ووزعت المصاحف على الأمصار وبعث مع كل مصحف قارئاً ليقوم بتعليم كتاب الله مع وجوه قراءاته. وكثر الدارسون على القرّاء وبدأت وجوه القراءات تأخذ طريقها في الرواية والنقل بشكل أكثر، فكان في كل بلد قرّاء وتفرّغ هؤلاء القرّاء لتدريس القرآن وتعليمه حتى صاروا أئمة يقتدى بهم ووفد آلاف المتعلمين عليهم من كل مكان فنسبت القراءات إليهم فقالوا قراءة نافع وقراءة ابن كثير، ومنهم أئمة القراءات العشرة: نافع وابن كثير وأبو عمر وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف

بن عفان، وعلى بن أبي طالب وأبو موسى الاشعري وزيد بن ثابت وقد علمهم النبى وجوه القراءات التى أنزلها الله، وعلى هؤلاء دارت أسانيد أئمة القراءات العشر.

المرحلة الرابعة:

تفرّق الصحابة في البلاد وكان كل مقرىء يقرى

وهي القراءات الصحيحة الموجودة الآن في العالم الإسلامي وما زاد على ذلك فشاذ.

أما عن الحكمة من تعدد القراءات فلعل أبرز هذه الحكم هو التيسير على الأمة العربية ذات القبائل المتعددة واللهجات المختلفة، جاء في الحديث: «أتاني



جبريل فقال اقرأ القرآن على حرف واحد فقلت إن أمتي لا تستطيع ذلك» حتى قال «اقرأ على سبعة أحرف» فكان الهذلي يقرأ (عتّي عين) يريد (حتى حين) لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها، والأسدي يقرأ (تعلمون) و(تعلم) و(ألم إعهد إليكم) والتميمي يميل الألف حتى تخرج من شفتيه أقرب الى الياء.

واضرب أمثلة لبعض القراءات:

- **{قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر}** (الإسراء/ ١٠٢)، قرأ الكسائي بضم التاء وذلك أنه أسند هذا العلم لموسى عليه السلام حديثا منه لفرعون حيث قال: (إني لأظنك يا موسى مسحورا) فقال له سيدنا موسى: (لقد علمت ما أنزل..) فأخبر عن نفسه بالعلم بذلك أي أنه ليس بمسحور. وقرأ الباقون (علمت) بفتح التاء، وذلك بإسناد هذا العلم الى فرعون مخاطبة من موسى له بذلك على وجه التوبيخ والتقريع لشدة معاندته للحق ولذلك أخبر الله عنه وعن قومه (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا).

- وقد تجمع القراءات بين حكمين مختلفين مثل قوله تعالى: **{فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن}** (البقرة/ ٢٢٢).

قرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف بتضعيف الهاء، من الخماسي «تَطَهَّر» وقرأ الباقون بتسكين الطاء وضم الهاء من الثلاثي «طهر» وكلاهما مراد:

الأول: دال على طهارة الموضع بانقطاع دم الحيض.

الثاني: دال على طهارة بالاغتسال وإسالة الماء. وبذلك وضعت الآية شرطين لمقاربة الحائض هما: انقطاع الدم والاغتسال.

- **(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه)** (البقرة/ ٣٧) قرأ ابن كثير بنصب «آدم» مفعولا ورفع «كلمات» فاعلا، فدلت هذه القراءة على تدارك الرب عبده برحمته لما علمه من انتفاء قصد المعصية، فكانت كلماته التى تداركه بها هي الفاعل وكان آدم مفعولا. وبذلك عبّرت القراءة عن موقف الله لا عن موقف آدم. في حين قرأ الباقون برفع آدم، فدلت القراءة على اجتهاد في توجهه نحو ربّه بالتوبة صادقا في مسعاه، فقبل ربه منه ذلك وألهمه الكلمات التى تعرب عما في قلبه وتعبر عن موقفه هذا. فانتصبت «الكلمات» مفعولا ورفع «آدم» فاعلا. وكلتا القراءتين مرادة في بيان الموقفين.

وبعد هذه الجولة بين آيات الله يتمثل لي قوله تعالى: **{ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا}**.



الثقافة الاجتماعية
مفهومها، صلتها بالإنسان، وأهميتها

مفهوم الثقافة :

ينقسم مفهوم الثقافة الى قسمين:

القسم الأول : يتضمن المعنى العام والواسع للثقافة ويقصد به «أنماط السلوك الخاصة بمجتمع من المجتمعات سواء أكانت مادية أو معنوية والذي يضم تحت عنوان الثقافة كل ما اتصل بسلوك جماعة من الجماعات في مأكلها ومشربها وملبسها وتربيتها لأطفالها وتقاليدها في أفراحها وأتراحها وآداب اللباس والتحية عندها .. الى جانب ما أبدعته من فكر وأدب وفن وما يسود فيها من أعراف وعادات وقيم ومعتقدات ونظم وسوى ذلك»[١].

وتتعدد تعريفات الثقافة وتختلف من مكان الى آخر ولعل ما تقدمه الدراسات الإنسانية (الأنثروبولوجية) حول تعريف الثقافة هو أكثرها دقة. ويوجد نوعان من الثقافة: الثقافة العالمة، والثقافة غير العالمة، وسنوضح فيما يأتي المقصود بهما.

الثقافة العالمة: ويقصد بها كل ما أخذ عن طريق ما وصلنا من التراث المكتوب والمقروء والمحفوظ والمدون من آثار ويضم هذا التراث مختلف المجالات التى كتب عنها: الدينية والسياسية والاجتماعية والأدبية والفكرية والثقافية، إضافة الى الإنتاج الجديد في هذا المجال وما يكتب حول هذه الأمور في المجتمع.

أما الثقافة غير العالمة فيقصد بها ما أخذ عن طريق الإرث الذي يتم توارثه عبر الأجيال من عادات تقاليد ومبادىء وقيم، وما يتصل بالسلوك وطرق التعامل وتأدية الواجبات الاجتماعية وآداب المأكل والملبس والمشرب وغيرها مما يتصل بأدق التفاصيل التى تميز كل أمة من الأمم عن الأخرى. ويتم اكتساب هذا النوع من الثقافة من المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان فهي ثقافة مكتسبة، وهو يكتسبها عن طريق التقليد والمحاكاة ولا دخل للعقل فيها[٢].

والثقافة غير العالمة امتداد للعالمة ولكنها قد تطور من قوانينها وأفكارها، وقد تعدلها وهو ما قد يؤدي بتلك الأفكار الى التشوه والتغير في بعض الأحيان، ولا سيما عندما تغيب العلاقة التى يجب أن تتوفر بين العالمة وغير العالمة من جهة أن الأولى موجهة للثانية وحاكمة لها إذ إنها تشكل مرجعية لها. وإذا حدث ذلك

أسماء أحمد معيكل - سوريا

الغياب فإن معارضة أو اختلافاً قد ينشأ شيئاً فشيئاً بين الثقافتين في التطبيق وذلك من خلال تطورات المجتمع التاريخية، فقد تختلف ممارسة الإنسان في الثقافة غير العالمة عما نصت عليه أو نظرته الثقافة العالمة وهنا يحدث تناقض بين المرجع والتطبيق.

والثقافة بالمفهوم الحديث مركب معقد يحتوي على المعرفة والعقائد والأخلاق والقانون والفن والعادات والتقاليد وغيرها من القدرات التى اكتسبها الفرد عضواً يعيش في مجتمع[٣]. وهذا هو المفهوم الذي نريد تناوله في هذا البحث.

وللثقافة أهمية كبيرة فهي تميز الإنسان من بقية المخلوقات. وتختلف هذه الثقافة من شعب الى أخر، ومن أمة الى أخرى، وحتى قد تختلف في الشعب الواحد بين مكان وآخر، وقد تختلف بين الأفراد أنفسهم، ولكن تبقى هناك خصائص عامة توجد في كل ثقافة من الثقافات، والمقصود هنا الثقافة غير العالمة أو الثقافة الاجتماعية، ومن أهم هذه الخصائص أنها مكتسبة، وتعني أن الإنسان يكتسب ثقافته من المحيط الذي يعيش فيه منذ ولادته من خلال أسرته، ثم يستمر في اكتساب الثقافة من مجتمعه وبواسطة الناس الذين يعيش معهم ويخالطهم، وهذا يعني أن اكتساب الثقافة لا يكون غريزياً ولا فطرياً، وإنما يتم اكتسابه لها من خلال علاقاته مع الآخرين فيأخذ منهم ويعطيهم.

ومن السمات الهامة للثقافة الاستمرارية فالثقافة إنتاج جماعي وتراث يرثه جميع الأفراد وينتقل عبر الأجيال ولا يمكن القضاء على ثقافة ما إلا بالقضاء على أفراد المجتمع جميعهم، لذا فلاثقافة لا تموت بموت الفرد وتفنى إلا إذا انقرض المجتمع الذي يمارسها. وتشكل التنبؤية السمة الأهم من سمات الثقافة وتنطلق هذه السمة من كون الثقافة تحدد أسلوب وسلوك الأفراد في المجتمع، ولذا فإنه يمكن التنبؤ بما يمكن أن يقوم به فرد معين من تصرفات اذا علمنا أنه ينتمي الى ثقافة معينة تفرض عليه أسلوباً محدداً تجاه ما يواجه من مشاكل ومواقف في حياته اليومية. فمن خلال تصرف ما يقوم به الفرد أمام أمر يواجهه يمكن التنبؤ بالثقافة التى ينتمي إليها. ويتفق معظم علماء الإنسان على الاعتقاد بأن ثقافة أي مجتمع تتميز بالتكامل والترابط وبوجود صيغة كلية تجمعها ويظهر ذلك من خلال مجموعة القيم والاتجاهات في سلوك الأفراد وشخصياتهم[٤].

ويرى علماء الإنسان أن الثقافة تحمل بين طياتها فكرة التدخل الإنساني، أي إضافة شيء الى حالة من الحالات الطبيعية أو إدخال التعديل عليها. وثقافة أي شعب هي ذلك المستودع الذي تتراكم فيه المعرفة والمعتقدات والأخلاق، والقانون والقيم والفنون وسائر أساليب حفظ البقاء التى اكتشفها الإنسان أو أوجدها لنفسه باعتباره عضواً يعيش بين جماعة تؤمن وتؤيد وتحافظ على ذلك التراث. وتشتمل الثقافة على كل تلك الأشياء وتتجاوزها الى أكثر من ذلك فهي تعلّم الناس كيف يتعامل أحدهم مع الآخر، وتدلهم على حل

** الثقافة انتاج جماعي يتسم بالاستمرارية والاستدامة.

مشكلاتهم، وتعلمهم طرق الحصول على طعامهم، والطريقة التى يرتبط بها الواحد بالآخر؛ كالزواج والتعامل مع الأطفال والعبادة وكيفيتها والوقوف في وجه الأزمات والأمراض حتى الموت، وتلعب الممارسة دوراً في التعبير عن الثقافة السائدة من خلال الأدوات التى يستخدمها الإنسان في بناء مساكنه، وأساليب حياته، وممارسته العقائدية والاجتماعية، فالثقافة تتحدث عن نفسها من خلال السلوكيات الإنسانية كلها[٥].

لقد تعلم الناس كيف يواجهون احتياجاتهم، ويحلون مشاكلهم، ويوجدون التفسيرات لمشاكل الحياة عامة، ثم قاموا بتعليم أبنائهم التراث الذي تراكم عبر الأجيال. واستمرت الاكتشافات والاختراعات، وظلت تضيف الى ما هو موجود، ومن ثم أصبحت هذه الأدوات ضرورية للبقاء الإنساني وأصبحت من ممتلكات الأمة التى طورتها فأصبحت بذلك تقاليد ونظماً وأعراف خاصة بهم تنتقل من الكبار الى الصغار عن طريق الاكتساب والتدريب والتعليم والتربية لا الوراثة. ويمكن فهم قدر كبير من سلوك الإنسان إذا عرف الدارس تراثه الذي يسير عليه في حياته، أي الثقافة التى تحدد مساره. والثقافة بهذا المفهوم هي النمط الكلي للفكر، والسلوك المميز لجموعة من الناس[٦].

هذا هو المعنى العام والواسع للثقافة، ونلاحظ أنه يشمل كل ما يؤثر في تكوين الإنسان من مراحل حياته الأولى وحتى نهايتها.

أما القسم الثاني:

فيتضمن المعنى الخاص والضيق للثقافة، وهو كل ما يتصل بالإبداع الثقافي الرفيع من فكر وأدب وفن؛ فالإبداع الثقافي يحتوي على الجوانب الثلاثة: الإبداع الفكري والإبداع الأدبي، والإبداع الفني[٧].

ونقصد بالثقافة الاجتماعية المعنيين العام والخاص للثقافة، فالثقافة الاجتماعية تشتمل عليهما معاً، لأن الإبداع الأدبي والفكري والفني لا ينفصل عن المجتمع الذي أنتجه وعن ثقافة هذا المجتمع وأفكاره وقيمه ومعتقداته وطرق حياته وأساليبها.

ـ الثقافة الاجتماعية والإنسان:

ينقسم الإنسان في وجوده الى ثلاثة مستويات: الوجود الجسدي، والوجود الثقافي الاجتماعي، والوجود العقلي.

ويقصد بالوجود الجسدي (المادي) وجود الإنسان جسداً وغرائز، أي الوجود المادي الذي يشترك فيه مع باقي المخلوقات الحية. ويتضمن الوجود الثاني الثقافي الاجتماعي على كل ما يؤثر في تكوين الإنسان من عادات وتقاليد وقيم ومبادىء وعلاقات مع الآخرين، والذي يتم عن طريق الاكتساب

من الوسط الاجتماعي. أما الوجود الثالث فهو الوجود العقلي، وهو أرقى المراحل إذ إنه يحقق معنى الوجود الإنساني من خلال ضبطه لكل من الوجود الجسدي والوجود الثقافي الاجتماعي. والأصل أن يرتقي الإنسان الى الوجود العقلي ويجعله الضابط للوجودين الاخرين، أما إذا سيطر الوجود الجسدي على حياة الإنسان فإنه يقترب بذلك من الحيوان الذي تسيره غرائزه، مهملا وجوده العقلي الذي يميزه من سائر المخلوقات.

إن الوجود الفردي للإنسان هو وجود معرفي، والإنسان العاقل إنسان ثقافي اجتماعي، ومكانته في المجتمع مرتبطة بوجوده العقلي، أما الموقف الاجتماعي فينشأ من خلال التراكمات المعرفية. ويتحقق وجود الإنسان من خلال علاقته مع الأشياء ومواقفه منها والتى تصدر عن اجتماع الوجود الثقافي الاجتماعي والجسدي والعقلاني، ولكن قد يتغلب أحد هذه العناصر الثلاثة على العنصرين الآخرين ومع ذلك فإن هناك ارتباطاً وتأثراً وتأثيراً بين هذه الوجودات الثلاثة. والوجود العقلي هو أرقى الوجودات وهو عام ومشترك بين جميع الناس على اختلاف أجناسهم لارتباطه بالمطلق. أما الوجود الجسدي فهو عام لكنه محكوم بالزمان والمكان، والوجود الثقافي الاجتماعي يحكم الجسدي، ولكنه قد يرفض المطلق أي العقلي إذا ما تعارض معه، وهذا ما يفسر الثورات الاجتماعية، وردود فعل المجتمع إزاء النابغين الذين قد يخرجون على أعرافه.

وفي كلامنا على الثقافة الاجتماعية لن نهتم بالحديث عن الوجود الجسدي للإنسان فهذا موضوع علم الإنسان العضوي الذي يهتم بمعرفة الجسد الإنساني، وإنما سنهتم بعلم الإنسان الثقافي لأنه يبحث في ثقافة الإنسان التى تميزه من بقية المملكة الحيوانية[٨]. فعلم الإنسان الثقافي هو «ذلك العلم الذي يُعنى بدراسة أساليب حياة الإنسان وسلوكه النابع من ثقافته، وتهتم الأنثروبولوجيا بالثقافة والتثقيف وبناء الشخصية، وتدرس الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع ذي ثقافة معينة، يسلك سلوك الجماعة المحيطة، ويدين بنظامها وقيمها وعاداتها، ويتحدث لغتها ويعيش حاضرها، وماضيها، ويتبع ديانتها ويخضع لقوانينها ونظمها[٩].

إن هذا النص هام جدا ونحن نتفق مع ما ورد فيه، فمن الطبيعي أن يعبر الإنسان عن المجتمع الذي ينتمي إليه وعن الثقافة السائدة فيه، وكل فعل معاكس يعبر الإنسان فيه عن ثقافة غريبة عن ثقافة مجتمعه فإنه عمل تغريبي يفصل بينه وبين المجتمع الذي يعيش فيه. وما دامت الثقافة هي مجموعة من الأفكار والعادات التى يتعلمها الأفراد ويشتركون في نقلها من جيل الى آخر، وتزودهم بإجابات عن معظم تساؤلاتهم التى يواجهونها، وتشكل النماذج السلوكية التى يسلكونها ويحلّون مشكلاتهم الحياتية بوصفهم أعضاء يعيشون في جماعة معينة فإنها بهذا المعنى تكون ظاهرة اجتماعية نفسية تتركز في عقول الأفراد الذين ينتمون الى نفس المجتمع والجماعة، وبالتالي فإنها المسؤولة عن الجزء الأكبر من تكون أية شخصية، وعملية تكون الشخصية تعود الى عملية نقل الخبرات

** النمط الكلي للفكر والسلوك المميز لمجموعة من الناس يحدد طبيعة ثقافتهم.

الى الفرد، وتستمر هذه الخبرات في النمو بحيث يتكون لدى الفرد نتيجة لحياته في المجتمع إطار ثقافي محدد في بيئته المحددة التى يحكمها نظام وتقاليد وسلوكيات خاصة بالجماعات المحيطة[١٠].

من خلال الحديث عن الثقافة العالمة والثقافة غير العالمة نود أن نكشف عن انعكاس هذه الثقافة في العمل الإبداعي وما هو دور العمل الإبداعي في التعبير عن الثقافة وهل يعبر عن الثقافة السائدة في المجتمع الذي أنتجه أم أنه يعبر عن ثقافة مضادة؟ وما هو دور الأديب في تأصيل الثقافة أو تغريبها؟ وما العلاقة بين الأديب وثقافته والثقافة الاجتماعية والمجتمع الذي يعبر عنه؟!.

هذه الأسئلة سنحاول الإجابة عنها من خلال الدراسة التحليلية للأعمال الروائية محور البحث، وقد اخترنا الرواية لأنها نوع أدبي يولد ويتطور في المجتمع، يعبر عنه ويستمد شكله منه.

. الثقافة بين الأصالة والتغريب:

تزداد أهمية التواصل بين تطور الثقافة وتطور المجتمع، عندما يكون الحديث منصباً على تأصيل الثقافة لا على تطويرها فحسب. والمثقف المبدع الأصيل هو الذي يستمد عناصر إبداعه من امتصاصه لحياة مجتمعه والتحامه بها. ومهما تكن قدرته على تجاوز ما في مجتمعه محللا وناقداً ومصطفياً، تظل القفزة التى يقوى على تحقيقها في هذا المجال مقيدة الى حد بعيد بما قدمه له المجتمع من زاد ومادة. وعندما يكون الزاد الذي يقدمه المبدع زاداً مجلوباً أو هجيناً أو ملوثاً يظل من العسير على من يرتاده أن يخلقه خلقاً جديداً أو أن ينسلخ عنه ويتحرر من إساره[١١].

إن الثقافة التى لا تنبع من داخل المجتمع هي ثقافة هجينة ومستوردة وغير قادرة على التعبير عن هذا المجتمع؛ فالمجتمع هو الذي يوحي بشكل الثقافة وهو الذي ينتجها. أما عندما نجلب ثقافة مجتمع آخر يختلف في قيمه ومبادئه وعاداته وتقاليده وعلومه عن مجتمعنا فسيبقى هناك شرخ بين الثقافة المستوردة والواقع المعيش، وسيبدو التناقض واضحاً بين الثقافة المسيطرة في المجتمع وبين الثقافة المستوردة. وفي هذا المجال يؤدي الأدب والأدباء دوراً في اتجاهين مختلفين: فإما أن يقوما بالتعبير عن الثقافة النابعة من المجتمع ذاته وبذلك يلعبان دوراً هاماً في عملية التأصيل، وإما أن يقوما بالدعوة الى ثقافة مغايرة ومنافية للثقافة السائدة وبهذا يلعبان دوراً تغريبياً حيث يتم إسقاط ثقافة مغايرة لم تظهر وتولد بشكل طبيعي في المجتمع وإنما تم الأمر بشكل قسري بتطبيق هذه الإسقاطات على الواقع.

والأديب العربي الأصيل، لابد أن تتوافر له ثلاثة عناصر متكاملة من الثقافة وهي:

أولا: المعرفة الوثيقة بالتراث الأدبي خاصة وبالثقافة العربية عامة.



ثانيا: المعرفة الكافية بالأدب الأجنبي وفنونه وأساليبه.

والعنصر الثالث والأخير هو أن ينغمس الأديب الانغماس الكامل في مجتمعه المحلي الضيق والعربي الشامل[١٢]، وإذا افترضنا صحة هذه العناصر وقبلنا بها فإن اختلال أحدها سيدل على عدم أصالة الأديب، فاعتماده على أحدها غير كاف. ويجب التنبه أيضاً الى العنصر الثاني فمعرفة الأدب الأجنبي وفنونه وأساليبه ينبغي أن تتم بحذر بعيداً عن الانبهار والتقليد الأعمى.

تظهر الثقافة الاجتماعية في العمل الأدبي من خلال رؤيا العالم التى يطرحها الأديب وهذه الرؤيا ترتبط بظروف البيئة التاريخية، ثقافة وزماناً ومكاناً، وهي محدودة بحدود الثقافة التى ينتمي إليها سواء أكانت مؤيدة أو معارضة لها، وذلك لأن تصور العالم يتوقف على المجموع الكلي لعناصر البيئة. وهناك شرخ في الذات العربية وانفصام في الهوية ولا سيما على مستوى النخبة المثقفة والمبدعة فهؤلاء تربوا جسدياً وثقافياً اجتماعياً في مجتمع له ذاكرة اكتسبوا منها الثقافة، أما ثقافياً وعقائدياً فقد اكتسبوا في غالبيتهم الثقافة الغربية فقد صاغ الأدباء أدبهم على نماذج غربية تنتمي الى ثقافة عالمة وغير عالمة غريبة عن ثقافتهم الأصلية ولذلك فإن إنتاجهم يعاني من شرخ، والشفرة المستخدمة فيه لا يتمكن المُسْتَقْبل من حلها لأنها غريبة عليه لا يعرف مفاتيحها. فعندما تكون رؤيا الأديب صادرة عن الثقافة الاجتماعية التى ينتمي إليها تكون رؤيا أصيلة، ويكون الأديب أصيلا لأنه يعبر عن الثقافة التى ينتمي إليها، ولا يقوم بإسقاط ثقافة مخالفة، أما عندما يصدر عن ثقافة أخرى مع أنه يعيش في بيئة لا تتفق مع الثقافة التى يصدر عنها فإن هذا الأمر سيؤدي الى وجود شرخ في شخصية المبدع وفيما يبدعه وسينعكس هذا الأثر في القارىء والمجتمع.

إن الأديب الذي يعيش بفكره في العالم الحديث مع أنه ينتمي اجتماعياً الى عالم قديم يعاني من التمزق بين هذين العالمين لأنه يعيش في العالم القديم بفكر حديث، ويعيش في العالم الحديث بمشكلات عالم قديم.

إن هذا الانفصام ينتج عن انتماء الكاتب؛ فالكاتب منتم بثقافته الى العالم الغربي الحديث، بينما هو منتم بعلاقاته الاجتماعية الى المجتمع العربي، ومن هنا فإنه حين يكتب سيقوم بعملية تغريب لأنه سيسقط فكره المنتمي الى العالم الغربي الحديث على مجتمعه العربي، وهو ما سيؤدي الى شرخ أعمق لأنه سيدو غريباً في مجتمعه لأن الفكر الذي يطرحه ليس نابعاً من صميم هذا المجتمع، ولن يتجاوب القارىء مع هذا الكاتب - إلا إذا كان يشبه الكاتب في انتمائه الى العالم الغربي الحديث - لأنه لا يعبر عن همومه وقضاياه[١٣].

**** المظهر السلوكي للفرد أو الجماعة يحدد موجهات ثقافتهم.**

إن هذا الأمر سيؤدي الى عملية تغريب أكبر، فالأديب سيبدو غامضاً في مجتمعه

يعبر عن فكر غريب عنه وسيبدو غامضاً في العالم الحديث والمجتمع الغربي لأنه يعبر عن مفاهيم وواقع غريب عنه أيضاً لأنه يعبر عن أمور تجاوزها الغرب منذ زمن.

إن المجتمع العربي يعاني من حالة اغتراب مستعصية تظهر في تبعيته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويعاني من حالة تمزق بين عدة اتجاهات وقوى متناقضة. فالغرب استطاع ازاحة الثقافة العالمة عند العرب المعاصرين (التراث) وأحل محلها ثقافته هو؛ على حين لم يحقق النجاح ذاته فيما يتعلق بالثقافة غير العالمة ولكنه لازال يسعى الى ذلك عن طريق المثقفين العرب المدجنين وبوساطة وسائل الإعلام ولا سيما التلفاز.

ولقد حاول الاستعمار خلخلة ثقافة الشعوب التى استعمرها، وتقديم ثقافته كبديل عنها ولكنه لم يستطع تدمير الثقافة العربية ولا طمس معالمها؛ لأنها لا تزال ثقافة حية. فهي تمثل العقيدة والشريعة واللغة والأدب والفكر، فالعرب يمتلكون تراصاً ثقافياً حياً في نفوسهم وعواطفهم وعقولهم ورؤاهم.

والتحرر هنا من الغرب في دائرة الفكر والثقافة يعني التعامل معه نقدياً أي الدخول مع ثقافته في حوار نقدي وذلك بقراءتها في تاريخيتها وفهم مقولاتها ومفاهيمها في نسبيتها، والتعرف أيضاً على أسس تقدمها والعمل على استنباتها في تربتنا الثقافية، وهذا

** تصور العالم يتوقف على المجموع الكلي لعناصر البيئة.

** الانتماء ظاهرة صحية تفيد منها الثقافة ايجابا لا سلباً.

** التغريب يمثل عامل سلب في توجهات ثقافة المجتمع.

ما يجب أن يطبق على الثقافة الاجتماعية، والعملية معقدة جداً وصعبة للغاية وتحتاج الى مشروع حضاري جديد؛ لأن معاناتنا من مظاهر الاستلاب إزاء الغرب تنبع من أننا نأخذ منه النتائج والثمرات ونعرض عن المبادىء والأسس، بمعنى آخر: نستورد منه لنستهلك وليس لنغرس ونستنبت. والنجاح في عملية الغرس يتوقف بالطبع على إعداد التربة الصالحة، والتربة الصالحة لا تُستورد[١٤].

إذا كان الكلام السابق يدور حول مشكلة الثقافة بين التراث والغرب في الفكر فماذا عن هذه المسألة في الأدب والرواية تحديدا؟ ولا سيما أن «هناك علاقة عضوية تربط الفكر، سواء بوصفه أداة أو محتوى، بالمحيط الاجتماعي الثقافي الذي ينتمي اليه هذا الفكر.. إن عملية التفكير ذاتها لا تتم إلا داخل ثقافة معينة وبواسطتها. والتفكير بواسطة ثقافة ما معناه: التفكير من خلال منظومة مرجعية تتشكل إحداثياتها الأساسية من محددات هذه الثقافة ومكوناتها، وفي مقدمتها: الموروث الثقافي والمحيط الاجتماعي والنظرة الى المستقبل، بل النظرة الى العالم، الى الكون والإنسان، كما تحددها مكونات تلك الثقافة[١٥].

إن هذا الكلام كلام جوهري وهام، لأن الفكر لابد أن يعبر عن البيئة التى أنتجته، ومن خلاله نستطيع أن



نكشف الثقافة التى ينتمي إليها والبيئة التى صدر عنها. ومن الطبيعي أن يظهر هذا الأمر في الأدب لأن الأدب يرتبط بالفكر والفكر يرتبط بالثقافة الاجتماعية وبالتالي فإن الأدب أيضاً يعبر عن الثقافة الاجتماعية التى ينتمي إليها. ولذلك نجد الاختلاف بين الآداب التى أنتجتها الشعوب المختلفة في أزمنة مختلفة.

والرواية نوع أدبي تقوم بالدور نفسه فهي تعبر عن الثقافة الاجتماعية التى ينتمي إليها الأديب من جهة، والبيئة التى أنتجتها من جهة ثانية. إننا نستطيع من خلال العمل الأدبي (الرواية مثلا) أن نقرأ الثقافة الاجتماعية التى يطرحها ويصدر عنها. وهنا قد يحدث التناقض في الانتماء، فقد ينتمي الأديب والعمل الذي ينتجه الى ثقافة وبيئة مخالفة لثقافته وبيئته الأصلية وذلك من خلال انتمائه الفكري فيبدو العمل الأدبي بعيداً عن البيئة التى يصورها لأن الأديب يقوم بإسقاط ثقافته الشخصية وفكره على واقع لم ينتج هذه الثقافة وإنما جاءت نتيجة تأثر الأديب بها. إن هذا الأمر سيؤدي الي حدوث شرخ بين العمل الأدبي والواقع المعبر عنه لأنه يعبر عن هموم وقضايا ومشاكل بعيدة عن البيئة التى يتحدث عنها وبذلك يبدو غريباً عن هذه البيئة وهذا المجتمع الذي يعتقد أنه يدور حوله ويعالج قضاياه.

الهوامش :

(١) مجموعة من الباحثين ـ التراث وتحديات العصر، ص ٦٨٨.

(٢) الصديق، حسين ١٩٩٩ ـ الهوية والثقافة، جريدة البعث، ملف الاثنين، ع ١١٠٦٤، ص ٨.

(٣) ناصر، ابراهيم ١٩٨٢ ـ الأنثروبولوجيا الثقافية، الجامعة الأردنية، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ص ٧٧.

(٤) ناصر، ابراهيم ـ الأنثروبولوجيا الثقافية، ص ١٠١ ـ ١٠٢ ١ ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٥) المرجع نفسه، ص ٨٧ ـ ٨٨.

(٦) المرجع نفسه، ص ٨٨ ـ ٨٩ ـ ٩٠ ـ ٩١ ـ ٩٢ ـ ٩٣ ـ ٩٤.

(٧) مجموعة من الباحثين ـ التراث وتحديات العصر، ص ٦٨٨.

(٨) ناصر ـ الأنثروبولوجيا الثقافية، ص ١٠، ص ٤٧ ـ ٤٨.

(٩) المرجع نفسه، ص ٤٧، وينظر ص ٤٨.

(١٠) المرجع نفسه، ص ٧٧ ـ ٧٨.

(١١) مجموعة من الباحثين ـ التراث وتحديات العصر، ص ٦٨٧ ـ ٦٨٨.

(١٢) مجموعة من الباحثين ـ التراث وتحديات العصر، ص ٧٠١ ـ ٧٠٢.

(١٣) عياد ـ المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، ص ١٢ ـ ١٣.

(١٤) الجابري، محمد عابد ١٩٨٩ ـ إشكاليات الفكر العربي المعاصر، ط ١ مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٤. وأيضا ص ٤٣ ـ ٤٤.

(١٥) الجابري، محمد عابد: إشكاليات الفكر العربي المعاصر، ص ٥٧ ـ ٥٨.



المرأة العربية بين الأنوثة والإبداع:

من أين تبدأ إشكالية وضع المرأة العربية المبدعة؟

الأنوثة .. هل هي عامل إخصاب لابداع المرأة العربية، أم أنها عبء إضافي يعوق إبداعها؟..

ولماذا لم تستطع المرأة أن تشغل نفس المساحة الإبداعية في حياتنا؟

أين تكمن مشكلة المرأة المبدعة: في أنوثتها؟.. في وعي المجتمع لهذه الأنوثة؟ أم في الإبداع نفسه؟.

هذه التساؤلات وسواها طرحناها على عدد من النساء المبدعات في سوريا، انطلاقا من القناعة بأن المرأة المبدعة أقدر على تشخيص مشكلاتها من غيرها. ولأن الأنوثة أسبق من الإبداع حيث إن المبدعة هي امرأة أولا، لذا فقد توجهنا الى بعض المبدعات بهذا السؤال:

●● من أين تبدأ إشكالية وضع المرأة العربية المبدعة؟.

السيدة منى واصف، الفنانة المعروفة تقول:

في مجتمعنا العربي تبدأ مشكلة المرأة من ذاتها، وهي لا تتجاوز هذه الاشكالية، إلا عندما تتحرر من الداخل، وتحقق ذاتها في أن تكون صاحبة القرار الموضوعي.. في أن تمارس عملية الخيار المستند على قناعات وجدانية تجذرها المحاكمات العقلية المنطقية.. ويقول المجتمع أن تلك الحالة هي حالة وجدانية شمولية وليست حالة تمرّد مرحلي.. عندئذ فقط لن تحس المرأة بالقمع، ولن تنغلق على ذاتها.. وتكون قادرة على الابداع، فالمشكلة كما تراها منى واصف تتصل بنظرة المجتمع الى سلوك المرأة وتقويمه لهذا السلوك.

●● ولكن، هل تنحصر المشكلة بالاحكام العامة.. أم أن لها أساسها المادي؟.

- **الروائية والناقدة الدكتورة ناديا خوست** (أكاديمية وأديبة)، تحمل المجتمع القسط الاكبر من المسؤولية، فالظروف الاجتماعية السائدة في مجتمعاتنا وزعت أعباء الحياة اليومية بين الرجل والمرأة بصورة غير عادلة.

وتقول: حتى الآن يعتبر البيت واجب المرأة وحدها،

سميحة الصعبى - دمشق

واذا قصّرت بجزء من هذا الواجب فهي مدانة وأنانية، لأنها فضلت العام على الخاص. إن مستوى تطور حياتنا هو المسؤول عن وضع المرأة عموما، والمبدعة على وجه الخصوص.. فغياب المؤسسات العامة عن حياة البيت يترك المرأة من دون أي مساعدة، فهي بدل مؤسسة التموين وأحيانا بدل مؤسسة الألبسة الجاهزة. وهكذا فهي تتحمل عبء مجموعة من النواقص في الحياة العامة، وهي تدان إذا قصرت في أداء كل هذه الواجبات، ولا يدان الوضع الاجتماعي الذي لا يوفر لها الامكانات للابداع والتحقق.

أما الأديبة قمر كيلاني فتنفي وجود الاشكاليات أصلا.. حيث تقول:

- أنا لا ارى أية عقبات تحول بين المرأة والابداع، فالفرص المتاحة للمرأة هي نفسها المتاحة للرجل، بل لان المرأة بحكم كونها امرأة، لها بريقها الخاص، حيث تجتذب اهتماما أكبر من الاهتمام بالرجل، وهذا يعزز ويرسخ فرصتها للابداع. خذ مثلا العدد الكبير من المسلسلات بالاذاعة المرئية، العربية والعالمية، وخاصة التى تتناول قضايا الأسرة والمجتمع، تجد أن غالبية كتابها من النساء. واذا كان ثمة إشكالية في علاقة المرأة بالإبداع فإنها تتمثل في أن السمة العامة لابداع المرأة أنه ذو نفس قصير.. بمعنى أنها كالشجرة التى تطرح موسما أو موسمين.. طفلا أو طفلين.. ثم تنتهي.

●● غير أن نفي وجود الاشكالية أصلا بين الأنوثة والإبداع في وطننا العربي لا يحل القضية ولا يجيب عن التساؤلات العديدة التى تبحث عن إجابات مثل: إذا لم يكن الوضع الاجتماعي طرفا في اشكالية ابداع المرأة فمن المسؤول عن الحضور المتواضع للمرأة العربية في مجال الإبداع؟.. هل هي المرأة نفسها؟.

الأديبة دلال حاتم تنطلق من مسؤولية المرأة بالدرجة الأولى عن ضعف اسهامها في العملية الابداعية، وترجع ذلك الى سببين:

أولهما: خشية المرأة من اقتحام حقل الإبداع الذي يكاد يكون تاريخيا وقفا على الرجل وحده.

وثانيهما: أن العملية الابداعية تصدر عن موهبة تحتاج الى صقل ومران طويلين.. وقليلات من النساء

إما أن تتفرغي للابداع، أو أن تكوني مجرد موظفة في عالم الابداع.

اللواتي يعملن على صقل موهبتهن، لذلك نقف أمام ابداعات نسائية عديدة، ولكن هذه الابداعات تغيب فجأة، لأنها لا تملك الرغبة أو الوقت لمتابعة التجربة الابداعية. ولا ينبغي وضع الابداع في مواجهة الأنوثة أو العكس، فالمرأة ، وهذا حقها الطبيعي لا تستطيع ولا ترغب في الخروج من أنوثتها بمحتواها الانساني المطلق، وفي الوقت نفسه تعتز المرأة المبدعة بابداعها وتتمسك به.

●● ومن هنا يطرح سؤال جديد باعتباره خيارا مصيريا هو: كيف توفق المبدعة بين كونها كيانا اجتماعيا ضمن واقع محدد، وبين الإبداع الذي هو عملية خلق وتجاوز لكل ما هو محدد؟.

- الفنانة منى واصف تجيب عن هذا التساؤل باعتراف صريح:

التوفيق صعب .. ولا شك أن أحد الاعتبارين سيتحقق على حساب الآخر. في حياتى الشخصية لم يكن ثمة توازن بين كونى امرأة (أُمّاً) وكوني فنانة.. كوني فنانة طغى كثيرا. قد يكون هذا الكلام جارحا للبعض.. ولكنها الحقيقة. إن الابداع لا يقبل شريكا، فإما أن تحبه وتعطيه حياتك كلها كالراهب، وإما أن تكون موظفا في عالم الإبداع.. لا شيء فيه ملكية منفردة مثل الإبداع.. في هذه الحالة تكون ملك عملك لا أن تعتبره ملكك.. أنا أعيش هذه الحالة في علاقتي بالابداع.

**** ابداع المرأة قصير النفس.**

**** قليلات من يعملن على صقل ابداعهن.**

**** ابداع المرأة يبدأ متأخراً في الزمن.**

**** ما بين الشخصي والعام يضيع الابداع.**

- **الدكتورة ناديا خوست**: انطلقت من المقدمات نفسها، لتصل الى نتيجة مختلفة نوعا ما، حيث تقول: بشكل عام لا توجد امرأة اهتمت بشأن عام إلا فقدت شيئا خاصا. فالمرأة المبدعة قد يوقفها بكاء طفلها أو مرضه عن انجاز عمل إبداعي، ولكنني على الصعيد الشخصي لم أتوقف طويلا أمام المعادلة، فقد حاولت التوفيق بين العام والخاص، بفضل تنظيم دقيق جدا، وأحيانا بثمن باهظ.

أما دلال حاتم فترى: إن الابداع يتطلب حيزا كبيرا من اهتمام المبدع ووقته، وهذا لابد أن يكون على حساب شيء آخر.. فاذا أرادت المرأة أن تخوض التجربة الإبداعية فعليها أن تضحي بأشياء كثيرة حتى بساعات نومها، وخاصة أن المرأة غالبا ما تبدأ التجربة الإبداعية من نقطة متأخرة عن الرجل، بسبب ظروف مجتمعنا الخاصة، ولهذا فإن تحققها على الصعيد الإبداعي يتطلب بذل المزيد من الجهد والوقت من دون أن يعني ذلك تحللها المطلق من التزاماتها كامرأة.

الأديبة قمر كيلاني : تطرح قضية التوفيق بين



الأنوثة والإبداع من زاوية أرحب، فهي لا تتوقف عند بعض التعارضات القائمة فعلا بين الأنوثة والإبداع، بل تضع يدها على الايجابي الأصيل في هذه العلاقة.. فهي تقول: إن تجربة المرأة (الأم أو الزوجة) في إطار الأسرة هي تجربة غنية، تفجر عند المرأة مزيدا من الإبداع، ولا تحول دونه.. فمن هي المرأة التى تعيش وراء طاولتها للابداع فقط؟ إنها تزخرف فسيفساء أو تنسج خيوطا طويلة، لكنها عندما تعيش الحياة بكل زخمها تكتسب بعض النبض الواقعي، على الرغم من أنه نزف شريانها كل يوم. ولا نقول أن هذا امتياز للمرأة، بل هو مجال إخصاب لها ولمعاناتها وتواصلها بالحياة بعمق وصدق.

إن المبدعة الحقيقية هي التى توفق بين مواقعها جميعا. وبالعكس، لعل ارضاءها لابداعها أكثر حبا للحياة وانسجاما معها ويخفف من متاعبها المزدوجة كامرأة أولا وكمبدعة ثانيا.

المسألة إذن تتمحور حول وضعية المرأة في مجتمعنا العربي، ولكن ينبغي التأكيد على أن المرأة المبدعة ليست هي النموذج المكرر للمرأة بصفة عامة.. إننا نتحدث عن حالة خاصة، عن عدد محدد من النساء اللواتي حاولن ونجحن في تجاوز حالة السلبية الأنثوية الى عالم الابداع الرحب.. أما الغالبية من النساء فمنهن من حاولت التجاوز وأخفقت، ومنهن من لم تحاول أصلا خوض التجربة، استسلاما للواقع أو إدراكا لعدم الجدوى. لكن العنصر الجديد في المعادلة يظل عنصر الابداع.. فهو السلاح الذي مكن عددا من النساء (اللاتي حاولن ونجحن) بالفوز في معركة الحرية، حيث لا إبداع بلا حرية.

●● غير إن السؤال الذي يظل قائما على الدوام: هل امتلكت المرأة حريتها لأنها مبدعة أم لأنها تمكنت من الإبداع بعد أن امتلكت حريتها؟.

وهنا تجزم الأديبة قمر كيلاني بالقول:

**** الابداع جزء من ممارسة الانسان لحريته.**

- الحرية هي الأصل .. فاستقلال المرأة في بعض جوانب حياتها، خصوصا الجانب الاقتصادي، يحقق لها حريتها من الداخل، وليس بممارسة ما يمارسه الرجل .. وهذه هي البداية لتحقق المرأة قدراتها المتميزة التى تكون بدورها نقطة الانطلاق نحو الابداع.

والخلاصة - إذن - أن الابداع هو جزء من ممارسة الانسان لحريته، سواء أكان رجلا أم امرأة.. والحرية - الموضوعية والمسؤولة - هي مدخل الانسان لكي يكون إنسانا أولا.. والإبداع هو برهان إضافي على أن المرأة جديرة بحريتها المحددة بضوابط عقيدة الأمة، وقادرة على ممارستها الى حدّ يرقى الى مصاف الابداع.



١١٥٨ـ أبو عواد:

إننا أمام امرأة اليوم نشبه الى حد كبير ذلك الأب أو الجد الذي أفرط في تدليل ابنه أو حفيده الصغير.. وكان يستعذب منه أدبيات ساقطة لقنها له، هو اليوم يفني بقية عمره في اصلاح ما أفسد .. سامح الله شعراء الغزل.. والعاشقين الذين أهدروا كراماتهم في بلاط حواء وتحت أقدامها.

١١٥٨ـ أم عمرو:

الشعراء الذين يمتدحون حواء في أشعارهم لا يمتدحون المرأة لذاتها ولكن يمتدحون الرمز. رمز تجدد الحياة واستمرارها ورمز الحب والعطاء في ارقى وأنبل صوره (حواء). الأم.

١١٥٩ـ أبو عواد:

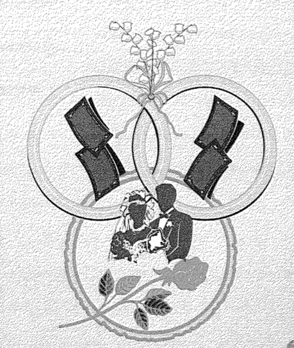
الزوج ان كان مقتنعاِ بشيء ما ومصمماً على عمله فلا أعتقد أن زوجته تكون حكيمة حين تحاول أن تثنيه عنه رغم قناعتها أنه مؤهل لاتخاذ هذا القرار أو ذاك.. والزوجة الذكية هي التى تعرف كيف تقنع زوجها ليتبنى وجهة نظرها إذا شاورها في أمر ما لا سيما وأنه بطلب مشورتها يبدو متردداً بعض الشيء.

١١٥٩ـ أم عمرو:

لو كانت الزوجة مقتنعة أن زوجها مخطىء وسيعرض نفسه وأسرته لمشكلة بتصرف ما. فلابد أن تستمر في محاولتها أن تثنيه عنه مهما كان من أمر تصميمه عليه والحياة الزوجية أولا وأخيرا مشاركة وتبادل رأى بين طرفين متكافئين.

١١٦٠ـ أبو عواد:

أنا وأنت نتبادل الضغوط النفسية وكل تصرف من طرف يعمق الهوّه بينه وبين الطرف الآخر ويزيد الأمور تعقيداً.. كأن كل واحد منهما



أوراق زوجية

يتلذذ بتعذيب رفيقه.. ترى أي سعادة ننتظرها في هذا الجو المشحون بالتوتر؟.. وأينا يكون معنياً بتقديم التنازلات ولا يرى فيها انتقاصاً من كرامته!!؟

١١٦٠ـ أم عمرو:

لا يجب أن يكون في الزواج تنازلات ولكن يجب أن يكون هناك حوار ومشورة بحيث لا ينتصر أو ينهزم أى من الزوجين ولكن يكون الأنتصار للرأى الأنفع والأرجح.

١١٦١ـ أبو عواد:

جميع الأزواج يدركون أن المرأة تستعذب الكلمات الرقيقة والاطراء الصادر من الزوج بالدرجة الأولى.. ولكن بعض الأزواج كبعض المعلمين في المدارس لا يكتب لطلابه كلمة ممتاز إلا اذا استحقوا ذلك لكن النساء يرونها على قطعة كلها أخطاء املائية!!.

١١٦١ـ أم عمرو:

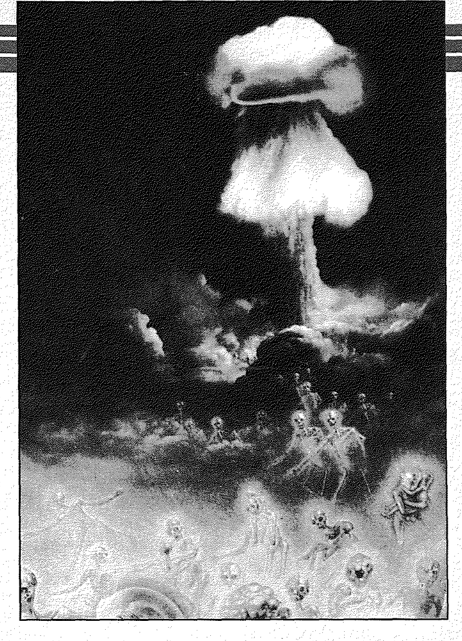
حتى ولو كان هناك خطأ من جانب الزوجه فإن الزوج يستطيع أن يعززه بصورة ايجابية. فإذا كان طبق اليوم قد زاد فيه الملح اكثر من اللازم فيمكن للزوج أن يقول لزوجته لقد كان طبق الأمس ممتازاً في ضبط الملح.بدلا من أن يقول ما هذا الذى صنعتيه ألا تعرفين أن تطبخي شيئاً جيداً. في الحالة الأولى غالباً ما سيجد الزوج طبقا مضبوطاً في اليوم التالى وفي الحالة الثانية سيجد قليلا من الرمل مع الملح. وفي الحقيقة يستاهل.

١١٦٢ـ أبو عواد:

الأقوى من الحب ـ أماراته.. ومؤشراته ـ .. لو لم أكن أحبك ما فعلت كذا ولا قمت بـ كذا.. ولا .. ولا .. ألا يكفيك هذه الأدلة والبراهين والقرائن التى تدينني بأني متورط في حبك!! إن كل عمل أقوم به يؤكد ذلك فلماذا كل هذا الاصرار من جانبك لحملي على مسخ هذه الكلمة ـ المعجم ـ بترديدها (كما يحصل مع ممثلي السينما) صباح مساء على مسامعك؟!.

١١٦٢ـ أم عمرو:

الأعمال التى تدل على الحب ليست بديلا كافياً للأقوال. الاثنان معاً مطلوبان، هكذا خلقت المرأة ولا داعى للعناد.. وبالمناسبة ليست المرأة وحدها هى التى تحتاج للإطراء الشفهى فكم مرة انبطح رجل على وجهه لسماع كلمتي اطراء من امرأه.



الخطر الماثل :

الشتاء النووي

الشتاء النووي Nuclear Winter ظاهرة تصف الحالة الجوية التى يتوقع حدوثها عند نشوب حرب نووية شاملة تشترك فيها الدول العظمى، التى بحوزتها أسلحة نووية فتاكة، ويكون هدفها تدمير المواقع العسكرية والاقتصادية والمدن الكبيرة. وسيؤدي ذلك الى امتلاء الجو بالغبار والدخان الكثيف الناتج عن انتشار الدمار والحرائق الهائلة التى لم يسبق لها مثيل. يسبب امتلاء الجو بالغبار والدخان انحجاب الأشعة الشمسية فيسود الظلام لمدة طويلة قد تمتد لعدة شهور بعد توقف المعارك. وسينتج عن ذلك هلاك معظم الكائنات الحية على سطح الأرض. ومن المتفق عليه أن تأثير الحرب النووية سيكون كبيراً وسينتج عنها كوارث عالمية يصعب السيطرة عليها.

بقلم : د. على أحمد غانم

كلية الآداب - الجامعة الأردنية

ويستطيع زوار المتاحف في مدينتي هيروشيما ونيجازاكي في اليابان مشاهدة معروضات لأشياء محروقة، وهي من مخلفات تأثير القنبلتين النوويتين اللتين القتهما الولايات المتحدة الأمريكية على المدينتين في عام ١٩٤٥م، ومن تلك البقايا المعروضة في المتاحف الساعات التى ما زال ظل عقاربها المحروقة متوقفة عند الساعة الثامنة والربع، لتؤرخ وقت بداية الصراع النووي، وهو وقت القاء القنبلة النووية الأولى على مدينة هيروشيما في ٦ آب ١٩٤٥م.

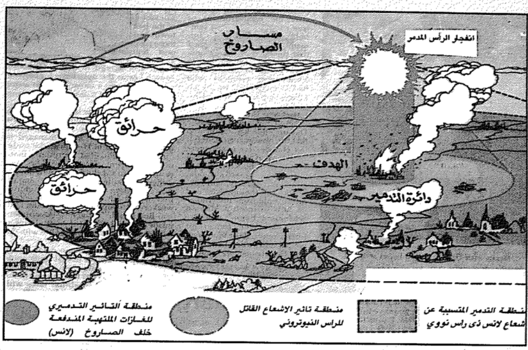
وتمثل هذه الحادثة التاريخية التجربة النووية الأولى التى علمتنا الكثير عن التأثيرات الطبيعية والبيولوجية والانسانية المحتمل وقوعها بسبب الانفجارات النووية. ويجب أن تكون توقعاتنا للخسائر أكبر من ذلك بكثير بسبب ازدياد القوة التدميرية للقنابل النووية الحديثة إذا ما قورنت بتلك التى القيت على مدينتي هيروشيما ونيجازاكي والتى كانت تأثيراتها الجغرافية محدودة، ومما خفف من الخسائر فيهما هو تلقي المصابين مساعدات وعناية طبية سريعة، وهو لن يتوفر في حالة حدوث حرب نووية مدمرة تشترك فيها الدول النووية ويطول تأثيرها الدول الأخرى غير المشاركة في الحرب. ولابد أن ينتج عن مثل تلك الحرب عواقب وخيمة لم تلاحظ في هيروشيما ونيجازاكي، وسيبحث بعضها في هذا الموضوع.

وعلى الرغم من انتهاء الحرب الباردة منذ سنوات، فإن الصراعات الدولية مازالت مستمرة في بقاع كثيرة من العالم، لذلك فإن حدوث حرب نووية ما يزال أمراً محتملا خاصة مع تزايد عدد الدول التى أصبحت تمتلك أسلحة نووية أو قادرة على انتاجها. ويهتم العلماء بدراسة عواقب الحرب النووية على مختلف المجالات وخاصة البيئية منها، والتى ستؤثر على المجتمعات في مختلف بقاع الأرض. ويستقصي العلماء عواقب الحرب النووية عن طريق محاكاتها باستخدام النماذج الرياضية المتطورة. وعلى الرغم من التقدم الكبير في هذا المجال، إلا أن نتائجه تظل احتمالية وغير مؤكدة لأسباب عديدة منها: عدم وقوع حرب نووية شاملة، فلم يختبر الإنسان أثرها الحقيقي إلا على نطاق ضيق ومحدود جداً في هيروشيما ونيجازاكي، وكذلك لطبيعة الحرب النووية من حيث عدد وحجم القنابل المستخدمة ونوعية المواقع المستهدفة ووقت حدوثها في السنة، بالإضافة الى وجود نقص في المعرفة العلمية لمحاكاة العمليات الطبيعية والحيوية رياضياً والذي يمكن التغلب عليه تدريجياً عن طريق البحث العلمي.

تشير نتائج الأبحاث العلمية الى أنه سيكون للحرب النووية عواقب وخيمة على كل مجالات الحياة أهمها البيئية والبشرية. ويعد تغير المناخ من أهم العواقب المباشرة التى ستنتج عن انتشار كميات هائلة من الدخان والمواد المفتتة في الغلاف الجوي، وذلك من جراء الانفجارات والحرائق الهائلة التى ستنتشر في معظم الأقاليم الصناعية والمدن الكبيرة، وسيؤدي ذلك الى انخفاض كبير في معدلات درجات الحرارة على سطح الأرض والتى ستصل الى ما دون درجة التجمد،

ارتفاع معدلات درجات الحرارة في الظروف العادية لفصل الصيف. ولكن انخفاض درجات الحرارة سيكون أقل تأثيراً إذا ما وقعت الانفجارات النووية وانتشرت الملوثات خلال فصل الشتاء الذي يتميز بالبرودة وكثرة الغيوم. فوقوع الحرب في الصيف سيؤثر أكثر مما لو وقعت في الشتاء.

ومن نتائج انتشار الملوثات في



مكان انفجار قنبلة النيوترون

** ملوثات البيئة العالقة في الهواء تُنْزل من الأمطار سموماً تمتصها التربة.

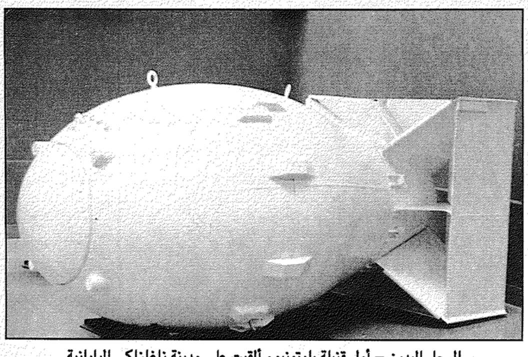
ويحدث هذا بسبب انحجاب الاشعة الشمسية بفعل الملوثات المنتشرة في الجو. وربما يسبب ذلك حدوث اضطرابات مناخية لعدة سنوات وسيمتد تأثير تلك الملوثات الى البلدان المحايدة التى لن تشارك في الحرب، حيث تعمل الرياح على نقل ونشر الدخان والغبار الى بقاع واسعة ونائية من الأرض.

وأن مدى انخفاض درجات الحرارة يعتمد على وقت حدوث الانفجارات النووية، فانتشار الدخان والغبار في فصل الصيف الحار يؤدي الى حدوث انخفاض كبير في درجات الحرارة يقدر بحوالي ٢٠ - ٤٠ْم دون المعدل وخلال عدة أيام. وسيكون الانخفاض في درجات الحرارة ملحوظاً ومؤثراً بشكل كبير بسبب

الجو سقوط الأمطار السوداء الملوثة والناتجة عن تكاثف بخار الماء حول ذرات الدخان الذي يحتوي على السناج Soot، وربما يمكن الاستشهاد بسقوط الأمطار السوداء فوق منطقة الخليج العربي خلال عملية احتراق آبار النفط أثناء حرب الخليج في بداية التسعينيات من القرن الفائت والتي نتجت عن حرائق صغيرة جداً إذا ما قورنت بحرائق حرب نووية كبيرة.

ومن العوامل المهمة التى تدخل في تحديد شدة التغيرات المناخية: معرفة كمية وحجم الدخان وذرات الغبار وعلى أي ارتفاع ستتصل في الغلاف الجوي، والذي سيحدده عدد وحجم القنابل المستخدمة وطبيعة المواقع المستهدفة. وأن ازدياد الارتفاع الذي تتركز

فيه الملوثات في طبقات الجو العليا (إلى طبقة الستراتوسفير) يساعد على استمرار وجودها لسنوات أطول، بينما الملوثات التى تكون أقرب الى سطح الأرض تسقط خلال فترة قصيرة بفعل غسل الجو بمياه الأمطار. ذلك بالإضافة الى ضرورة معرفة مدى انتشارها في العالم، ويتوقع أن تصل إلى مناطق في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية فيؤثر بمناخها ولكن بدرجة أقل مما في النصف الشمالي.



الرجل البدين – أول قنبلة بلوتونيوم ألقيت على مدينة ناغازاكي اليابانية

** ازدياد تآكل غاز الأوزون يزيد من تساقط الاشعة البنفسجية القاتلة على الأرض.

ومن نتائج الحرب النووية على البيئة ازدياد التلوث الجوي والمائي الذي يبقى لمدة طويلة حتى بعد توقف الحرب. ويزداد تركيز الملوثات بسبب انتشار كميات كبيرة من المواد الكيماوية والغازات والمواد المشعة في الغلاف الجوي وعلى سطح الأرض وفي باطنها. وسيكون له تأثيرات سلبية كبيرة في الحياة على سطح الأرض. ومن تلك التأثيرات ازدياد تآكل غاز الأوزون في طبقات الجو العليا (الستراتوسفير) وهو الذي يحمي الأرض من الأشعة فوق البنفسجية القاتلة، وينتج ذلك عن انتشار الحرائق ومساهمتها في زيادة تركيز الأكاسيد النيتروجينية في طبقات الجو العليا حيث تتفاعل مع الأوزون كيماوياً فتقلل من كميته. وكما هو معروف أن نقص الأوزون يسبب انتشار الأمراض خاصة أمراض العيون والسرطان الجلدي وغيرها. بالإضافة الى تأثيرها السلبي في اتلاف أغشية النباتات فتميتها.

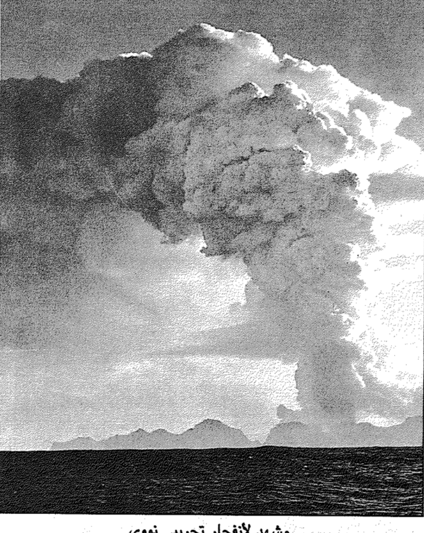
وللمواد المشعة أثر كبير على الإنسان من الناحية الصحية وتوفر الغذاء. وقد يصل الاشعاع القاتل الى جسم الإنسان عن طريق استنشاق الغبار المشع أو مع الأكل والشرب. فكثيراً ما نسمع عن مواد غذائية منع استهلاكها والمتاجرة بها لأنها تعرضت للإشعاع المتسرب من المفاعلات النووية المنتشرة في أماكن

كثيرة من العالم.

وأن انتشار المواد الكيماوية والغازات في الجو مثل أول وثاني اكسيد الكربون وثاني اكسيد الكبريت والهيدروكربونات يؤدي الى تضاعف سقوط الأمطار الحمضية. وهي ظاهرة تعاني منها مناطق كثيرة من العالم، والتى ستزداد سوءاً بالحرب النووية، فهي تؤثر بشكل مباشر على النباتات وأشجار الغابات ومياه البحيرات المستخدمة في تربية الأسماك والتى يعتمد عليها الإنسان لسد النقص الغذائي الذى تعاني منه البشرية.

وسيكون للحرب النووية تأثيرات هامة على النظام البيئي المتمثل في الغابات والأعشاب والمحيطات والمياه العذبة. فسيزداد انتشار الحرائق في الغابات والأعشاب بسبب ارتفاع درجات الحرارة في المناطق التى تحدث فيها الانفجارات. وستتأثر الحياة البحرية بشكل كبير وذلك لتعرض مياه البحار والمحيطات للتلوث من جراء تحطم السفن وناقلات النفط ومن تساقط الملوثات الجوية.

ووجد أيضاً أن الجليد المنتشر في المناطق الباردة من سطح الأرض أكثر حساسية للمواد والشوائب الساقطة عليه، مما يؤدي الى ذوبانه بسبب انخفاض معامل انعكاس الأشعة الشمسية للجليد الملوث ومن ثم ازدياد الأشعة الممتصة التى تذيب الجليد. وسيكون لذلك آثار مباشرة وغير مباشرة على مجالات الحياة المختلفة على الأرض بسبب ارتفاع منسوب مياه البحار والمحيطات.



مشهد لأنفجار تجريبي نووي

** الحرب النووية تدمر البيئة والانسان معاً.

وسيكون الانخفاض الكبير في الانتاج الزراعي من أهم نتائج الحرب النووية التى تؤثر على حياة ورفاهية البشر. علما بأن عدداً كبيراً من الدول تعتمد في معظم غذاء شعوبها على المساعدات التى تقدمها الدول الغنية وهيئة الأمم المتحدة، ولحساسية الزراعة للتغيرات في العناصر المناخية، فقد تفشل الزراعة

بسبب الانخفاض في درجات الحرارة والأمطار وضوء الشمس، وهي عناصر ضرورية لنمو وحياة النباتات. فالانخفاض في درجات الحرارة يؤدي الى وجود ظروف غير ملائمة لكثير من المزروعات وخاصة تلك التى لا تتحمل انخفاض الحرارة، بالإضافة الى دورها في تقليل طول فصل النمو مما يؤثر على الانتاجية الزراعية كماً ونوعاً.

وتتنبأ الدراسات التى اعتمدت على النماذج الرياضية بانخفاض كمية الأمطار بحوالي ٢٥٪ مع ازدياد نسبة سقوط الأمطار الحمضية، وكذلك انخفاض في كمية الأشعة الشمسية الضرورية لاستمرار عملية التمثيل الضوئي في النبات، وذلك بسبب انتشار الملوثات في الجو، ومن المؤثرات السلبية الأخرى التى تسهم في تخفيض الانتاج الزراعي الاضطرابات التى ستحدث بسبب توقف التزود بالطاقة والآلات الزراعية والسماد ولوازم مقاومة الأمراض والآفات الزراعية، وذلك لتوقف التعاون الدولي والتجاري أثناء الحرب التى ستعبأ لها كل الجهود في مختلف المجالات. وسينتج عن ذلك كله انخفاض في مخزون الغذاء العالمي فتنتشر المجاعات التى تعد من أهم عواقب الحرب النووية على حياة البشر.

ومحصلة الحرب النووية هي الخسائر البشرية الهائلة، حيث ستموت أعداد كبيرة من البشر وربما مئات أضعاف الخسائر التى نجمت عن الحرب العالمية الثانية. وسيموت الناس أثناء وبعد الحرب لأسباب متعددة أهمها: الانفجارات والاشعاعات النووية التى ستحدث النسبة الكبرى من الخسائر. ولقد عايش العالم نتائج الحادثة المحدودة التأثير في كل من هيروشيما ونيجازاكي، وكذلك نتائج التسربات الكيماوية والاشعاعية التى حدثت من بعض المصانع والمفاعلات النووية في العالم. وقياساً علينا أن نتوقع خسائر أكثر من ذلك في حالة حدوث حرب نووية شاملة تلقى فيها أعداد كبيرة من القنابل النووية المتطورة.

هذا بالإضافة الى توقع ازدياد الكوارث الطبيعية كالزلازل، حيث أشارت بعض الدراسات العلمية الى أن ازدياد عدد الزلازل منذ الحرب العالمية الثانية كان بسبب ازدياد عدد التجارب النووية تحت الأرض والتى زادت عن ٢٠٠٠ تجربة منذ عام ١٩٤٥. ولابد أن يكون للانفجارات النووية الكثيرة تأثير أكبر من تلك التجارب، فيزداد عدد الزلازل التى ستودي بحياة الكثير من البشر.

وسيموت الكثير من الناس أيضاً بسبب المجاعات الناتجة عن نقص المواد الغذائية والعلاجية خاصة في المناطق الفقيرة والنائية، بالإضافة الى انتشار الأوبئة الفتاكة. ويحدث ذلك لفشل الزراعة وتدمير المصانع وتوقف المساعدات الخارجية والمتمثلة في المواد الغذائية والطبية الضرورية، ويحدث ذلك لانقطاع الاتصالات وتوقف التجارة الدولية بسبب الحرب.

يمكن الرجوع الى كثير من المصادر منها:

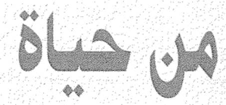
Arju Makhijani, et al., eds, Nuclear Wasteland, The Mit press, 1996.

Lu dia Dotto Planet Earth in Jeopardy: Environmental Consequences of Nuclear War. John Wiley & Sons, NY. 1986.



شذرات الذهب


أحمد أمين



طرائف من حياة كاتب كبير

٥٢١ ـ ترجمة ذاتية :

يعجبني من كاتب الترجمة الذاتية أن يكون أقرب الى الصدق ، لأن الصدق الحقيقي قد يكون مستحيلا ، إذ لا تجوز للأديب الشرقي أن يفضح نفسه أمام الملأ العام كما يفعل المتحللون في أوربا ، وقد قرأت كتاب (حياتي) للدكتور أحمد أمين أكثر من مرة ، وتحدثت عنه أكثر من مرة لأنه يشعر القارىء بالقرب من الواقع ، والبعد عن البطولات المزيفة التى يتخذها بعض كتاب السير الذاتية ، ليرضوا أنانياتهم المريضة ، وأنا أعرف كاتبا من هؤلاء شاء أن ينتقص أسرته ، ويفترى على أبيه وأخيه وأقاربه ، ليعلم القراء أنه اعتمد على موهبته وحدها ، حين كان العالم من حوله يقف ضده ، وفي القراء من يميل الى تصديق كل ما يقال ، ولكن فيهم من يعرف كبوات القلم في هذه المزالق ، وقد جنب الله الدكتور أحمد أمين كثيرا من هذه المزالق ، لذلك رأيت أن أختار للقارىء ما يأخذ منه العبرة في بعض ما حكاه ، والمسألة لا تزيد عن كونها تاريخا يروى ، فإلى كتاب حياتي .

يعترف الكاتب أنه من حيث مشاعره الخاصة يعيش في عالم وحده ، إذ تقع الأحداث على وجدانه فينفعل بها انفعالا خاصا به ، ويقوّمها التقويم الذى يسأل عنه وحده ، لأن الحادثة الواحدة قد يبكى منها إنسان أشد البكاء ويضحك منها آخر أشد الضحك ، ولا يبكى منها ولا يضحك ثالث كأوتار العود الواحد ، يوقع عليها كلٌّ فنان توقيعا منفردا لا يوقعه فنان آخر .

٥٢٢ - مواقف الرجولة :

يعجب الكاتب بمواقف الرجولة التى شهدها ويثني على أصحاب هذه المواقف ثناء متكررا، ومن هؤلاء حسن عاصم باشا، وعاطف بركات باشا، وهما بالنظر لأبناء هذا الجيل يكادان يكونان مجهولين، أما من عاصرهما من الناس فيعلمون مكانهما العالى في دنيا السلوك الحميد.

لقد كان حسن عاصم باشا رئيساً للقلم الخديوى، وكان المنتظر منه أن يلبي رغبات الخديوي في أخص ما يطلب من الأمور، ولكنه عارضه معارضة جادة حين لزمت المعارضة، إذ أراد الخديوى أن يستبدل أرضا جيده بأرض ضعيفة من أراضى الأوقاف، فعرض الأمر على المجلس الأعلى للأزهر فعارض الشيخ محمد عبده وعارض حسن عاصم، ومعارضه الشيخ محمد عبده منتظرة، لأنه كان يجهر دائما بالحق أمام الرؤساء دون خشية، أما معارضة حسن عاصم فقد كانت شديدة الوقع على نفس الخديوي، وبادر فعزله من منصبه المرموق في السراى، فلم يعبأ الرجل، وكأن أمرا ما لم يحدث، ومما ذكره الدكتور أحمد أمين عن عاصم باشا أنه كان المشرف العام على التعليم بمدارس الجمعية الخيرية الإسلامية، وقد تبرع أحد أعيان المحلة الكبرى بأرض لبناء مدرسة للجمعية مع نفقات بنائها.. ووقف عليها أملاكه، ثم أراد أن يدخل ابنه في المدرسة، وكانت سنه تزيد شهرا عن المدة المقررة، فأبى عاصم باشا، وقال: لقد تبرع هذا الرجل للجمعية بالأرض والنفقات فيجب أن نشكره، ولكنه أراد أن يخالف القانون فيجب صده وعدم الاستماع إليه، وأصرّ على موقفه رغم شفاعة الكبار، ومنهم الشيخ محمد عبده، وحسن عبد الرازق وهما من أعضاء الجمعية، فلما ألحوا عليه قدّم استقالته، فاضطروا للنزول على رأيه مكرهين، وأنا أرى أن عاصم قد تشدد في غير موجب! فزيادة شهر عن السن القانونية ليست بذات خطر، ولكنه التشدد المتزمت.

٥٢٣ - (الامتحان الشفوي) :

تعرض الأستاذ للامتحان الشفوى بمدرسة القضاء الشرعى حين كان طالبا، فقال إن اللجان الشفوية كانت معتدلة ما عدا لجنة الشريعة والعلوم الأزهرية، فقد كانت من الصعوبة بحيث أعدّت مواضع الامتحان في أصعب المقررات العلمية، إذ تتألف اللجنة من ستة أساتذة من الشيوخ الكبار، جلسوا على الأرائك، وجلس الطالب فوق فروة في الأرض، وبدأ يقرأ في الموضوع الأول من الكتاب المقرر، ويشرح ما يقرأ شرحا صحيحا، ولكن سرعان ما انهالت عليه الأسئلة من كل أستاذ، فيجيب قدر ما يستطيع وقد غشاه العرق، وكاد يرتبك، وقد جلس على الفروة ست ساعات متواليات لا تتخللها راحة ما، ولم يشرب حتى كوب ماء، وكل من المتحنين يخرج من حين الى آخر يتمشى ويتريض، ومن حين الى اخر تقدم إليهم القهوة والليمون، ثم أفرج عنه.

يقول الأستاذ «فلما حاولت القيام لم أستطع أن أمد رجلي، ولا أن أعدل قامتي، وأخذت في ذلك وقتا، حتى عرفت كيف أقوم، وكيف أمشي، ولم أدر كيف ذهبتُ الى بيتي، ولا كيف قضيت بقية نهارى وليلي، ومهما كان الأمر فقد نجحت، ولكن تأخر ترتيبي - في الامتحان الشفوى - من الأول الى السادس، وكان هذا الامتحان الأزهري على هذا الوجه الشاق أول امتحان في مدرسة القضاء وآخره. إذ احتج عاطف بك على الطريقة المتبعة فيه، فقصرت مدته، وتساهل المتحنون في درجاته».

وأقول إن هذه الطريقة الشاقة ظلت متبعة في الأزهر حتى عهد المراغي، ولكن مع اختصار الوقت اذ كان الطالب يقضي ساعتين، وحينا أكثر أو أقل، ثم لا يرهق بالامتحان في كل العلوم شفويا، بل تختار العلوم الأمهات، ويترك غيرها اعتمادا على النجاح في الامتحان التحريري.

٥٢٤ ـ (عاطف بك بركات):

رجل في جدّه من طراز حسن عاصم باشا، وقد نال رتبة الباشوية فيما بعد حين صار وكيلا لوزارة المعارف، ومن مواقفه أن الخديوى أوصى أن ينال الشيخ محمد المهدى الأستاذ بمدرسة القضاء الشرعي درجة مالية كبيرة في المدرسة، ولكن عاطف رأى أن غيره أحق منه، فاجتمع مجلس الإدارة برياسة شيخ الأزهر وعضوية كبار المسئولين في الدولة، وكلهم يرى أن المسألة صغيرة لا تستحق مغاضبة الخديوى من أجلها، فوافقوا على منح الدرجة للشيخ المهدى. وصمم على معارضته هذا الاتجاه، فلما جاءت أكثرية الأصوات مخالفة رأيه، صمم على أن تدوّن معارضته في المحضر، ومنح الشيخ الدرجة، وكان لا يعلم معارضة عاطف، فذهب إليه شاكرا، فقال له لقد عارضت منحك، ولو استطعت لأوقفت المنح، فقال المهدى، وإذن، فالشكر لله وحده.

٥٢٥ ـ (قصة الزواج):

تحدث الأستاذ عن قصة زواجه، فقدّم للحديث بأن الزواج لعهده كان يخضع للتقاليد القديمة، إذ يسمع الشاب من أحد أقاربه أن لفلان بنتا في سن الزواج، وقد يأتيه الخبر من (الخاطبة) التى تدور في البيوت، وترى الشابات لتكون الواسطة ولها الأجر، واذ ذاك يتقدم الشاب لخطبة من لم يرها من قبل لأنه اعتمد على الوصف فحسب.

يقول الأستاذ «كنت أتلمس الزواج من أمثالي من الأوساط، لا أطلب الغنى ولا الجاه، ومع ذلك وقفت العمامة حجر عثرة في الطريق، فكم تقدمت الى بيوت رضوا عن شبابي، وعن شهادتي، وعن مرتبي ولكن لم يرضوا عن عمامتي، فذو العمامة في نظرهم رجل متدين، والتدين يوحى عندهم بالتزمت وقلة التمدن، والالتصاق بالرجعية، والفتاة يسرها الشاب المتدين، وقد رضى بي قوم وأحبوا أن يروني، فذهبت إليهم أحمل كتابا انجليزيا لأريهم أني متمدن، وحشرت في كلامى بعض كلمات انجليزية فاستغربوا ذلك، وفهمت أنهم أعجبوا بي، ولكن بلغنى أن الفتاة أطلت من الشباك عليّ، وأنا خارج، فرأت العمامة والجبة والقفطان، فرعبت، ورفضت رفضاً تاماً أن تتزوجنى رغم إلحاح أهلها، وشاء القدر أن تتزوج هذه الفتاة ـ فيما بلغنى ـ شابا أنيقا كاتباً في بعض الوزارات، ولكنه كان سكيرا عربيدا أذاقها المرار في حياتها الزوجية ثم طلقها، ومازال يسوء حالها حتى تزوجت بعامل تلغراف، وجاءت اليّ وأنا قاض في محكمة الأزبكية، تطلب من زوجها النفقه»

أليست هذه مفارقه!!

٥٢٦ ـ (عقوق أم ماذا؟):

من أوجع ما كتبه الأستاذ أحمد أمين، ما اشتكى منه إزاء عقوق طلابه وزملائه بعد أن ترك عمادة كلية الاداب، ورجع أستاذاً، فرأى من التلون والجحود ما قال عنه:



«هذا فلان كان صديقي يوم كنت أستطيع نفعه، فلما سلبتْ مني هذه المقدرة تلمس الوسائل ليكون عدوي، فإن لم يجد أسبابا اختلقها، وان لم يجد فرصة لإظهار هذه الخصومة تعمد إيجادها، وهؤلاء الذين كانوا يتهافتون على إقامة حفلات التكريم لي يوم انتخبت عميدا، فأرفضها وأرفضها، لم يفكروا في إقامة حفلة وداع يوم تركت العمادة، وهذه التليفونات التى كانت تدق كل حين للسؤال عن صحتي، وطلب موعد لزيارتى، لإظهار الشوق أولا، والاطمئنان على صحتي ثانيا، والرجاء في قضاء مصلحة ثالثا، لم تعد تدق إلا للأعمال الضرورية، التى ليس فيها سؤال عن صحة، ولا إعلان أشواق، وهذا صندوق البريد الذى كان يمتلىء بالخطابات المملوءة بالطلبات والرجاوات أصبح فارغا إلا من خطابات عائلية أو مسائل مصلحية، وهذه أيام الأعياد التى كان يموج فيها البيت بالزائرين من الصباح الى المساء يهنئون بالعيد، أصبحت كسائر الأيام، أجلس فيها على المكتب، فأقرأ وأكتب، ولا سائل ولا مجيب، وهذه صورة للناس لم تكن جديدة عليّ، فقد قرأت مثلها في الكتب كثيرا، وسمعت عنها كثيرا، ولكن لعل أسوأها أثرا في نفسي ما شاهدته من قلة الوفاء في بعض طلبتي، فقد كنت اعتقد أن الرابطة العلمية فوق كل الروابط، أما أن طالبا يخرج على أستاذه ويحرجه، ويقدح فيه بالكذب والأباطيل فشيء لم أكن رأيته، فلما رأيته استعظمته، وحزّ في نفسي، وبلغ أثره أعماق قلبي.

وصرت أشك فيمن أصطفيه
لعلمي أنه بعض الأنام

٥٢٧ـ (موقف ترفيهي):

لم يخل كتاب (حياتي) من ذكر بعض المواقف الترفيهية، رواها الأستاذ كما وقعت، دون افتعال، فكانت بصدقها البريء داعية للابتسام السار، ومن هذه المواقف ذكرياته عن بعض القرى الريفية في سويسرا وما شاهده من نظافة البيت الريفي، حيث ترعى الأبقار في المروج النظيفة ثم تعود الى مبيتها في قاعات نظيفة أضيئت بالكهرباء، وفرشت بألواح الخشب، وحدّد لكل بقرة منامها، ومجرى ما يخرج منها، فلا ترى إلا نظافة وأناقه.

ثم سافر الأستاذ الى بروكسل ليلقى محاضرة عن أبي حيان التوحيدي في مؤتمر المستشرقين، فذهب قبل الموعد الى حلاق بروكسلي لا يعرف كلمة إنجليزية. وهو لا يعرف كلمة فرنسية، فكان إذا حدثه الحلاق بالفرنسية أجابه بالإيماء وهو لا يفهم ما يعنى، حتى كانت النتيجة أن الحلاق حلق رأس الأستاذ بالموسى ولم يترك بها سوى شعرات صغيرة، يقول الأستاذ:

«وأنا مضطر عند دخولى قاعة المؤتمر أن أخلع قبعتي، فلم أجد بها شعراً يقاوم البرد، ولا يجمل المنظر، وقصصت القصة على زميليّ الدكتور طه حسين والدكتور عبد الوهاب عزام، فضحكا وأغرقا في الضحك، وقال الدكتور طه حسين.. إني سأضع رواية أسميها «حلاق بروكسل» على وزن (حلاق اشبيلية) ونظم الدكتور عبد الوهاب عزام قصيدة أذكر منها:

ونظر الأستاذ في المراية
فلم يجد في رأسه شعرايه

وهذه طرفة تصلح أن تكون ختاما معقولا لما سبقها، والكتاب سفر أدب وتاريخ وسياسة وسلوك فوق أنه ترجمة ذاتية مصطفاه!!

مسك الختام

حديث عن المرأة بمنظار أديب

كتب الكتَّاب للمرأة، وكتبوا عن قضاياها، وكتبت هي عن نفسها، وقد جاءت الشريعة الإسلامية السماوية قبل كتابة من كتب منظمة لحياة المرأة المسلمة محددة مالها من حقوق، وما عليها من واجبات.. وإذا ما ألقينا نظرة على واقع المجتمعات الشرقية والغربية وجدناها تتخبط في ظلمات الجاهلية المعاصرة، فتمتهن المرأة وتهينها إهانة لم تُعرف في أي عصر من العصور؛ فهي وسيلة دعاية، وعارضة أزياء وملكة جمال، وصورة غلاف.. وهي فوق ذلك دمية يتسلى بها العابثون، ويطفئون ما يتلظى في أجسادهم من نار الشهوة الحيوانية!!

كيف وصلت الحال الى ذلك؟ والجواب المختصر على ذلك هو: أن البشر تنكبوا الطريق، وحادوا عن النهج القويم وتجاوزوا شريعة الخالق سبحانه وتعالى فأصبحوا في معيشة ضنك وهي لهم في الآخرة إن لم يفيئوا الى رشدهم، ويصحوا من ضلالهم.

ومن أجود ما رأيت من الكتابات في قضايا المرأة، ما كتبه أديب العربية وفارس بيانها مصطفى صادق الرافعي ـ رحمه الله ـ في كتابه (وحي القلم)، فقد سطر بأسلوبه الأدبي وفكره الإسلامي وغيرته العربية الأصيلة سطر أحرفاً من نور يجدر بكل واحدة من نسائنا وبناتنا أن تقرأه قراءة درس وفقه وتربية وتهذيب.. وفي السطور التالية أنقل بعضاً مما كتبه عسى أن يكون فيه الخير والفائدة.

يقول الرافعي «ليس لامرأة فاضلة إلا رجلها الواحد، فالرجال جميعاً هم مصائبها إلا واحداً. وإذا هي خالطت الرجال، فالطبيعي أنها تخالط شهوات، ويجب أن تحذر وتبالغ.

أيتها الشرقية احذري احذري. احذري، فإن في كل امرأة طبائع شريفة متهورة، وفي الرجال طبائع خسيسة متهورة. وحقيقة الحجاب أنه الفصل بين الشرف فيه الميل الى النزول، وبين الخسة فيها الميل الى الصعود، احذري أن تخدعي عن نفسك، إن المرأة أشد افتقاراً الى الشرف منها الى الحياة»[1]

وهذا نداء الفطرة والدين نقله لنا الرافعي بعبارات موجزة؛ فهو نداء الفطرة التى فيها الميل بين الجنسين كل منهما للاخر، ثم غيرة كل منهما على الآخر أن يشاركه في صاحبه أحد، وهو نداء الدين الذي يقول {ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} (الروم/٢١). وهل يكون هناك سكن ومودة ورحمة إلا بأن تعرف المرأة رجلا واحداً لا تعرف غيره في بيت زوجية ثابت الدعائم قوي الأركان.. ثم لا تخالط الرجال في أعمالهم مهما كانت الظروف والأحوال.

ثم يؤكد الرافعي أن الحجاب هو الدرع الواقي من سهام الرذيلة، واللباس الواقعي من كل شعاع أو وهج يخدش الكرامة ويجرح العفة ويلوث العرض ويفسد الجمال الحسي والمعنوي.

وما قيمة حياة المرأة بلا شرف مصان وعرض كريم؟ إنها إن فقدت ذلك غدت سلعة وعرضاً يتبادله الناس للمتعة والهوى والمتاجرة الهابطة!!

ولأن هذه القضية الأخيرة هي منطلق الشرف وإطار الكرامة فقد أفاض فيها الرافعي وبسطها بعرض جميل مقنع.. ومما قاله في ذلك: «وأساس

الفضيلة في الأنوثة الحياء؛ فيجب أن تعلم الفتاة أن الأنثى متى خرجت من حيائها وتهجمت، أي توقحت، أي تبذلت، استوى عندها أن تذهب يميناً أو تذهب شمالا، وتهيأت لكل منهما ولأيهما اتفق، وصاحبات اليمين في كنف الزوج وظل الأسرة وشرف الحياة وصاحبات الشمال ما صاحبات الشمال.

قلت:[٢] هذا هذا، إنه الحياء، الحياء لا غيره؛ فهل هو إلا وسيلة أعانت الطبيعة بها المرأة لتسمو على غريزتها متى وجب أن تسمو، فلا تلقى رجلا إلا وفي دمها حارس لا يغفل، وهل هو إلا هو سلب جمعته الطبيعة الى ذلك الإيجاب الذي لو انطلق وحده في نفس المرأة لاندفعت في التبرج والإغراء وعرض أسرار أنوثتها في المعرض العام..؟ - وكان هذا من حوار في موضوع بعنوان: الجمال البائس.. وكان بينه وبين صديق له وامرأة وجداها في مكان عام يغشاه الناس جميعا -، ويضيف الرافعي الى ما سبق أن المرأة قالت: ذاك أردت فكل ما تراه من أساليب التجميل والزينة على وجوه الفتيات وأجسامهن في الطرق فلا تعدنه من فرط الجمال، بل من قلة الحياء، واعلم أن المرأة لا تخضع حق الخضوع في نفسها إلا لشيئين: (حيائها وغريزتها).

قلت:[٣] يا عجباً! هذا أدق تفسير لقول تلك المرأة العربية: «تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها! فإن اختضعت المرأة للحياء كفت غريزتها، قالت: وجعلها الحياء صادقة في نفسها وفي ضميرها، فكانت هي المرأة الحقيقية الجديرة بالزوج والنسل، وتوريث الأخلاق الكريمة، وحفظها للإنسانية.

قلت: ومن هذا يكون الإسراف في الأنوثة والتبرج أمام الرجال كذباً من ضمير المرأة[٤]، ويطول بنا المقام لو ذهبنا نستقصي كل ما كتبه هذا الأديب الفذُّ عن المرأة، وهو حديث لا تنقصه الصراحة وهو الحق الذي لا مرية فيه، وهو حديث العاطفة والذوق حينما يسترشدان بالعقل والضمير المؤمن والحس اليقظ والبصيرة النيرة.

وهذه دعوة لكل عاشق للفضيلة في ثوب الأدب، ومتلهف للشرف في لباس الخيال والإبداع، وهي دعوة لأرباب القلم وفرسان الكلمة أن ينهل أولئك جميعاً من معين مؤلفات إمام العربية وآدابها مصطفى صادق الرافعي وأن يفيدوا من لغته وأسلوبه وأفكاره ومعانيه.. وبخاصة في كتابه النفيس {وحي القلم}.

إن الرافعي قد ملك إحساساً مرهفاً، وموهبة نادرة، وعاطفة صادقة، فمكنه كل ذلك من امتلاك القلوب والعمل في النفوس.. وكيفلا وهو طبيب بارع ومهندس متميز.

الهوامش:

(١) وحي القلم ج ١ ص ٣٠٠ - ٣٠١، الطبعة الثامنة، ضبطه وصححه وعلق على حواشيه محمد سعيد العريان، نشر دار الكتاب العربي في بيروت.

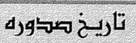
(٢) هذا من كلام الرافعي نفسه.

(٣) والحديث هنا للرافعي نفسه.

(٤) وحي القلم ج١ ص ٣٤٠ - ٣٤١.

عبدالعزيز بن صالح العسكر

- السعودية -



اســـم العــدد	تاريخ صدوره
الفــن	شعبان ورمضان ١٤٠٤هـ
الأمن والأمان	شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ
الهجرة، اللغة، التراث، الحضارة	ربيع الأول والثاني ١٤٠٦هـ
الثقافة العربية	شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ
الدعوة والدعاة	ربيع الأول وربيع الثاني ١٤٠٧هـ
الأثر والآثار	رمضان وشوال ١٤٠٧هـ
المبادىء البناءة والدعاوى الهدامة	ربيع الأول وربيع الثاني ١٤٠٨هـ
العادات والتقاليد	رمضان وشوال ١٤٠٨هـ
مناهل الاشعاع الاسلامي	ربيع الثاني وجمادى الاولى ١٤٠٩هـ
الاستشراق والمستشرقون	رمضان وشوال ١٤٠٩هـ
مكة المكرمة .. المقام والارتحال	ربيع الأول والثاني ١٤١٠هـ
الابداع والمبدعون	شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ
الحديث النبوي والقدسي.. رواية ودرايه	ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٤١١هـ
القرآن الكريم.. الهدي والاعجاز	ربيع الأول والثاني ١٤١٢هـ
الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري	شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ
المدينة المنورة.. دار الهجرة ومأزر الايمان	ربيع الأول والثاني ١٤١٣هـ
اللغة العربية .. آفاق مستقبلية	شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ
القدس .. عروس المدائن	ربيع الاول والثاني ١٤١٤هـ
العمارة والمدينة الاسلامية.. عطاء ومدلول	جماد أول وجماد ثان ١٤١٥هـ
النقد - والنقاد	شوال والقعده ١٤١٦هـ
الجغرافية والجغرافيون	شوال والقعده ١٤١٧هـ
المملكة العربية السعودية فى مرآة المنهل	شوال والقعدة ١٤١٩هـ
الاسرة والمجتمع	شوال والقعدة ١٤٢٠هـ
التراث المعماري في الحضارة الإسلامية	شوال والقعدة ١٤٢١هـ







الاصدارات السنوية الخاصة

« متوفرة لمن يرغب فى اقتنائها » - الاتصال : ٦٤٣٢١٢٤ العلاقات العامة (جُدة)



شغف الريادة

